الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

جامعة التحدي - سرت

كلية الآداب والتربية

قسم التاريخ

المظاهر الحضارية لمدينة دمشق

منذ الفتح العربي

حتى سقوط الخلافة الأموية

(13 – 132 هـ) (634 – 749 م)

قدمت هذه الرسالة استكمالاً للتخصص العالي (الماجستير) في التاريخ الإسلامي

أعداد الطالب : الساعدي محمد الشريف صالح

إشراف: أ.د. : صالح مصطفى مفتاح .

العام الجامعي

(2006 – 2007 ف)

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

جامعـــــــــــــــة التحدي- سرت

كليـــــة الآداب والتربية

قســـم التـاريـــخ

"المظاهر الحضارية لمدينة دمشق منذ الفتح العربي حتى سقوط الخلافة الأموية 13-132 هـ - 634 - 750 م."

إعداد : - الساعدي محمد الشريف صالح .

أعضاء لجنة المناقشة:

1- د / صالح مصطفى المزيني .

2- د / رمضان المبروك خليفة .

3-.د/ عبد الحكيم غنتاب الكعبي .

التوقيع:

يعتمد

أ. رحمة أبو بتينة عبد السلام

أمين إدارة الدراسات العليا والتدريب بكلية الآداب والتربية

يعتمد:

أ. حمد أحمد الحاج

أمين اللجنة الشعبية لكلية الآداب والتربية

﴿ قَالُوا سُبْحَنَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ
أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾

سورة البقرة الآية (32)

الإهداء

إلى الأبطال الذين رسموا لوحة البطولة بريشة التضحية ، وكتبوا تاريخ الأمة بالأحمر القاني.

إلى حماة هذا الدين، إلى الأسود المجاهدين الذين هم على الثغور مرابطين، وعلى أعراضنا وحرمة هذا الدين مدافعين، كما أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع إلى والدي الذين لولاهم ما وصلت إلى هذا العمل.

الشكر والتقدير

يسعدني أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير للدكتور صالح مصطفي المزيني لما قدمه لي من توجيهات نيره وأراء سديدة ووقفه جادة حتى خرج هذا الدراسة إلى حيز الوجود، كما اشكر حضرات الأساتذة (رمضان المبروك) و (عبد الحكيم الكعبي) لما قاسوه من أعباء السفر ، لمناقشة هذه الرسالة .

وأنه لا شرف عظيم لي أن تكون هذه اللجنة الموقرة هي المكلفة بمناقشة رسالة الماجستير لما لهم من كفاءة علمية عالية مشهود بها ، ويشرفني أيضا أن أشكر أمين قسم التاريخ وأمين اللجنة الشعبية بالكلية ، وأمين قسم الدراسات العليا بجامعة التحدي سرت ، كما اشكر موظفي المكتبة المركزية بجامعة قاريونس وأخص بالذكر الأستاذ فرج شمبش ، وابراهيم العقوري، لما قدموه لي من يد العون و المساعدة ،كذلك لمن دواعي سروري أن أشكر العاملين بمكتبة أحمد الزروق مصراته، وأيضا لا يفوتني شكر وتقدير موظفي دار الكتب الوطنية بنغازي .

وأخيراً نشكر كل من مد لي يد العون والمساعدة أثناء مسيرتي العلمية في هذا البحث ولو بالكلم الطيب .

وأدامكم الله نبراسا للعلم والمعرفة

فهرس

الموضوع	رقم الصفحة
الآية	
الإهداء	
الشكر والتقدير	أ
المقدمة	ب
الفصل الأول : لمحة عامة عن مدينة دمشق	
لمحة عامة عن مدينة دمشق	1
الموقع الجغرافي	2
النشأة وأصل التسمية	4
دمشق قبيل الفتح العربي الإسلامي	7
الفتح العربي الإسلامي لمدينة دمشق إلى أن أصبحت حاضرة الأمويين	9
خطط دمشق زمن الراشدين والأمويين	22
الفصل الثاني : الحياة السياسية والإدارية في دمشق	
النظم السياسية والإدارية في دمشق	27
النظم السياسية –الخلافة	30
الوزارة	35
الحجابة	36
النظم القضائية والعسكرية	37
القضاء	37
النظر في المظالم	38
الشرطة	39
الجيش والبحرية	40
النظم الإدارية	40

الأمارة على البلدان	40
الدواوين	42
الفصل الثالث : النظم الاقتصادية والمالية لمدينة دمشق	
النظم الاقتصادية والمالية لمدينة دمشق	49
الحياة الاقتصادية – الزراعة	50
الصناعة	53
التجارة والأسواق	54
المعاملات التجارية	55
ثانيا الإدارة المالية	58
اوجه الدخل الدولة	58
الموارد الدورية أو الثابتة	59
الزكاة	59
الجزية	61
الخراج	63
الموارد غير الدورية الغنيمة والفي	66
اوجه نفقات الدولة	68
نظام ملكية الأرض في دمشق	70
الفصل الرابع : الحياة الاجتماعية والعلمية	
أولا: الاجتماعية	73
عناصر السكان – العرب	74
الموالي	75
الرقيق	79
أهل الذمة	80
الحياة العامة في دمشق	82
القصور و الدور	82

الجامع الأموي	83
الأخلاق والعادات	85
الموسيقى والغناء ووسائل التسلية	87
المرأة العربية في دمشق وأثرها في المجتمع الدمشقي	89
ثانيا : الحياة العلمية في دمشق زمن الأمويين	
العلوم العقلية – الطب	91
الكيمياء	94
الفلك والرياضيات	96
العلوم النقلية	96
علم القراءات	98
التفسير	98
الفقه	100
الحديث	100
التاريخ	100
العلوم الأدبية	
الشعر	102
النثر الفني	104
الخطابة	105
الكتابة الفنية	107
الخاتمة	108
قائمة المصادر والمراجع	110
المعاجم والموسوعات	122

المقدمة

يتـناول هذا الموضوع أهم الجوانب الحضارية لمدينة دمشق ، منذ أن فتحها المسلمون في عهد الخلفـاء الراشـدين إلى نهاية الدولة الأموية في المشرق الاسلامى ،مع التطرق لما كانت علية قبيل الفتح الاسلامى ، وذكر أهم مظاهرها الحضارية في إبان حكم الرومان.

ومـن أسـباب اختـيار الموضوع هو ما تتمتع به هذه المدينة من أهمية كبرى من الجانبين السـياسي والحضاري ، وما قامت به من دور فعال في إزدهار الحضارة الاسلاميه وتقدمها كما إن الدراسـات التـي تناولت تاريخ الشام بصفه عامه لم تتطرق إلى المظاهر الحضارية بدمشق بـشكل كامـل ، وإنمـا نجدها قد أكتفت بذكر الجانب السياسي لبلاد الشام مع بعض الإشارات للجـوانب الحـضارية الأخـرى، ولا أخفـى رغـبة الباحث التي كانت دافعا قويا لدراسة هذا الموضـوع دراسة علمية مبنية على منهج علمي معتمد ، على المصادر والمراجع المختلفة التي تتـناول هـذه الفترة من زوايا متعددة ، فوجدت إن دراسة المظاهر الحضارية لمدينة دمشق في هذه الفترة المنوطة بالدراسة ، قد تشبع جزءً من رغبتي في التعمق في دراسة التاريخ الاسلامى ،لما لها من معلومات شيقة وقيمة تخدم تاريخ الحضارة الإسلامية.

إمـا عـن الأهمية والهدف من الدراسة ، فتكمن قيمته العلمية في إستقراء التاريخ واستنباط الحقائق التي تساعد على كشف النقاب عن هذه الحقبة المهمة من تاريخ الدولة الإسلامية ، حيث ستقوم هذه الدراسة بتوضيح ما لدمشق من مظاهر وتراث حضاري قبيل الفتح العربي الاسلامى وبعده ،وما أضفى الإسلام عليها من تقدم في جميع ميادين الحضارة.

وكما هو متوقع في مثل هذا النوع من الدراسات ، فقد واجهت بعض الصعاب كان من بينها اخـتلاف الطـبعات فـي المـصدر الواحد مما أضطرني إلى ذكر أو استعمال أكثر من طبعه للمصدر الواحد.

وقد قسمت هذه الدراسة إلى أربع فصول وخاتمة ومقدمة :

الفـصل الأول: يتناول لمحة عامة عن مدينة دمشق مبتدئا من الموقع الجغرافي لهذه المدينة ومـا تتمـتع بـه من استراتيجيه ، مرورا ببداية نشأتها واصل التسمية ،كما سيلقى الضوء على أوضعها قبيل الفتح العربي – الإسلامي– إلى إن أصبحت حاضرة الخلافة زمن بني أمية.

أمـا الفـصل الثاني ، فهو تحت عنوان النظم السياسية والإدارية في دمشق زمن الراشدين والأمويين ، حيث يتناول القسم الأول من هذا الفصل السياسة ، من خلافة ، ووزارة ، وحجابة ، أما الكتابة فيتم الحديث عنها في الفصل الرابع.

والقـسم الثانـي مـن الفصل الثاني ، يتناول النظم الإدارية ، ومن خلال الحديث ستوضح الدراسـة مـا هي الإضافات التي ظهرت في دمشق للنظام الإداري ، بعد أن أصبحت حاضرة الخلافـة ، والتـي كانت لابد منها لضبط الأمور والإشراف فعليا علي إدارة أجيزة الدولة ، من تعـريب للدواوين وما ترتب عليه في دمشق ، ومن تقليد للولاة ، وعن كيفية اختيارهم والى أي مدي كانت تقف سلطة هؤلاء العمال ومدي صلاحياتهم المطلقة .

أمـا الفـصل الثالث :– بعنوان النظم الاقتصادية والمالية لمدينة دمشق ، فيتناول أولا النظم الاقتـصادية مـن زراعة ، وصناعة ، وتجارة ، ومدي اهتمام الخلفاء الأمويين في دمشق بمثل هذه الموارد الاقتصادية الهامة .

وفي الجزء الثاني من الفصل الثالث ، يتناول البحث الإدارة المالية المتمثلة بذكر أوجه دخل الدولـة ، الدورية منها وغير الدورية كذلك سيتم الحديث عن أوجه نفقات الدولة ، أو ما يعرف بمصاريف بيت المال .

وفي الفصل الرابع . وهو تحت عنوان الحياة الاجتماعية والعلمية في دمشق .

ففي الجزء الأول من الفصل الرابع وهو الحياة الاجتماعية ، سيتحدث عن فئات المجتمع

الدمشقي ، وأثر هذه الفئات في تكوين المجتمع الدمشقي ، وما تقوم به من دور فعال أنذاك .
كما سيتناول عادات وتقاليد الدمشقيين، ومجالس الطرب والموسيقي في مدينة دمشق .
أمـــا الجزء الثاني من الفصل الرابع . فيتناول الحياة العلمية في دمشق ، سواء أكانت عقلية أو نقلية ، مع ذكر لأهم الأعلام الذين برزوا في هذه العلوم وما أنتجوه من فكر ومؤلفات كل حسب تخصصه .
أمـــا عن الدراسات السابقة ، فان كل موضوع ، أو أغلب المواضيع التي قد تم بحثها ، لابد أنهـــا قـــد تناولته الأقلام بالدراسة ، ولكن كلا منهم معتمدا علي طريقة معينة ، ووسائل مختلفة لرصد بعض الجوانب العلمية فيه وبغية في سد الثغرات الحاصلة في ثنايا الموضوع المبحوث .
فالبعض يورد مباحث حول موضوع دراستي ، إلا أن تلك الدراسات لم تتطرق بشكل مباشر لموضوع البحث ، ولم تحاول سد ثغراته بشكل كامل إلا أنها يمكن الاستفادة منها والاستعانة بها ، لتلقـــيح موضـــوع الدراســـة ومن بين تلك الدراسات السابقة ، رسالة ماجستير للأستاذة إيمان بالـــنور ، والتـــي تحت عنوان دور الموالي في سقوط الخلافة الأموية حيث ركزت الباحثة عن تحليل الجوانب الاجتماعية والاقتصادية التي جعلت الموالي ينضمون للثورات المناهضة للسياسة الأموية .
كما أوردت الباحثة فصلاً تحدثت فيه عن سياسة الخلفاء الأمويين الاقتصادية أتجاه الموالي .
كذلك رسالة ماجستير منشورة للأستاذ أحمد إسماعيل علي،بعنوان تاريخ بلاد الشام فى فترة مـــا قـــبل المـــيلاد حتى نهاية العصر الأموي، وفيه نجد أن الباحث قسم موضوع بحثه إلي ستة أبـــواب ، حيث يتناول بلاد الشام قبل الميلاد ، أهم مدن الشام ، وبعض الشعوب التي سكنت تلك المـــنطقة ، ولكـــن مـــا يؤخذ علي الباحث هو أنه ركز في حديثة علي الأوضاع السياسية دون الأوضاع الأخرى.
ومن بين المصادر التي أعتمدت عليها هو بن عساكر الدمشقي واسمة الحافظ الكبير الثقفي الدين أبـــو القاسم علي بن الحسن بن هبة عبد الله بن الحسين بن عساكر الشافعي أمام أهل الحديث في زمانـــه وحامـــل لـــوائهم مولده في العشر الأخيره من محرم سنه499، فسمع الحديث وعمره 6 ســـنين ، ثـــم طلـــبه ورحل بنفسه وجاب البلاد ، فجمع الكتب وكتب الكثير منها ويقول عنه ابن خلكـــان في تاريخه "كان محدث الشام في وقته ومن أعيان الشافعية ،غلب عليه الحديث ،فأستمر به وبالغ في طلبه فجمع منه مالا يتفق لغيره .
وتفقه في حداثته بدمشق على الفقيه أبي الحسن على بن المسلم بن محمد بن على السلمي ،عمدة أهل الشام وفقيهم ،وكان ملازما الغزالي مده مقامه بدمشق .
ولأبن عساكر كتابان أحدهما تاريخ دمشق ،ولاجرم أن كان اكبر تأليفه ،واكثرها ذيوعا وشمولاً كتابة تاريخ دمشق .
وأهمـــية هـــذا الـــتاريخ لاتكمن في انه تاريخ لمدينة دمشق أحد اكبر معاقل الحضارة الإنسانية والعلـــوم الإسلامية عبر مختلف العصور فحسب بل انه موسوعة حديثه وهو من أوسع المصادر في سير الرجال فمنه يمكن استخلاص كتب وأسفار عدة في موضوعات وعلوم وفنون شتى فهو مرجع لعلماء الحديث لأحتوائه على الآلاف من الأحاديث النبوية الشريفة والآثار.
وكـــتابه الثانـــي الـــتاريخ الكبيـــر وهو مقسم لأجزاء عديده ،فإذا كان تاريخ الطبري يعد أغنى المـــصادر تقـــريبا عـــن تاريخ الفرس ،فان تاريخ ابن عساكر اغنى المصادر عن تاريخ العرب المـــسلمين مـــن نقطـــة الانطلاق الأولى وعلى امتداد الرقعة الجغرافية التي وصل أليها الإسلام ،خـــصوصا فـــي الحقـــبات التاريخية التي كانت دمشق عاصمة الحياة العربية ،ومصدر القرار ومحج ومود الجماعات من الجزيرة والعراق وفارس وغيرها.

الفصل الأول

لمحة عامة عن مدينة دمشق

أ- الموقع الجغرافي

ب- النشأة واصل التسمية

جـ - دمشق قبيل الفتح العربي الإسلامي

د- الفتح العربي الإسلامي لمدينة دمشق إلى أن أصبحت حاضرة الخلافة الأموية

هـ- خطط دمشق زمن الراشدين والامويين

أ - الموقع الجغرافي:-

تقـــع دمشق في مركز متوسط في قلب العالم القديم ، وهي النقطة التي يلتقي فيها الطريق الذي يخترق سوريا من الشمال إلي الجنوب ، بنهر بردي الذي يجري من الغرب إلى الشرق ، فهي بذلك تحتل موقعاً جغرافياً فريداً من نوعه[1] . حيث تقع مدينة دمشق عل خط عرض 33 /33 وخط طـــول 36/17 شـــرق غـــرينتش، وكان موقعها في البقعة التي توزعت فيها مياه النهر، وتشابكت فروعه فيها، تحتضنها بساتين ، ومروج الغوطة ، ويحيط بالغوطة من الشمال والغرب جبال جرداء هي جبال قاسيون والمزة ، ومن جهة الشرق البادية ، ومن الجنوب مناطق قاحلة [2].

وأفـــاض الرحالة في وصف مدينة دمشق ، فقد ورد في كتاب أحسن التقاسيم بأن " إقليم الـــشام جلـــيل الشأن ديار النبيين ، ومركزة الصالحين ، ومعدن البدلا ومطلب الفضلاء ، وبه القبلة الأولـــى ، وموضـــع الحـــشر والمسرى ، والأرض المقدسة والربطات الفاضلة ، والثغور الجليلة ، والجـــبال الـــشريفة ، ومهاجر إبراهيم وقبره وديار أيوب وبئره ،ومحراب داوود وبابه ، وعجائب سليمان ومدنه وتربة إسحاق وأمه ، ومولد المسيح ومهده ، وقرية طالوت ونهره ... " [3] .

ويذكر صاحب كتاب صورة الأرض " أما جند دمشق فقصبتها دمشق ، وهي أجل مدينة بالشام في ارض مستوية ، قد ذحيت بين جبال تقف بها إلى مياه كثيرة وأشجار وزروع ..." [4].

وذكـــر أحـــدى المحدثـــين : "...مديـــنة دمشق مدينة جليلة قديمة، وهي مدينة الشام في الجاهلية والإســـلام، ولـــيس لها نظير في جميع أجناد الشام، في كثرة ازدهارها وعمارتها ، ونهرها الأعظم ..." [5].

ورود ذكرها في كتاب " تشنيف المسامع في وصف الجامع " حيث قال :

" ... وأمـــا دمشق فإنها في وجنة الدنيا كالشامة ، وزينة البلاد كريش الطاووس أو طوق الحمامة ، وفـــي دائرة الأقطار كالنقطة المعلمة ، وفي جيش الأمصار كالملك الذي ينطق بالحكمة ، وفي قلادة الأقالـــيم كالواســـطة ، وفي السماء الحلل كالشمس التي بد أشعتها في الوجود باسطة ، وهي الربوة المباركة والمعدودة من جملة مدائن الجنة ، والمأهولة بالأهلة من أرباب الكتاب والسنة ، والمعروفة بأرم ذات العماد ، والموصوفة بلم يخلق مثلها في البلاد ... [6]".

---

(1) – عصام الدين عبدالرؤوف : الحواضر الإسلامية الكبرى ، دار الفكر العربي (1976) ، ص 31 .

(2) – عفيف البهنسي : عمران الفيحاء ، دار الفكر (دمشق ، 2002) ، ص 39 .

(3) – شمس الدين أبو عبد الله المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مكتبة مدبولي (القاهرة ، 1991) ، ص 153 .

(4) – ابن حوقل : صورة الأرض ، منشورات مكتبة الحياة ، (بيروت ، د. م) ، ص 153 .

(5) – أبو علي أحمد بن عمر بن رستة : الاعلاق النفيسة ، مطبعة بريل (ليدن ، 1891) ، ص 325.

(6) – محمد البتري : لزهة الأنام في محاسن الشام ، المطبعة السلفية ، (القاهرة ، 1922) ، ص ص 40 ، 41.

كما جاء ذكرها في كتاب : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار بأن دمشق "هي التي تفضل جميع البلاد حسنا ، وتقدمها جمالا،وكل وصف وان طال فهو قاصر عن محاسنها..."[1] ويقول أبن جبير عن دمشق: " ...أما دمشق فهي جنة المشرق، ومطلع حسنه المؤنق المشرق وهي خاتمة بلاد الإسلام التي استقر بناها، وعروس المدن التي اجتلياها قد تحلت بأزاهير الرياحين، وتجلت في حلل سندسية من البساتين، وحلت من موضع الحسن بالمكان المكين، وتزينت في منصتها أجمل تزيين، وتشرفت بأن أوى الله تعالي المسيح وأمه صلى الله عليهما منها إلى ربوة ذات قرار عين، ظل ظليل وما سلسبيل،وقد أحدقت البساتين بها أحداق الهالة بالقمر، واكتنفها اكتناف الكمامة للزهر... "[2]

ويذكرها البحتري في إشعاره قائلا :-

أما دمشق فقد أبدت محـــاسنها وقد وفى لك وطريها بما وعـــدا

إذا أرت ملأ العيـــن من بلدا مستحسن وزمان بشيـــة البلدا

تمشي السحاب على أحبالها فرقا ويصبح النور في صحرائها بـــردا [3] .

ويـــرد ذكـــرها أيضا في كتاب نزهة المشتاق، وفيه يصف لنا دمشق قائلا: "...دمشق من اجـــل بـــلاد الـــشام، وأحسنها مكانا، وأعدلها هواءً، وأطيبها ثرى، وأكثرها مياها، وأغزرها فواكه، وأعينها خصبا، وأوفرها مالا، وأكثرها جندا، واشمخها بناءا... " [4].

وتذكـــر عـــند غيـــره : " قصبة بلاد الشام ، وجنة الأرض ، لما فيها من النظارة وحسن عمارة ، ونزاهه الرقعة ، وسعة البقعة ، وكثرة المياه ، والأشجار ، وارخص الفواكه والثمار ، قال أبـــو بكر الخوارزمي جنان الأرض أربع ، غوطة دمشق وصغد سمرقند ، وشعب بوان ، وجزيرة الأبلـــة ، وقد رأيت كلها فأفضلها غوطة دمشق ... والمدينة الآن عظيمة ، ذات سور وخندق قهندز والعمارات .

مـــشتبكة من جميع جوانبها ، والبساتين محيطة بالعمارات فتراسخ وقلما ترى بها دارا أو مسجدا أو رباطا أو مدرسة أو خانا إلا وفية ماء جار ... "[5].

---

(1) – محمد بن عبد الله ابن بطوطة : مسهب رحلة بن بطوطة المسماة (تحفة النظار في غرائب الأمصار ، وعجائب الإسفار ، المطبعة الأميرية (بولاق ، 1934) ج 1 ، ص 68

(2) - محمد بن أحمد جبير : رحلة بن جبير ، دار صادر (بيروت ، 1964) ، ص ص 234 ، 235 .

(3) - أحمد بن محمد المقري التلمساني : نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس (بيروت ، 1968) ، مج1 ، ص ص 395 - 396 .

(4) - أبو عبدالله محمد بن محمد الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، عالم الكتب ، (بيروت) ، مج1 ، ص 366 .

(5) - زكريا بن محمد بن محمود القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر (بيروت ، 1969) ، ص 189 .

وبعد هذا العرض لما قاله الرحالة عن وصف لمدينة دمشق ، وذكر لمحاسنها ، وما تتمتع به من موقع جغرافي ، فهي تعتبر من اكبر مدن سوريا ، وهي تقع في قلب سوريا وتبعد عن بيروت مائة واثني عشرة كيلومترا ، باتجاه الشرق مع انحراف إلى ناحية الجنوب [1] فبذلك تكون على حافة الصحراء العربية الشامية في ظهر الحاجز المزدوج المكون من جبال لبنان الشرقية ، المعروفة بجبال جرمون[2] .

وما يفهم من الأخبار الماضية أن مساحة سطحها قليلة نوعا ما ، وذلك لوقوعها على ضفة نهر بردي ، فقد يكون شكلها بيضاوي تقريبا ، وطولها من الشرق إلى الغرب يساوى ميل تقريبا ومن الشمال إلى الجنوب يساوي نحو الميل والنصف [3] ومحيطها تسعة أميال ونيف تقريبا وتعلو عن سطح البحر نحو 2400 قدم [4].

أما عن مناخها ، فهو شبيه بمناخ أكثر المدن العربية الإسلامية ، فهو جاف بسبب انفتاحها على الصحراء من الشرق ، كما أن لوجود جبال لبنان الغربية والشرقية ، دور في منع رطوبة البحر من التأثير القوي على مناخ دمشق ، وعلى هذا فإن أمطار دمشق غير منتظمة ، وتهب على دمشق الرياح الشمالية الغربية والغربية ، وذلك في أغلب فصول السنة ، ولكن في فصل الخريف تهب عادة الرياح الشرقية ، وتبلغ الرطوبة أقصاها في فصل الشتاء في دمشق ، وتصل إلى 82 % ، بينما تقل في فصل الصيف ، حيث تصل إلى 33% وتتفاوت الرطوبة خلال اليوم الواحد إذ تبلغ نهايتها العظمى خلال الصباح الباكر ثم تتناقص في الظهيرة ، وتعود في الكثافة بعد الغروب .

أنسب للدراسة من خلال هذا العرض السريع لمناخ مدينة دمشق ، انه مناخ جاف ، رياحه عاصفة سريعة تنقل الغبار من المناطق الجبلية القاحلة أو من البادية ، وهو يتشابه مع أكثر المدن العربية الإسلامية [5] ولكن يعتبر مناخ دمشق أفضل تقريبا من مناخ المنطقة المجاورة لها من الشرق [6]

ب- النشأة وأصل التسمية :-

لم يتفق المؤرخون على من قام ببنائها ، ومنشأ اختلافهم يرجع إلى اختلاف من نقل عنهم من علماء أهل الكتاب وغيرهم ، وأغلب المؤرخين المسلمين ، يرجعون تاريخ المدن والدول إلى أخبار الكتابيين ومن قبلهم من المؤرخين ، ولما تقرر أن العرب الأولى لم يكونوا أهل علم وتسطير ، وذلك بمقتضى سذاجة البداوة والعروبة ، ولئن حفظوا أنسابهم ، ووقائعهم ومفاخرهم فإن ذلك لم يكن عن كتابه ، وإنما كانوا يحفظون تلك الأخبار ، وهذا أمر معروف عن العرب ومشهور بهم ، وبقي على المؤرخين المسلمين تمحيص أخبار أهل الكتاب وتنقيحها يعرض بعضها على بعض ، ونحن سنورد بعض الآراء التي نعتبرها قريبة إلى الصحة ، ونعرض عن بقية الأقوال المنتشرة .

---

(1) - نعمان قساطلي : الروضة الغناء في دمشق الفيحاء ، دار الرائد (بيروت ، 1879) ، ص 5 .
(2) - إبراهيم زكي خورشيد ، وآخرون : دائرة المعارف الإسلامية ، 9 ، ص 264 .
(3) - محمد آل تقي الدين الحصيني : منتخبات التواريخ لدمشق ، دار الآفاق الجديدة (بيروت ، 1979) ج1 ، ص ص 28 ،29 .
(4) - نعمان قساطلي: مصدر سابق، ص 5.
(5) - عفيف البهنسي: مرجع سابق، ص ص40،41.
(6)- دائرة المعارف الإسلامية : مرجع سابق ، ص 29 .

فيذكـر أحـد المؤرخين من أهل السيرة ، والإخباريين في قصة هبوط آدم وحواء عليهما السلام ، وهابـيل وقابـيل ، واختـصاص كل منهما بمحل قريب من دمشق وإنها عمرت من عهد آدم عليه السلام [1] .

بيـنما نجـد في كتاب معجم البلدان ، أن كعب الأحبار قد روى أن أول حائط وضع في الأرض بعـد الطوفان هو حائط دمشق وحران [2] ، وهناك رأي يقول بأن دمشق بن قاني بن لامك بـن ارفخشد بن سام بن نوح هو الذي بنى دمشق [3] ورأى آخر إن بناؤها ينسب إلى ملك آخر يقال له جيرون بن سعد بن عاد بن عوص بن أرم ، وكان بناؤها قبل إبراهيم الخليل وقبل ثمود [4] وكان من آثار بناء جيرون أنهم عثروا على أربع مئة ألف وأربعون ألف عمود من الرخام [5] .

وهناك من يذكر أن بنائها كان بعد عهد سيدنا إبراهيم عليه السلام فقد روى عن وهب بن منـبه ، أن غلام إبراهيم عليه السلام ، الذي وهبه له النمرود بن كنعان ، والذي يدعى دمشاق ، هو الذي بنى دمشق وسميت بأسمه [6] .

ويعزو البعض بناؤها إلى بيوراسب ملك الفرس [7] ، وقيل بناها دمشق غلام ذي القرنين بإشـارة مـنه [8] ، وسكن فيها ومات فيها أيضا فسميت بأسمه [9] وهناك من ربط بين بناء دمشق ، وبـين حركة الكواكب ، مستندين على ما قاله بن عساكر ، بأن بانيها جعل كل باب من أبواب هذه المدينـة لكـوكب من الكواكب السبعة ، وصور عليه صورته ، فجعل باب كيسان لزحل ، والباب الـشرقي للـشمس ، وباب توما للزهرة ، والباب الصغير للمشتري ، وباب الجابية للمريخ ، وباب الفـرادیس لعطارد ، وباب السرور " الفرج " للقمر [10] ويقال أن اليونان هم الذين وضعوا الأرصاد وتكلموا عن حركات الكواكب ، لذا فقد عزا البعض بنائها إلى اليونان [11] .

ومـن الآراء السابقة يستنتج أن هذه المدينة قديمة العهد والبنيان ، وجدت قبل زمن سيدنا إبـراهيم علـية السلام بناءا على شهادة التوراة ، حيث يقال أن إبراهيم تتبع أسرى لوط بن أخيه ، وهـذا جـرى سنة 1913 قبل ميلاد المسيح تقريبا وبناءا على ذلك تكون مدينة دمشق قد بنيت منذ أكثر من 3791سنة[12] وهناك من يذكر أن بناؤها كانت في سنة 3145 ق.م ، من جملة الدهر الذي

---

(1) – محمد ال تقي الدين الحصيفي: مصدر سابق، ج1، من ص 28، 29 .

(2) – شهاب الدين ياقوت الحموي : معجم البلدان ، دار صادق ، (بيروت ، 1956) ، مج2 ، ص 464 .

(3) – شمس الدين المقدسي : مصدر سابق ، ص 159 .

(4) – شمس الدين محمد بن طولون : قرة العيون في أخبار باب جيرون ، مطبوعات المجمع العلمي (دمشق ، 1964) ، ص 8 .

(5) – صلاح الدين المنجد : مدينة دمشق عند الجغرافيون والرحالة العرب ، دار الكتاب الجديد (بيروت ، 1967) ، ص 282 .

(6) – محمد ال تقي الدين الحصيفي: مصدر سابق، ج1 ص 22 .

(7) – صلاح الدين المنجد:مرجع سابق ، ص 283 .

(8) – شمس الدين بن طولون: مصدر سابق، ص 9.

(9) – صلاح الدين المنجد:مرجع سابق ، ص 283 .

(10) – المرجع نفسه ، ص 283 .

(11) – نقولا زيادة : مدن عربية ، دار الطليعة (بيروت ، 1965) ص 144 .

(12) – عبدا لحكيم الغيثي : موسوعة ألف مدينة إسلامية ، الدار العربية للكتاب ، (2000) ، ص 236 .

كذلك نعمان قساطلي:مرجع سابق، مرجع سابق ، ص 10 .

يزعمون انه تسعة آلاف سنة ، وولد سيدنا إبراهيم الخليل علية السلام بعدها [14] وهنا تضع الاحتمالات فإذا كانت في زمن سيدنا إبراهيم مدينة معروفة ومشهورة ، فمعنى ذلك إنها بُنيت قبله بمئات السنين ، وان اخطأ فأرجح أن يقال إن اليعازر بن دمشاق ، غلام سيدنا إبراهيم وأسلافه قد وضعوا أساسها لحسن موقعها ، هذه ما نراه قريباً إلى الصحة مما ذكره المؤرخون عن بناء هذه المدينة العربية المسلمة ، والتي عرفت بعدة أسماء ، مثل الشام ، حيث نجد في بعض الكتابات أحياناً اسم الشام يطلق على دمشق ، وذلك لأن العرب كثيراً ما يسمون القواعد بأسماء أقاليمها ، أو من باب إطلاق العام على

الخاص، فكانوا يقولون دون تميز دمشق أو الشام ، والفسطاط أو القاهرة ، أو مصر وسيام أو حضر موت ، والأندلس بدلاً من قرطبة [1] والشام جمع الشامة ، وهي الخال الشؤم نقيض اليمن ، ويقال رجل مشوم ومشئوم [2] والشامة علامة مخالفة لسائر اللون ، والجامع شامات [3] كما إنها سميت بجلق ، بجيم مكسورة ، ولام مشدودة مفتوحة ، وقاف في آخر الكلمة ، بذلك ذكرها حسان بن ثابت الأنصاري في مدحه لبني غسان ملوك العرب بالشام بقوله :-

لله دُرعصابة نادمتهم يوماً بجلق في الزمان الأول[4] .

كما عرفت أيضا باسم جلق الخضراء والغوطة وذات العماد [5] وعرفت كذلك بالعذراء، بفتح العين وسكون الذال، وفتح الراء المهملة، وألف بعدها [6] وفي موضع آخر عرفت بجيرون، بفتح الجيم وسكون الياء المثناه، وضم الراء المهملة وسكون الواو ونون في آخر الكلمة [7] وهناك من يذكر تسميتها بالتين، ولكن لم نقف على تعليل من قبل المؤرخين فيه، ولكن قد يكون هذا الاسم، لوجود شجرة التين في معبد المدينة، ورغم ضعف هذا التعليل إلا إنه لا يوجد تعليل آخر لهذه التسمية [8] ومن أسماءها أيضا أنها كانت تعرف عند الرومان باسم دمسقوس وعند الفرنجة باسم داماس[9] كذلك عرفت بالفيحاء، وربما يكون معناها المتسعة أو دليل علي اتساعها [10] .

---

(13) – محمد آل تقي الدين:مصدر سابق ، ج1 ص 22 .

(1) – محمد كرد علي : خطط الشام ، المطبعة الحديثة (دمشق ، 1925) ج1 ، ص 48 .

(2) – إسماعيل ابن حماد الجوهري : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطا ، دار العلم للملايين (بيروت ، 1987) ج5، مادة / جلر (س أ م) ص 1957، مادة / جلر (ش ي م)، ص 1963.

(3)– أبو الفضل جمال الدين بن منظور : لسان العرب ، دار صادر (بيروت ، د.ت) ، مج2، جلر / مادة (ش ي م) ص 329 .

(4) – صلاح الدين منجد:مرجع سابق، ص 282 .

(5) – عصام الدين : مرجع سابق ، ص 10.

(6) – صلاح الدين منجد:مرجع سابق، ص203.

(7) – أحمد بن علي القلقشندي : صبح الاعشى في صناعة الإنشاء ، دار الفكر (بيروت ، 1987) ، ج 4 ، ص 95 .

(8) – محمد آل تقي الدين : مصدر سابق ، ص ص 26 ،27 .

(9) – صلاح الدين المنجد: مرجع سابق ، ص 312 .

(10) – نعمان قساطلي: مصدر سابق ، ص 8 .

ج- دمشق قبيل الفتح العربي الإسلامي:-

خـــضعت ســـوريا للسلوقيين 587 ق. م ، الذين لم يمض وقت طويل بعد موت الإسكندر، حتى تخللهم الضعف والانهيار وتقسمت المملكة بين قادته الأربعة، فاغتنم الأنباط الفرصة وكونوا دولتهم المعـــروفة [1] وكان أول ظهور لهم في القرن السادس قبل الميلاد، كقبائل بدوية في المنطقة الواقعة شرق الأردن[2]

أي فـــي ســـنة 587 ق. م تقريبا [3] ومنذ ذلك الحين أخذ الطابع العربي يسود في دمشق حتى توالت عليها الهجرات العربية – هجرات القبائل العربية – واستقرت في المنطقة المحيطة بها، وظلت هذه المملكة حتى استولى عليها الرومان سنة 105 م.

عمد الرومان إلى إضعاف الإمارات العربية بالشام، والقضاء على نفوذها، لأن استقلالها يهـــدد سلامة الإمبراطورية الرومانية، وظهر ذلك واضحا مع إمارة تدمر التي حالفت روما، ونفذت سياســـتها ضد الفرس، ولكن ما لبثت هذه الإمارة حتى قضى عليها الرومان سنة 273 م، ثم أخذت قبـــيلة أخـــرى فـــي الظهور ودعم نفسيا للقيام على أنقاض إماراتي الأنباط وتدمر، وتقيم دولة في الجنوب الشرقي في دمشق *.

وكمـــا ذكر سابقا فإن العديد من القبائل العربية هاجرت إلى الشام، مثل الضجاعمة **، الـــذين نزلوا بالبلقاء وظلوا بها إلى أن قدم عليهم الغساسنة، حيث طالبهم الضجاعمة بالإتاوة وظلوا يـــؤدونها إلـــى أن تغلـــب عليهم الغساسنة ، وانشأوا لأنفسهم دولة عرفت باسمهم واتخذت أكثر من عاصمة، مثل بُصرى، والجابية [4].

كانت دمشق إحدى المدن المهمة في العصر الروماني، ومن آثارها في العصر الروماني، معـــبد جوبيتر ، الذي مازالت آثاره واضحة حول الجامع الأموي الكبير ، ومن آثارهم أيضا القناطر

---

(1) – أحمد إسماعيل علي : تاريخ بلاد الشام منذ ما قبل الميلاد وحتى نهاية العصر الأموي ، دار دمشق (دمشق ، 1982) ص 77 .

(2) – فيليب حتي : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، دار الثقافة ، (بيروت ،8 195) ، ج1 ، ص 416 .

(3) – أحمد إسماعيل علي : مرجع سابق ، ص 77 .

(4) – عصام الدين عبد الرؤوف : مرجع سابق ص ص 7 – 8 .

* يعتقد ان هاجرت قبيلة الازد من اليمن اثر انهيار سد مأرب سنة 120 ق.م واستقرت احدى قبائلها بجوار ماء يقال له غسان بالشام ، فسموا الازد غسان

** الضجاعمة من ولد سليح بن عمرو بن حلوان من قضاعة ، وقد هاجرت قبيلة قضاعة الى الشام حوالي سنة 230 أي نهاية تدمر انظر عصام عبد الرؤوف مرجع سابق ص 8

المائـية أو القـنوات المائـية ، كما يذكر أن دمشق في عهد الرومان كانت محاطة بسور مستطيل الـشكل طوله ألف وخمسمائة متراً ، وعرضه سبع مئة وخمسون متراً ، تخترقه أبواب سبعة ، لكل بـاب أسـم بحـسب الكواكب السبعة – وسنتحدث عن هذه الأبواب وعن عددها وأسمائها لاحقا – ويختـرق المدينـة مـن جهة الشرق إلى الغرب شارع طويل مستقيم توجد فيه المخازن التجارية ، مـوزعة علـى طـوله ، وما يميز التجارة في دمشق عبر التاريخ إنها كانت مستقلة تجاريا وغير خاضعة لاقتصاد الممالك الكبرى مثل فارس وروما أو بيزنطة ، وذلك على عكس ما كان سائداً في تدمـر والبتـراء ، ولكـن هذه الثغور – تدمر والبتراء – كانت تتبادل التجارة المستقرة مع المدن الداخلـية ، وخاصـة دمشق التي تأثرت تجارتها ازدهاراً وفقراً في كل مرة بما كان يطرأ على هذه الـثغور مـن تغيير[1] وزاد الاهتمام بدمشق زمن البيزنطيين ، خاصة بعد أن أحس البيزنطيون أن الفرس يتطلعون إلى الاستيلاء عليها ، فأخذ البيزنطيون الغساسنة الذين كانوا يقيمون في دمشق وفي المـناطق القـريبة منها – حليفاً لهم ضد الفرس لحماية حدود دولتهم [2] فأصبح بذلك الغساسنة هم عمّـال الرومان على دمشق فساسوها مع ما يتبعها أحسن سياسة – وهذا يدل على أن نظام الإمارة علـى الـبلدان أو تقلـيد العمّـال كان معروفاً في دمشق قبل الإسلام – كما أن نظام الدواوين كان معروفا في دمشق في العهد الروماني وذلك حسب ما ذكره القساطي عندما قال أن في سنة 59 ق.م حـدثت مقـتلة عظـيمة وذلـك عندما أراد اليهود أن يكونوا من بين أعيان الديوان الروماني، وان الـسوريين قـد رفـضوا ذلك مما أدى إلى ثروة اليهود وقتلوا عدداً كبيراً من الأهالي، مما أغضب الوالي كلوديوس وأمر جنده فقتلوا مقتلة عظيمة من اليهود [3] .

فأخـذت هـذه السياسة إلى تقوية الطابع العربي في دمشق حيث كان العرب يفدون إليها للـتجارة، وكان يقضي الحلف بين الغسـانة والروم بأن يمد الروم الغساسنة بأربعين ألفاً إذ هاجمهم العرب، وأن يمدوا الروم بعشرين ألفاً إذ حاربهم الفرس[4].

وتحـت تأثيـر مـا بيـنهم وبـين البيزنطيين الذين يدينون بالنصرانية ، اعتنق الغساسنة النـصرانية، وامتدت في دمشق، حتى أن الملك ثيودوثيوس، أمر بنزع الأصنام من دمشق وغيرها من ممالكه [5] وكان من أعظم ملوك الغساسنة الحارث الثاني بن جبله (529 – 569 م) وقد رفعه جستنيان إلى مرتبة الملوك وبسط سلطانه على كافة قبائل العرب في الشام وقامت بين الحارث وبن جبله ، والمنذر بن ماء السماء – أمير الحيرة – حرباً لادعاء الثاني ملكية الطريق الممتد من دمشق

---

(1) – عفيف البلهسي: مرجع سابق ، ص ص 28 – 29 ، 59 .

(2) – عصام الدين عبدالرؤوف: مرجع سابق ، ص 8 .

(3) – نعمان قساطلي: مصدر سابق ، من ص 14 ،15 .

(4) – عصام عبدالرؤوف: مرجع سابق ، ص 9 .

(5) – نعمان قساطلي: مصدر سابق ، ص 16 .

إلـــى مـــا بعـــد تدمر ، وأمره كسرى أن يتوغل في سوريا ، فأجابه لذلك ، وقامت الحرب بينهما ، وتقدم كسرى والمنذر حتى أوشكا على فتح القسطنطينية ، فطلب الإمبراطور البيزنطي من الحارث بن جبلة أن ينظم إلى قائده بليز أريوس في صد الفرس والمناذرة .

ولـــم يمـــض على هذه الغزوة فترة طويلة حتى عاد الأميران العربيان إلى القتال سنة 544 م ، وانتـــصر الحارث بن جبله انتصاراً حاسماً في موقعة عين أباغ ، ولما توفي الحارث سنة 570 م ، خلفـــه ابـــنة المنذر ، وما لبث أن هاجمهم عرب الحيرة فقاتلهم وانتصر عليهم ، ثم حدثت جفوة بين المـــنذر وبيـــزنطة ، وذلـــك بسبب المذهب الذي كان سائداً في ذلك الوقت في سوريا وهو المذهب المينوفـــستي ، على حين أن الدولة البيزنطية كانت على المذهب الملكاني ، وانتهز أهل الحيرة هذه الفرصـــة وأعـــادوا الكـــرة مـــرة ثانـــية وأغاروا على دمشق ، فأضطر الإمبراطور البيزنطي إلى استرضاء الأمير الغساني ، ودعاه إلى القسطنطينية سنة 580 م ، وأحسن استقباله وانعم عليه بالتاج ، حتـــى سماه بعض المؤرخين العرب أسم (المنذر ملك العرب) ولكن ما لبث أن ارتاب الروم من ولاء المـــنذر ، فـــنفاه الإمبراطور البيزنطي سنة 580 م إلى حقلية حيث توفي بعد سنتين ، فسخط أبـــناء المـــنذر علـــى الإمبراطور البيزنطي ، وشقوا عصا الطاعة على الدولة الرومانية ، واخذوا يـــشنون الغـــارات علـــى أراضي الدولة الرومانية ، بقيادة أخيهم الأكبر النعمان بن المنذر ، ولكن تمكـــنت الحكومة البيزنطية من أسر النعمان سنة 583 م ، وبذلك انهار سلطان الغساسنة في الشام ، وتـــرتب علـــى هذا الانهيار هجرة بعض القبائل العربية إلى الشام ، ومن اشهرها ، قبيلة كلب التي امـــتلكت غوطة دمشق ودومة الجندل وتبوك ، ومن الآثار السيئة – لسقوط الغساسنة – على مدينة دمـــشق هـــو غـــزو الفرس لبلاد الشام ، واستولوا على دمشق ، وخربوا كثيراً من أبنيتها ولكن لم يستمروا طويلا في الشام إذ تمكن الإمبراطور هرقل من طردهم سنة 628 م [1].

وفـــي هـــذه الفتـــرة القريبة من الفتح الإسلامي لدمشق، فلقد أسهم تجار دمشق قبل وبعد مجئ الفرس في قيادة وحماية القوافل التجارية، وفي تحقيق تبادل السلع مع المدن والقرى وسكان البادية ممـــن عرفوا هؤلاء التجار وتأكدوا من جدارتهم وأمانتهم، وكانت سيطرة تجار دمشق على الدروب كاملة، مما دفع الفرس لكسب صداقتهم ومودتهم، فليس من الغريب أن تتابع دمشق مكانتها التجارية في صدر الإسلام [2].

د- الفتح العربي الإسلامي لمدينة دمشق إلى أن أصبحت حاضرة الأمويين:-

عـــرفنا مما سبق إن آخر دولة بسطت سلطانها على الشام هي الدولة الرومانية والتي كانت تقيم في بداية حكمها العدل والمساواة بين الرعية، والرفق بالشعوب، مما أدى إلى عظمت شأنها واتساع

---

(1) - عصام عبدالرؤف: مرجع سابق ، ص ص 9 ، 10 ، 11 .
(2) – عفيف البنهيي : مرجع سابق ، ص ص 58 ، 62 .
(3) – محمد آل تقي الدين الحصيني : مصدر سابق ، ج 1 ، ص 46 .

سلطانها [3]، ولكن ما لبثوا حتى أصيبوا بالعظمة والتكبر والظلم، ونبذ العدل، وانغمسوا في المنكرات، وتقاعصوا عن الواجبات، وقلدوا المناصب لمن لا يستحق، مما ترتب علية من فساد لأخلاق الرعية ، ونفرهم من حكمها ، فذهبت سطوة الحكام ، وانحط قدرهم [1] .

وفي هذه الفترة بعث رسولنا محمد ﷺ ، وانبثق نور الهدى والإسلام في شبة الجزيرة العربية [2] فبعد أن استقر الأمر أرسل النبي ﷺ غزوتين على الشام ، الأولى منها ، كانت بقيادة زيد بن الحارث ، وهي مكونة من ثلاثمائة رجل عربي ، هدفها بلده تدعى مؤته ، وقد يكون السبب في إرسال النبي ﷺ هذه الغزو ، هو قتل أحد ملوك الغساسنة للرسول الذي بعثه النبي ﷺ وفيما يبدو أن سكان مؤته لم تكن عندهم هذه الغزوة ، إلا مجرد غارة من الغارات التي يشنها العرب على بعضهم البعض من قبل ، وهم معتادون عليها منذ زمن بعيد وفي السنة التالية 630 م قاد النبي ﷺ بنفسه حملة على تبوك انتهت بخضوع سكانها ، ووهبهم النبي ﷺ حق الحفاظ على ممتلكاتهم والبقاء على عقيدتهم ، شريطة أن يدفعوا جزية سنوية ، ومن بين المواطن أيلة ، الجرباء ، اذرح ، وتعتبر هذه المواطن هي الوحيدة في دمشق التي اتصل بيا الإسلام أثناء حياة الرسول ﷺ [1]

كما أن النبي ﷺ قد جهز حملة أو غزوة أخرى بقيادة أسامة بن زيد ، ولكنه انتقل إلى الرفيق الأعلى قبل أن تتحرك هذه الغزوة ، وبعد تولية الخليفة أبي بكر لزمام الخلافة وانتهائه من حروب الردة ، شرع في إرسال هذه الحملة ، ودعمها بخيرة مقاتلي المسلمين من المهاجرين والأنصار ، حيث كان يرمي من وراء هذه الحملة إلى أشعار الخارجين عن الخلافة الإسلامية في المدينة بقوتها وثباتها ، ومركزيتها[2] ويذكر ابن الأثير إن لهذه الحملة أهمية بالغة الأثر للمسلمين ، حيث قال العرب : " لو لم يكن ليهم قوة ، لما أرسلوا هذا الجيش ، فكفوا عن كثير مما كانوا يريدون أن يفعلوا ..."[3] وقال بعض الصحابة، للخليفة أبي بكر: " انتفضت عليك العرب، فلا ينبغي أن تفرق جماعة المسلمين عنك " فأجابهم الخليفة أبي بكر، لا أرد قضاء أقضى به رسول الله ﷺ ولو ضننت أن السباع تخطفني، لأنفذت جيش أسامة كما أمر النبي ﷺ ، وعموماً خرجت هذه الغزوة ، رغم

---

(1) – نعمان قساطلي: مصدر سابق ، ص 17 .

(2) – محمد آل تقي الدين: مصدر سابق ج1، ص 46 .

(3) – فيلب حتي: مرجع سابق ، ص 4 .

(4) – عصام الدين عبدالرؤوف: مرجع سابق ، ص ص 13 – 14 .

(5) – أبو الحسن علي ابن أبي مكرم بن الأثير : الكامل في التاريخ ، دار الطباعة المنيرة ، مصر (1349 هـ) ج7 ، ص 253

معارضـــة بعـــض الصحابة ، قاصدةً البلقاء ، فما وصلت هذه الغزوة قرية اليني - يقال أنها قرية يمؤته

- حتـــى غـــزوا قوم من قضاعه ، وأوقعوا به ، وغنم المسلمون غنائم كثيرة ، وعادوا منتصرين إلى المدينة المنورة بعون الله [1].

وبعـــد اســـتقرار الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية، أخذ القادة أو الصحابة يتطلعون إلى نـــشر الدعوة المحمدية ، التي كانت لا تتجاوز الجزيرة العربية ، إلى نطاق واسع وسعيا إلى تحقيق أهـــداف استراتيجية [2] ومن بين هؤلاء القادة المسلمين عمر بن الخطاب ، وعثمان ، وعلي ، وعبد الله بن أبي الخز اعي ، وعدد من المهاجرين والأنصار الذين شهدوا بدر ، فدعاهم الخليفة أبي بكر ، إلـــى مجلـــس الـــشورى [3] ، ووضع لهم سياسته التي من شأنها توسيع الدولة العربية الإسلامية، وتوجـــيه الجـــيوش نحو الشام التي وضع الرسول ﷺ ، أساسها قبل وفاته [4] وقال فيهم " اعلموا أن الرســـول ﷺ ، عـــول أن يصرف همته إلى الشام فقبضه الله إليه ، واختار له ما عندنا ...إلا وانني عـــازم أن أوجـــه أبطال المسلمين إلى الشام بأهليهم ومالهم ، فإن الرسول ﷺ أنبأني بذلك قبل وفاته وقـــال : ذويت لي الأرض ، فرأيت مشارق الأرض ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما ذوي منها ، فما قولكم في ذلك" [5] فاستجاب له الصحابة وقالوا له " مرنا بأمرك ، ووجهنا حيث شئت" [6] فامتلأت روح الخلـــيفة أبـــي بكـــر بالفرح والسرور ، وأخذ يستعد للقيام بفتح الشام [7] وذكر " انه لما فرغ الخليفة أبي بكر الصديق ، من أمر أهل الردة ، رأى توجيه الجيوش إلى الشام ، فكتب إلى أهل مكة ، والطائـــف والـــيمن ، والحجـــاز ونجد ، يستنفرهم للجهاد ، ويرغبهم فيه وفي غنائم الروم " [8] ويذكـــر أخـــر في أحداث سنة ثلاثة عشر هجري : " وفي أولها جهزا أبي بكر الصديق البعوث إلى الشام "[9] وقال إني رأيت أن أوجهكم للروم في الشام ، لإعلاء كلمة الحق ، وجعل راية الله العليا ،

---

(1) - عصام الدين عبدالروؤف : مرجع سابق ، ص 14

(2) - احمد اسماعيل علي: مرجع سابق ، ص 103 كذلك محمد الـ تقي الدين : مصدر سابق ، ج1 ، ص 46.

(3) - أحمد عادل كمال : الطريق إلى دمشق ، دار النفائس (بيروت ، 1982) ، ص 162 .

(4) - عصام الدين عبدالروؤف: مرجع سابق ، ص 14 .

(5) - محمد ال تقي الدين : مصدر سابق ، ج1 ، ص 46 .

(6) - عصام الدين عبدالروؤف : مرجع سابق ، ص 15 .

(7) - محمد ال تقي الدين : مصدر سابق ، ص 47 .

(8) - أحمد بن يحي البلاذري : فتوح البلدان ، مكتبة النيضة المصرية ، (القاهرة) ص 128 .

(9) - الحـــافظ الذهبـــي : العبـــر فـــي خبـــر مـــن غبـــر ، تحقـــيق صـــلاح الدين المنجد ، سلسلة تصدرها دائرة المطبوعات والنشر ، (الكويت ، 1960) ج1 ، ص 15 .

ونشر دينه القويم فمن مات شهيداً ومن عاش فقد عاش مدافعاً عن الدين وناشراً له ، مستوجباً على الله عز وجل ثواب المجاهدين[10]

فاستجاب المسلمون لنداء الإسلام ، قادمين من كل حدب وصوب ، ومعهم الذراري والأطفال والنساء والأموال[1] .

فكانت أول الواصلين ، قبيلة حمير ، حيث فازت بالسبق ، في أحسن سلاحهم وابهى شكل يرأسهم ذو القلاع الحميري ، فخرج الخليفة ومعه عدد من الصحابة ووجوه المدينة لاستقبالهم ، وسلم ذو القلاع على الخليفة أبي بكر، وقد انشد أبياتاً يفتخر بها بقومه ، فسر الخليفة سروراً عظيماً ، ثم أقبلت بعدهم قبائل مذحج ، وقائدهم قيس بين هبيرة ، ثم قبائل طي ، ثم الأزد ، ثم بنو عبس وبنو كنانه ، وتهافت قبائل اليمن ونجد واليمامة حول المدينة " ، فطالت المدة على مقامهم فشكوا من قلة علف خيولهم ، ومراكبهم ، وجذوبة الارض ، فامر الخليفة بالنفير ، واشرف على تعبئة الجيوش بنفسه [2] .

فعقد الخليفة أبي بكر أربعة ألوية من قواد المسلمين ، وهم يزيد بن أبي سفيان ووجهته دمشق ، وشرحبيل بن حسنه ووجهته الأردن ، وعمر بن العاص ووجهته فلسطين ، وأبو عبيد بن الجراح ووجهته إلى حمص [3] ، وذكر أن الخليفة أبي بكر قد عقد ثلاثة ألوية ، وهم خالد بن سعيد بن العاص ، وشرحبيل بن حسنه وعمر بن العاص ، أما بن جراح فقد عقد له ولكنه استعفاه من ذلك ، وكان ذلك يوم الخميس المستهل صفر سنة ثلاثة عشر[4] وما يحض هذا الرأي أو يقلل من مصداقيته ، هو ما ذكر أن أب عبيدة بن الجراح ، طلب من الخليفة أبي بكر الصديق ، أن يستعفيه من القيادة ، علما بأن قواد المسلمين في ذلك الوقت متشوقون جميعاً للجهاد في سبيل الله ، ونشر دين الحق .

ويذكر الحافظ الذهبي: " أن أبي بكر الصديق ، أمر على الجيوش جماعة وهم عمر بن العاص ، ويزيد بن أبي سفيان ، وأبا عبيدة بن الجراح ، وشرحبيل بن حسنه" [5] أما قيادة الجيش بكاملة فتكون في حالة الانضمام إلى أمير المنطقة التي يتم بها التجمع [6] ويذكر أن الخليفة أبي بكر قال للقادة المسلمين :" إن اجتمعتم على قتال فأميركم أبو عبيدة وإلا فيزيد بن أبي سفيان " [1] .

---

(10) – احمد عادل كمال : مرجع سابق ، ص 163 .

(1) – عصام الدين عبدالروؤف : مرجع سابق ، ص 15 .

(2) – محمد ال تقي الدين : مصدر سابق ، ج1 ، ص 47 .

(3) – عصام الدين عبدالروؤف : مرجع سابق ، ص 15 .

(4) – البلاذري : مصدر سابق ، ص 128 .

(5) – الحافظ الذهبي : مصدرسابق ، ج1 ، ص 15 .

(6) – عصام عبدالروؤف : مرجع سابق ، ص 15 .

(1) – البلاذري : مصدر سابق ، ص 128 .

وتحركت الجيوش ، وسار معهم الخليفة ماشيا إلى ثنية الوداع ، الواقعة غربي المدينة وأوصى يزيد بن أبي سفيان وصية محكمة ، ننقل منها:-

" لا تضيق على نفسك ولا على أصحابك في المسير ، وابعد عن الظلم والجور ، فأنه ما أفلح قومٌ ظلمـــوا ... وإن انتصرتم على عدوكم ، فلا تقتلوا شيخا ، ولا ولدا ولا امرأة ، ولا تعقروا بهيمة ، إلا بهيمة المأكول ..." [1] .

وأوضح الخليفة أبي بكر لكل من هؤلاء القادة ، كلٌ منهم على حده ، مهمته المكلف بها ، وبـــين لهـــم أهم الصفات التي يجب أن تتوفر في القائد وجنده ، وتحركت هذه الجيوش بقيادة هؤلاء القادة الأفذاذ ووصلت كلا منها للمكان المعنية به .

ومما سهل على الجيوش الإسلامية عملية الزحف ،هو أن الإمبراطورية البيزنطية كانت قد كلفت من قبل القبائل العربية الموجودة بالشام حراسة حدود إمبراطوريتها مقابل الدفع لهذه القبائل العـــربية إتاوة سنوية ، ولكن أدت الحروب الطويلة التي كانت بين الروم والفرس ، إلى إثقال كاهل الإمبـــراطورية الـــرومانية ، وأضعاف قوتها المادية مما أضطر الروم على أثره من قطع إتاوه هذه القـــبائل العربية ، فلا عجب أن رأينا هذه القبائل العربية تفتح ذراعيها وترحب بالجيوش الإسلامية القادمة ، إضافة أن الرومان لم يكترثوا بادئ الأمر بهذه الجيوش وبالزحف الإسلامي ، أعتقاداً منهم بـــأنهم ســـيتوقفون عـــند مكان معين ، أو أنه كسابق غزواتهم الأولى في عهد الرســول ﷺ ، وأنهم ســـيعودون أدراجهم لا محالة ، ولكن المسلمين جاءوا على عكس ما توقع الرومان ، وأخذوا بالسير قـــدما فأنـــزعج الرومان من هذا التقدم الكبير وأرسلوا إلى ملكهم هرقل ، الذي كان في القدس فأمر بجمـــع عدد كبير من الجند ورأى أن يقابل كل جيش من جيوش المسلمين الأربعة على حده ، فعلم القـــادة المـــسلمون بهذا الأمر ، فأشار إليهم عمر بن العاص بأن يتجمعوا في مكان واحد ولقي هذا الـــرأي ترحيبا من بقية القادة المسلمين ، وتم اللقاء عند اليرموك [2] وعلم هرقل بأخبار المسلمين ، فأمـــر قـــادة جـــنده بـــأن ينزلوا في مكان واسع العطن ، ضيق المهرب ، فنزلوا الواقوصة ، وبقي الجيـــشان العربـــي ، والرومانـــي متقابلان ، ولم يحدث أي اصطدام بينهم ، ووصلت الأخبار إلى الخليفة أبي بكر الصديق فأنزعج منها ، ورأى أن يستقدم خالد بن الوليد ، الذي كان يفتح مدن العراق ، لما له من مقدرة عسكرية ، وجرأة وشجاعة ، والمعروف بالجسور وعدم الأحجام ، ولـــيس معنى ذلك إننا نشكك في قدرة القادة المسلمين الآخرين ، ولكن كان عبيدة بن الجراح مثلاً

---

(1) - محمد ال في الدين : مصدر سابق ، ج1 ، ص 48 .

(2) - أحمد مجاهد المصباح : دراسات تاريخية ،" الخلفاء الراشدين " ، مكتبة النهضة (القاهرة ، 1969) ، من ص 69 – 70 .

معـــروفا هـــو الآخـــر بكفاءته العسكرية ، وشجاعته البالغة ولكنه كان رقيق القلب ، وابن العاص الداهية المعروف ولكنه غير مقدام ، وعموما وصل بن الوليد وأصبح قائدا للجيش[1] .

وفـــي هذه الأثناء توفي الخليفة أبي بكر الصديق ، واستخلف المسلمون عمر بن الخطاب الـــذي أمـــر بعـــزل خالـــد بن الوليد عن قيادة الجيش [2] وتسليم أبي عبيدة بن الجراح قيادة الجيش الإســـلامي [3] ولكـــن رســـول الخلـــيفة عمر بن الخطاب لم يصل إلا في اليوم الثاني بعد المعركة الفاصلة ، (اليرموك) التي تحطم فيها جيش الروم [4] .

أخـــذ أبـــن الجـــراح في ملاحقة جيش الروم المهزوم، بعد أن استخلف بشر بن سعد على اليـــرموك وعلـــم بعدها أبن الجراح أن جيش الروم تجمع عند فحل ، وأن هرقل أمد دمشق بقوات مـــن حمـــص ، فأضبح عبيدة في حيرة من أمرة ، فكتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب يستشير لما يفعـــل ، فـــرد علـــية الخليفة : " أما بعد ... فابدءوا بدمشق فإنهدوا لها ، فأنها حصن الشام ، وبيت مملكـــتهم ، واشـــغلوا عنكم أهل فحل بخيل تكون بإزائهم في نحورهم ، فإن فتحها الله قبل دمشق ، فذلك الذي يحب وإن تأخر فتحها حتى يفتح الله دمشق ، فلينزل بدمشق من يمسك بها ودعوها" [5] .

ووصلت رسالة الخليفة إلى عبيدة ، فأمر جماعة من قواده وفي مقدمتهم أبو الأعور السلمي ، بالذهاب إلى فحل ، وسار هذا الجيش والتقى بجيش الروم وانتصر المسلمون بعون الله ، وضربوا الحـــصار على فحل ، حتى طلب أهلها الأمان على أرواحهم وممتلكاتهم ، فنالوا مقابل ذلك الجزية ، ويقـــول الطبـــري فـــي ذلك : " ... حتى نزلوا قريباً من فحل رأت الروم أن الجنود تريدهم ، يتقوا المياه حول فحل ، فأدرغت الأرض ، ثم وصلت ، واغتنم المسلمون من ذلك فحبسوا عن المسلمين بها ثمانين ألف فارس ، وكان أول محصور بالشام أهل فحل ..." [6] .

وبهـــذه الانتـــصارات التـــي حققها العرب على الروم – اليرموك ، فحل بيسان – سهلت الطـــريق بالـــتوجه إلى دمشق ، فتحرك الجيش العربي سنة 14 هـــ إلى دمشق[7] ومنهم من يقول سنة ثلاثة عشر هجري [8] .

---

(1) – محمد كرد علي : خطط الشام ، مرجع سابق ، م 1 ، 2 ، ص 115 .

(2) – محمد حسنين هيكل : الفاروق عمر ، دار المعارف ، (القاهرة ، 1972) ص 130 .

(3) – المقدم يامين سويد : معارك خالد بن الوليد ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت ، 1973) ، ص 277 .

(4) – محمد حسنين هيكل : مرجع سابق ، ص ص 131 ، 132 .

(5) – محمود شلبي : حياة عمر ، مكتبة القاهرة (القاهرة ، 1968) ص 108 .

(6) – محمد بن جرير الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، مطبعة الاستقامة ، (القاهرة ، 1939) ، ج 2 ، ص 626 .

(7) – عصام الدين عبدالرؤوف : مرجع سابق ، ص 18 .

(8) – احمد اسماعيل علي : مرجع سابق ، ص 140 .

أمـــد هـــرقل جيـــشه المهزوم ببعض القوات ، والتقى بالمسلمين عند مرج الصفر، وهزم الـــروم في هذه الموقعة ، وتوجه بعدها العرب إلى دمشق [1] وعلى مقدمتهم خالد بن الوليد ، وعلى المجنبتين بن العاص وابن الجراح ، وعلى الخيل غياض بن غنم ، وعلى الرجل شرحبيل بن حسنه [2] ويذكـــر الطبـــري : "... وفصل أبي عبيدة من المرج وقدم خالد بن الوليد ، وعلى مجنبتيه عمر وأبـــو عبـــيدة ، وعلى الخيل غياض ، وعلى الرجل شرحبيل ، فقدموا على دمشق ..." [3] ، إلى أن وصـــل المسلمون إلى الغوطة – غوطة دمشق – فسحرتهم بجمالها ، ومياهها الجارية ، وأشجارها المتـــشابكة ، ومـــا فيها من ثمار العنب والتين والزيتون وغيرها ، ووجدوا منازل الغوطة خالية من أهلهـــا لا يسمعون فيها إلا تغريد الطيور ، وذلك بسبب رحيل أهليا عنها واحتمائهم بأسوار المدينة المشهورة لها بالمناعة والقوة [4] وهناك من يقول أن المسلمين استولوا على الغوطة وكنائسها بالقوة [5] وان الحامـــيات البيزنطية تحصنت في المدينة وأغلقوا أبوابها ، وأخذ القادة المسلمون في التنسيق فـــيما بينهم على العمل في ضرب الحصار على دمشق ، ورغم عدم إتقان العرب لفن الحصار ذلك الـــوقت [6] إلا إنهم وزعوا أنفسهم على أبواب المدينة الرئيسية [7] وكان حاكم دمشق في تلك الأثناء هو نسطاس بن نسطوس [8] وعموما حاصر العرب دمشق نحو سبعين ليلة [9]

– رغـــم اختلاف بعض المؤرخين في تحديد مدة الحصار الذي فرضه المسلمين على دمشق – إلا أن المسلمون قد حاصروا دمشق حصارا شديدا بالزحوف والترامي والمنجنيق[10].

وبطبيعة الحال اعتصم أهل دمشق في مدينتهم ، واحتموا بأسوارها المنيعة وأخذوا يرجون وصول الإمـــدادات [11] ولكـــن المسلمين احكموا قبضتهم على المدينة منفذين خطتهم التي كانت على النحو التالي :–

---

(1) – عصام الدين عبدالرووف : مرجع سابق ، ص 18 .

(2) – محمود شيت خطاب : قادة فتح الشام ومصر ، دار الفتح (بيروت ، 1965) ص 61 .

(3) – محمد بن جرير الطبري : مصدر سابق ، ج 2 ، ص 626 .

(4) – محمد هيكل : مرجع سابق ، ص 135 .

(5) – احمد بن يحيى البلاذري: مصدر سابق ، ص 127 .

(6) – مقدم ياسين حسين: مرجع سابق ، ص 281 .

(7) – عصام الدين عبدالروؤف: مرجع سابق ، ص 19 .

(8) – محمد بن جرير الطبري : مصدر سابق ،ج 2 ، ص 626 .

(9) – محمد خضري بك : إتمام الوفاء في سير الخلفاء ،(1964) ص 120 .

(10) – السيد أحمد بن زيني دحلان : الفتوحات الإسلامية ، بعد مضي الفتوحات النبوية ، المكتبة التجارية (1354 هـ) ج 1 ، ص 46 ، كذلك كتاب قادة فتح الشام ومصر ، مرجع سابق ، ص 61 .

(11) – محمود شيت خطاب: مرجع سابق ، ص 61 .

1- منع وصول الإمدادات إلى المدينة من الخارج وذلك كما يلي :-

أ] - وجـــود ذو القلاع الحميري على طريق دمشق - حمص [1] حيث أقام هو ومن معه على رأس ليلة من دمشق باتجاه حمص الموجود بها هرقل ، وكان ذو القلاع يريد حمص وعندما جاءت الإمدادات إلى دمشق نجد ذو قلاع يتصدى لها ويردها على أعقابها [2] .

ب]- وجـــود علقمـــه بـــن حكيم ومعه مسروق بن العبسي ، في الطريق الممتد من دمشق نحو فلسطين [3] ، أما عن حصار الأبواب فكان كما يلي :-

1. نزل عمر بن العاص عند باب توما.
2. نزل يزيد بن أبي سفيان عند الباب الصغير.
3. ونزل عبيدة بن الجراح عند باب الجابية [4] .
4. وفي الباب الشرقي نزل خالد بن الوليد .
5. ونزل شرجيل بن حسنه بباب الفراديس [5] .

ورغـــم عدم مقدرة المسلمين على اقتحام أسوار المدينة ، إلا أنهم استطاعوا أن يضربوا حصارا شديدا على دمشق ، وضيقوا الخناق على أهلها ، فبعث أهلها رسلهم إلى هرقل يطلبون منه المدد والعون ، وإلا فسيسلمون المدينة ، وذلك بعد أن أعطاهم المسلمون الأمان مقابل الجزية ، وقد ذكـــر أبـــن عساكر أن اهلها راسلو هرقل قائلين له : " أن العرب قد حاصرونا ، وليس لنا بهم من طاقة ، وقد قاتلناهم مرارا ، فإن كان لك فينا وفي السلطان علينا حاجة ،

فأمددنا وأعنا ، وإلا فإنا في ضيق وجهد ، فاعذرنا وقد أعطانا القوم الأمان ، ورضوا منا بالجزية اليسيرة" [6] .

ووصلت هرقل رسل أهل دمشق ، فرد عليهم قائلا لهم ، تمسكوا بحصنكم وقاتلوا عدوكم ، فـــإنكم أن صـــــالحتموهم وفتحـــتم لـــم يفوا لكم ، وأجبروكم على ترك دينكم وقتلوكم بينهم وسبوكم وقسموكم ، وأنا مسرح لكم الجيوش في اثر الرسول ، ولم يكن أمام ملك الروم هرقل إلا أن يلعب

---

(1) - المقدم ياسين سويد : مرجع سابق ، ص 281 .

(2) - احمد عادل: مرجع سابق ، ص 369 .

(3) - المقدم ياسين : مرجع سابق ، ص 282 .

(4) - شـــهاب الـــدين ابـــراهيم بـــن أبي الدم الحموي : التاريخ المظفري ، تحقيق حامد زيان لعام زيان ، دار الثقافة (القاهرة ، 1989) ص 128.

(5) - المقدم ياسين : مرجع سابق ، ص 282

(6) - عبد القادر بن احمد الدمشقي بن عساكر : التاريخ الكبير ، المكتبة العربية (دمشق ، 1349 م) ج1 ، ص 152 .

بسلاح الدعاية ، وان يخوفهم من فتح الأبواب للمسلمين ، ويشككهم بعدم وفائهم لهم بوعودهم ، وإنهم سوف يقتلونهم ويسبونهم ويخرجونهم من ديارهم ، ويردونهم عن دينهم ، ويعدهم بتسيير الجيوش لهم ، وتخليصهم من الحصار وطرد العرب عنهم ، ولكن ما لا نعرفه هل صدق أهل دمشق ما جاءت به رُسُل هرقل ، أو أنهم كانوا واقعين تحت حكم حامية رومية تتحكم في تصرفاتهم ، وعموما انتظر أهل دمشق المدد والعون المزعوم من هرقل ، في حين الحّ قواد المسلمين على دخولهم المدينة ، وحينها أدرك أهل دمشق إن الإمدادات لن تصلهم ، وتخللهم الفشل ، وضاع أملهم في الحفاظ على مدينتهم وندموا على دخولها والاحتماء بأسوارها ، في حين ازداد أمل المسلمين في دخول المدينة [1] ويقول الطبري في ذلك : " ... فلما أيقن أهل دمشق إن الإمدادات لاتصل إليهم فشلوا ، ووهنوا ، وأيسوا ، وازداد المسلمون طمعا فيهم ..." [2] .

أخذ أهل دمشق يفكرون في التقائهم مع العرب ، ومصالحتهم ، وبالفعل حدث ذلك وانتهى المسلمون بالدخول إلى المدينة وعقدوا الصلح مع أهلها [3] وهنا تختلط الروايات ، وتختلف وتتناقض فيما بينها ، فمنها من يقول أن خالد بن الوليد هو الذي فتح الباب الذي نزل عنده عنوة بالسيف – الباب الشرقي – حيث كان معروفا بحذرة وفطنتة وقلة نومة [4] أو كما يقول عنة الطبري : " ... ولا يشعر بذلك أحد من المسلمين إلا ما كان من خالد فإنه كان لا ينام ولا ينيم ، ولا يخفى عليه من أمورهم شيء ..."[5] .

ويقول هيكل :" نمى إلية أن بطريق المدينة ولد له ولدا فرح به ، فأولم الناس فأكل الجند وشربوا ، وغفلوا عن مواقفهم من الحراسة " [6] .

ويقول البلاذرى ، ثم أن بعض أصحاب الأسقف أتى إلى خالدا في ليلة من الياالى فأعلمه إنها ليلة عيد لأهل المدينة ، وإنهم في شغل ، وأن الباب الشرقي قد ردم بالحجارة وترك ، وأشار عليه أن يلتمس سلما ، فأتاه قوم من أهل الدير الذي عنده عسكر المسلمين.[7] .

وعندما أدرك الليل نهد بن الوليد وجنده ، أو كما يقول بن الأثير:" ... وكان قد اتخذ حبالا كهيئة السلاليم ، واوهاقا ، فلما أمسى ذلك اليوم نهض هو ومن معه من جنده الذين قدم عليهم

---

(1) – احمد عادل : مرجع سابق ، ص ص 369 ، 370 .

(2) – الأمم والملوك : ج 2 ، ص 626 .

(3) – محمد هيكل : مرجع سابق ، ص 136 .

(4) – محمد هيكل :المرجع نفسه ، ص 137 .

(5) – محمد بن جرير الطبري : مصدر سابق ، ج2 ، ص 626 .

(6) – الفاروق عمر : ص 137 .

(7) – فتوح البلدان : ص ص 144 ، 145 .

وتقدمهم هو القعقاع بن عمر ، ومذعور بن عدى ، وأمثاله" . وقالوا لبقية الجند ، إذا سمعتم تكبيرا علـــى السور ، فأرقوا إلينا ، واقصدوا الباب ، وعندما وصل خالد وأصحابه إلى السور القوا الحبال فعلق بالشرف منها حبلان فصعد فيها القعقاع ومذعور ، واثبتا الحبل بالشرف ، فصعد المسلمون ، ثـم انحدر خالد وأصحابه ، وأمرهم بالتكبير فكبروا ، فأتاهم المسلمون قاصدين الباب والحبال وفتح خالـد بن الوليد الباب ، وفي هذه الأثناء ثار أهل المدينة ، وقصد بعض الروم ابن الجراح ، وبذلوا لـه الصلح ، فقبل منهم وفتحوا له الباب ، وقالوا له ، ادخل وامنعنا من أهل ذلك الجانب،ودخل أهل كـل باب صلحا ، ودخل خالد بن الوليد عنوه وأجرو ناحية خالد مجرى الصلح [1]. ويذكر يزيد بن مـرثد قـال حدثـني عصابة من قومي شهدوا، فتح دمشق قالوا: " دخل أبو عبيدة من باب الجابية صلحا- ودخل خالد بن الوليد من الباب الشرقي عنوه بالسيف "[2] .

وتعتبـر هذه الرواية من اشهر الروايات، التي نجد لها تأييدا من قبل المؤرخين المسلمين والمستشرقين، ولا غرابة بأن بطلها ابن الوليد، هذا القائد المسلم، صاحب المعجزات في الحروب ، وما قام به في حروب الردة ، وفتح العراق ، وغزة تبوك ، من خطط حربية ناضجة ، وما بلاه من شجاعة وبسالة ، في تلك المعارك الإسلامية ، الفاصلة في تاريخ الإسلام والمسلمين .

ورغم ذلك نورد الرواية الثانية القائلة ، بأن أبي عبيدة بن الجراح ، هاجم باب الجابية بقواته وفتحه عنوه [3]

حـيث يقـول الـبلاذري : " ... كان أبو عبيدة عند فتح باب الجابية ، وأصعد جماعه من المـسلمين ، علـى حائطه ، فأنصب مقاتلة الروم إلى ناحيته فقاتلوا المسلمين قتالا شديدا ، ثم أنهم ولوا مدبرين ، وفتح أبو عبيدة والمسلمون معه باب الجابية عنوه ..."[4] .

ولمـا رأى أسقف دمشق أن أبي عبيدة على وشك الدخول من باب الجابية ، قصد ابن الوليد ، وطلـب منه أن يعقد معه صلحا بقوله : " يا أبا سليمان أن أمركم مقبل ولى عليك عده ، فصالحني عن هذه المدينة ، وأجابه خالد على طلبه ، وكتب له صلحا لأهل دمشق " [5] .

ولا فـرق بـين الرواية الأولى والثانية ، وليس معنى ذلك أن القادة المسلمين عرفوا أن الحـصار هدّ عزيمة الدمشقيين ، وأنهم ايئسوا من المدد ، وان أنفسهم قد ضعفت ووهنت ، فأخذوا يـضربون على الأبواب محاولين فتحها ، فأختلف في هذه الأثناء أهل المدينة ، فمنهم من رأى فتح

---

(1) - الطبري : مصدر سابق ،ج 2 ص 627 . ، كذلك ، أبي الحسن بن الأثير: الكامل في التاريخ : ج 2 ، ص ص 294 ، 295 ،
(2) - ابن أبي الدم الحموي : مصدر سابق ، ص 129 .
(3) - محمد هيكل : مرجع سابق ، ص 138 .
(4) - فتوح البلدان : ص 145 .
(5) - عصام الدين عبدالرؤف : مرجع سابق ، ص 20 .

الأبـــواب ، ومـــنهم من رأى المقاومة وعموماً بدأت الطائفة الأولى بفتح الأبواب ، في حين تأخرت الثانـــية عـــن ذلك فاقتحم القائد الباب الذي يليه عنوه ، ثم أجرى مجرى الصلح في المدينة كلها [1] وجاء نص الصلح كما يلي :-

" ﷺ هـــذا مـــا أعطـــى خالد بن الوليد أهل دمشق إذ دخلها أعطاهم أمانا على أنفسهم ، وأموالهم ، وكنائـــسهم وســـور مدينتهم ، لا يهدم ، ولا يسكن شئ من دورهم ، لهم بذلك عهد الله وذمة رسوله ﷺ ، والخلفاء والمؤمنين لا يعرض لهم إلا بخير إذ أعطوا الجزية " [2] .

ويذكـــر بـــن عساكر أن الصلح الذي أعطاه أبو عبيد بن الجراح لأهل دمشق – وهذا في الـــرواية التـــي تقول أن خالد بن الوليد دخل المدينة عنوه من الباب الشرقي ، ودخل أبو عبيدة من بـــاب الجابـــية صلحاً – كان يتضمن على أداء أهل دمشق للجزية والخراج ، وكذلك تقديم قدر من الطعـــام لمـــؤونة المسلمين ، كما ألزمهم بإضافة من يمر بهم من المسلمين ثلاثة أيام من أواسط ما يأكلـــون ، ولا يحدثـــوا في دمشق أي كنيسة أو دير ، ولا يأوون في منازلهم جاسوسا ، ولا يكتموا على من غش المسلمين [3] .

أمـــا صـــلح ابن الوليد ، فلم نجد فيه مقاسمه المسلمين لأهل دمشق في منازلهم ولا أموالهم ولا كنائـــسهم ، ويذكـــر الـــبلاذري ، نقلاً عن الواقدي ، إنه قال ، قرأت كتاب خالد بن الوليد لأهل دمـــشق ، فلم أر فيه أنصاف المنازل والكنائس ... ولكن دمشق لما فتحت لحق بشر كثير من أهلها بهرقل وهو بإنطاكية ، فكثرت فضول منازلهم ، فنزلهم المسلمون [4] .

ويقـــول الـــبلاذري أيضا : " زعم الهيثم بن عدي أن أهل دمشق صولحوا على أنصاف منازلهم وكنائسهم " [5] .

ولكـــن عـــندما نمعن النظر في هاتين الروايتين ، نجد أن الواقدي يعلل في روايته تعليلا سليماً ، وهو بذلك اقرب إلى الصحة .

وعمـــوما تختلف الروايات وتتناقض ، ومن المرجح أن الجزية كانت على كل ذمي دينار واحد فـــي السنة ، إضافة إلى جريب من الحنطة وقدر من الخل والزيت لمؤنة المسلمين تؤدي كل شهر ، ثم كتب عمر بن الخطاب لأبي عبيد بأن يجعل الجزية حسب الطاقة ، فتؤدي في الطبقة العليا أربعة دنانير ، والطبقة الوسطى دينارين ، والطبقة الدنيا دينار واحد إضافة إلى ما ذكر سابقاً [6]

أمـــا عن مدة الحصار ، وما جرى فيه اختلاف بين المؤرخين ، حيث يذكر منهم أن فترة الحـــصار كانت ستة كاملة ، ويؤيد هذا الرأي بن رستم حيث يقول : " ... فتحها عبيدة بن الجراح ،

---

(1) – محمد عكل : مرجع سابق ، ص 138 .

(2) – أحمد بن يحيى البلاذري : مصدر سابق ، ص 128 ، كذلك نجيب عقل : مرجع سابق ، ج1 ، ص ص 10 ، 11.

(3) – ثقة الدين بن عساكر : مصدر سابق ، ج1 ، ص ص 150 ، 151 .

(4) – أحمد بن يحيى البلاذري : فتوح البلدان، طبعة بيروت (1978) ، ص 129.

(5) – نفس المصدر ، ص 129 .

(6) – أحمد بن يحيى البلاذري: نفس المصدر ، ص 129.

مـن باب يقال له الجابية صلحا ، بعد حصار سنة ... "[1] ، ويذكر اليعقوبي : " ... وأقاموا على ما كانوا عليه في حصار دمشق حولا كاملا وأياما ... "[2]. وهناك فريق آخر ، يذكر أن مدة حصار المسلمين لمدينة دمشق كانت ستة أشهر : " ... كما قال بن إسحاق ورغم أن حصار المسلمين لها كان ستة أشهر ... "[3]. وورد أن حصار المسلمين لدمشق كان لمدة أربعة أشهر [4].

ويذكـر القـلقشندي ، : " ... أما مدة منازلة دمشق ، فكانت سبعين يوما على ما رواه أبو الفـداء." ويوافقه الرأي محمد شيت خطاب حيث يذكر بأن فترة حصار المسلمين لدمشق سبعين ليلة [5] ويـشاطرهم الرأي كرد علي بك الذي يذكر أن حصار المسلمين لمدينة دمشق سبعين ليلة [6] . وربمـا نـرجع خـلاف بعض المؤرخين حول مسالة مدة الحصار، إلى عدم اتفاقهم في أن معركة اليـرموك قـبل فتح دمشق، أو كانت بعد الفتح، فمنهم من يقول إن الجيش الإسلامي حاصر دمشق ثلاثـة أشـهر، ثم تحرك إلى اليرموك، حيث قامت المعركة الشهيرة التي انتصر فيها المسلمون، ثم عـادوا إلـى دمـشق وحاصروهم من جديد لمدة أربعة اشهر أخرى فنجدهم يجمعون الفترة الأولى والثانـية ، فتصبح بذلك سبعة أشهر ، في حين يرى محمد كرد إنه من المعقول والقريب من الحقيقة أن فتح اليرموك كان الأسبق لفتح دمشق [7] .

حـدث كذلك الاختلاف في تحديد تاريخ فتح العرب لدمشق، منهم من قال في أواخر عام ثلاثة عشر هجري [8] بينما يرى آخر انه كان في سنة أربعة عشر هجري [9] .

ويكاد يجمع بعض المؤرخون على هذا التاريخ ، حيث يقول احمد عادل إن الازدي قال ا: قال حدثني يزيد بن يزيد بن جابر افتتحنا دمشق لسنة أربع عشرة، يوم الأحد لثلاثة عشر شهرا من إمـارة عمر ﷺ إلا سبعة أيام = 15 رجب 14 هـ [10] ويقول بن رستم: " ...افتتحت مدينة دمشق في خلافة عمر بن الخطاب سنة أربع عشر ... "[11] .

ويذكـر الحافظ الذهبي ، فتح دمشق في أحداث سنة أربعة عشر هجري :" ... وفي رجب فتحت دمشق صلحا وعنوه ، ثم أمضيت صلحا بعد أن حوصرت حصارا طويلا ... "[12] .

---

(1) – أبو على احمد ابن رستة : مصدر سابق ، ص 325 .

(2) – أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، مطبعة ابريل (ليدن ، 1891) ، ص 140 .

(3) – أحمد بن يحيى البلاذري : مصدر سابق ، ص 147 .

(4) – أحمد بن يحيى البلاذري: نفس المصدر : ص 147 .

(5) – الروضة الغناء في دمشق الفيحاء ، ص 61 .

(6) – محمد كرد علي :أمام الوفاء في سير الخلفاء، مرجع سابق ، ص 120 .

(7) – محمد كرد علي: خطط الشام ، مرجع سابق ، ج1 – 2 ص 121 .

(8) – احمد عادل: مرجع سابق ، ص 359 .

(9) – أبو محمد عبد الله بن اسعد اليافعي : مرآة الجنان وعبر اليقضان ، دار الكتاب الإسلامي (القاهرة : 1993) ج1 ، ص 69 .

(10) – الطريق إلى دمشق ، ص 359 .

(11) – ابو على أحمد بن رستة : الاعلاق النفيسة ، ص 325 .

(12) – العبر في خبر من غبر ، ج1 ، ص17 .

يذكـر الطبـري فتح دمشق في إحداث سنة ثلاثة عشر هجري، إلا انه نجده يذكر ثلاث روايات أخـرى تـدل علـى أن فتح دمشق كان سنة أربعة عشر هجري من بين هذه الروايات: "... وقال إسحاق كان فتح دمشق سنة أربعة عشر هجري في رجب..." وذكر أيضا أن وقعة اليرموك في سنة ثلاثـة عشرة من الهجرة، وأن المسلمين ورد عليهم البريد بوفاة أبي بكر باليرموك، وفي اليوم الذي هزمت الروم في أخره، وأن عمر أمرهم بعد فراغهم من اليرموك بالمسير نحو دمشق... " [1].

ويـتفق كـل مـن بن عساكر، والواقدي والبلاذري على فتح دمشق سنة أربعة عشر من الهجـرة [2] ويناصرهم الرأي بن الوردي حيث يقول: "ودخلت سنة خمسة عشر وفيها فتحت حمص بعـد دمـشق... " أي أن دمـشق فتحت قبل سنة خمسة عشر من الهجرة [3] وبذلك نجد أن أغلب الـروايات تدل على أنها فتحت سنة 14 هـ /635 م ومهما كانت من اختلافات بين المؤرخين في مـدة حـصار المـسلمين لمدينة دمشق وعن تاريخ فتح المسلمين للمدينة، إلا ان من المهم هو أن المسلمين فتحوا دمشق وتركوا الأراضي الزراعية في أيدي أهلها يزرعونها ويؤدون خراجها [4]

وعين الخليفة عمر بن الخطاب، يزيد بن أبي سفيان أميرا على دمشق، بعد وفاة عبيدة بن الجراح، ولما توفي يزيد سنة 18 هـ / 639 م، ضم عمر بن الخطاب ولاية دمشق إلى معاوية بن أبـي سـفيان الـذي كـان يلي الأردن، وأمضى عثمان بن عفان ولايته عليها، ثم ضم له فلسطين وحمص وقنسري، وجمع له الأجناد كلها، وأصبح معاوية واليا على الشام كلها في خلافة عثمان بن عفـان [5] فطـول الفترة التي تولى فيها معاوية بلاد الشام، اتاحت له الفرصة لتأكيد سلطانه في تلك الـبلاد، وتكـوين قوة عسكرية موالية له، وبذلك أصبح الرأس المفكر لأبناء هذا البيت وتطلعه إلى السيادة العليا في الدولة الإسلامية [6].

ومنذ زمن خلافة عثمان بن عفان، كان معاوية يرغب في نقل مقر الخلافة إلى دمشق، ففي سنة أربعـة وثلاثون هجري، وفد معاوية على الخليفة عثمان بن عفان، حين أيقن أن هناك خطر يواجه الخليفة وقال له: " يا أمير المؤمنين انطلق معي إلى الشام، قبل أن يهجم عليك ما لا قبل لك به، فإن أهل الشام على الأمر لم يزالوا... "

---

(1) - الأمم والملوك ، ج2 ، ص 628 ، البلاذري : مصدر سابق ، ص 146 ، كذلك ابن أبي الدم الحموي : مصدر سابق ، ص 129 .
(2) - ابن أبي الدم الحموي : نفس المصدر ، ص 129 .
(3) - زين الدين عمر بن الوردي : تاريخ بن الوردي ، دار الكتب العلمية (بيروت ، 1996) ، ص 136 .
(4) - أحمد بن يحيى البلاذري : مصدر سابق ، ص 147 .
(5) - ابو الحسن بن الأثير : مصدر سابق ، ج3 ، ص ص 144 ، 145 .
(6) - إبراهيم أحمد العدوي : الدولة الأموية مقوماتها ورسالتها ، مكتبة الشباب (1998) ، ص 95 .

ولكـن الخلـيفة عـثمان رفض إلا أن يبقى في المدينة [1] وظهرت زعامة معاوية للبيت الأمـوي، وأهمية القوة التي شيدها لنفسه في بلاد الشام، بعد وفاة الخليفة عثمان [2]، حيث امتنع عن مبايعة علي كرم الله وجهه للخلافة [3] .

وبـذلك واجـه علـي بن أبي طالب بعد مبايعته بالخلافة 35 هـ / 656 م جبهة تمثل الاتجاهـات الجديـدة التـي سادت الدولة الإسلامية في أواخر عهد عثمان بن عفان، وضمت هذه الجـبهات أصـحاب المطامـع الشخصية، كذلك أصحاب الثراء، وهو الأمر الذي جعل خلافة علي تتقـضي فـي الحروب المتواصلة [4] وعموما حدث ما حدث بينه وبين معاوية من حروب إلى أن وصـل الأمر إلى ما يعرف بالتحكيم، والذي تم فيه صنع الخليفة علي وتثبت معاوية بن أبي سفيان خلـيفة للمـسلمين[5] واتخذ دمشق حاضرة لخلافته بعد أن كانت حاضرة ولاية الشام وحدها فانتقلت إليها سياسة الملك[6].

هـ – خطط دمشق زمن الراشدين والأمويين:-

مـن خـلال مـا سبق عرفنا موقع دمشق الجغرافي، كما ذكرنا ما قاله بعض المؤرخون والـرحالة المسلمون في وصف دمشق ومحاسنها، وما نريد أن نعرف عليه الأن أو نبينه هو المعالم الرئيـسية لمدينة دمشق قبيل الفتح الغربي الإسلامي لها، ونوضح خطط الخلفاء الراشدين والأمويين في دمشق، كذلك نودوا أن نبين شكل المجتمع الجديد في دمشق.

مـن المعالم الرئيسية التي كانت موجودة في دمشق قبل الفتح العربي الإسلامي هو السور الـذي شيده الرومان حول دمشق 395/105 م ، والذي يبلغ ارتفاعه نحو ستة أمتار تقريبا، وسمكه نحـو خمـسة عشر قدما [7]، وكان السور مستطيل الشكل، توازي جوانبه شوارع المدينة المستقيمة عـدا الجانب الشمالي الذي كان يوازي أو يجاري نهر بردي، وكان يعلو السور أبراجا بارزة مربعة الشكل يبعد كل منهما عن الأخر مسافة خمسين قدما تقريبا وذلك للمراقبة، كما بنوا في عدة مواضع مـن الـسور بعـض الأبنـية أو البيوت الصغيرة، ليسكن فيها أفراد الحامية الموكل إليهم حراسة السور [8].

---

(1) – محمد بن جريرالطبري : مصدر سابق ، ج4 ، ص 345 .

(2) – ابراهيم احمد العدوي : مرجع سابق ، ص 95 .

(3) – أبو حنيفة الدينوري : الأخبار الطوال ، دار أحياء الكتب العربية (القاهرة ، 1959) ، ص 220 .

(4) – ابراهيم احمد العدوي : مرجع سابق ، ص 101 .

(5) – محمد حلمي أحمد : الخلافة والدولة في العصر الأموي ، دار العلوم (1974) ، ص 86 .

(6) – عصام الدين عبدالرؤوف : مرجع سابق ، ص 25 .

(7) – احمد عادل : مرجع سابق ، ص 385 .

(8)– عصام عبد الرؤوف : مرجع سابق ، ص32.

وكانـــت هـــذه الأســـوار مبنية من الأحجار الضخمة التي لا يزعزها شئ وكان يصعب اقتحامها أو هـــدمها للدخـــول منها ، على الرغم مما تعرضت له فيما سلف من هجمات الفرس أو البيزنطيين ، ولم يستطع العرب دخولها أثناء حصارهم للمدينة إلا بعد عناء كبير [1] .

كانت هذا السور محاط بخندق من الماء – مياه نهر بردي – يزيد عرض الخندق عن ثلاث أمتار تقريبا [2] وبقيت هذه الأسوار تحمي دمشق طوال عهدي الراشدين والأموي، ويذكر أن أسوار هـــذه المدينـــة اســـتمرت قائمة حتى هدمها العباسيون بعد زوال العهد الأموي وهناك من يذكر أنها هدمت عندما أرسل مروان بن محمد سنة 127 هـــ/744م جيشا إلى دمشق لإخماد ثورة أهلها [3] .

وشكل دمشق الموضح في الصورة القديمة لها هو أن دمشق كان يحيط بها سور، وتوجد قلعتها الـــشهيرة في زاويتها الشمالية الغربية وهي حدّها من جهة الغرب، ومن الشرق باب الفراديس، ومن جهـــة الجـــنوب بـــاب الجابـــية والباب الصغير، ومن الشمال وادي البردي، هذه هي حدود دمشق القديمة، أما بعد الفتح الإسلامي لها، أصبحت دمشق تنقسم إلى قسمين الأول داخل السور وهو قديم جـــداً والثانـــي خارجه، وذلك بعد أن فتحها المسلمون وتلاحقت عمارتها وأصبح محيطها أكثر من تسعة أميال تقريبا [4].

أمـــا فيما يتعلق بأبواب المدينة ، فهناك تناقض بين بعض المؤرخين المحدثين على عدد هذه الأبواب ، فمنهم من يقول بها ستة أبواب ، مثل : " أن لمدينة دمشق ستة أبواب وهي : باب الجابية والـــباب الـــصغير وباب كيسان ، والباب الشرقي ، وباب توما ، وباب الفراديس " [5] وأيضا يذكر أخـــر فـــي حديـــثه عن حصار دمشق هذه الأبواب مبتدئا : الباب الشرقي وهو في الطريق الشرقي للطـــريق الكبيـــر وبـــاب توما ، وباب الفراديس وهو على الجانب الشمالي ، وباب الجابية وهو في الغرب ، والباب الصغير وباب كيسان في الجنوب[6] .

وهـــناك رأي أخـــر يقول أن لمدينة دمشق قبل الفتح سبعة أبواب رئيسية مصفحة بالحديد لصد الغارات وهي : باب توما وهو يقع في جهة الشمال وينسب إلى توما حاكم المدينة قبل الفتح العربي

وبـــاب الـــسلام : ويقع في الشمال أيضاً ، وسمي بذلك تفاؤلا به ، ولان ليس من السهل الهجوم على المدينة من ناحية لما دونه من الأشجار الكثيفة .

---

(1) – أحمد بن يحيى البلاذري : مصدر سابق ، ص 427 ، وكذلك عصام الدين عبدالرؤوف : مرجع سابق ، ص 22 .

(2) – محمد عكل : مرجع سابق ، ص 135 .

(3) – عصام الدين عبدالرؤوف : مرجع سابق ، ص 22 .

(4) – محمد أبو تقي الدين : مصدر سابق ، ج1 ، ص ص 28 – 29

(5) – صلاح الدين المنجد : مرجع سابق ، ص ص 133 – 134 .

(6) – دائرة المعارف الإسلامية : مرجع سابق ، ج7 ، ص 267 .

وبـــاب الفراديس : وهو يقع في الشمال أيضاً ، وهو باب كبير وسمي بذلك نسباً إلى قرية تسمى الفراديس .

والباب الشرقي : وسمي بذلك لوقوعه في جهة الشرق من المدينة ، وشيده الرومان ويتألف هذا الـــباب من ثلاثة أبواب الأوسط منها كبير ، يمر منها الجند والقوافل ودواب الحمل ، وبجانبه بابان صغيران ، كانا يستعملان لمرور الناس ، أحداهما للدخول والأخر للخروج .

والـــباب الصغير : ويقع جنوب المدينة ، وسمي بذلك لكونه اصغر أبواب المدينة وباب كيسان : ويقـــع أيـــضاً فـــي الجنوب ، وكان يسمى باب يونس قبل الفتح العربي ، ثم سمي بكيسان نسبّة إلى كيسان مولى معاوية .

وبابُ الجابية : وهو في ناحية الغرب من مدينة دمشق ، سمي بهذا الاسم نسبّة إلى قرية الجابية ، وهو كالباب الشرقي يتكون من ثلاثة أبواب الأوسط كبير ، والآخران صغيران ، وكان يخرج من هذا الباب ثلاث طرق تؤدي إلى الباب الشرقي [1].

وهـــناك مـــن يرى أن لمدينة دمشق ثمان أبواب وعلى رأسهم ابن جبير حيث يقول لهذه المدينة ثمانية أبواب هي :-

1- الباب الشرقي.	2- باب توما.
3- باب السلامة.	4- باب الفرج.
5- باب النصر.	6- باب الصغير.
7- باب الجابية.	8- باب الفراديس [2].

ويـــؤديه فـــي الرأي الحصيني حيث يقول: " أن داخل السور ثمان أبواب قديمة ويذكر نفس الأبواب التي ذكرها ابن جبير " [3] .

ويذكر عفيف البهنسي ، حيث قال أن أسوار دمشق أعيد تحصينها في عهد نور الدين زنكي (549 هـــ / 1153 م) وفـــتحت مـــنذ ذلك الوقت أبواب جديدة لم تكن موجودة من قبل وهذه الأبـــواب هـــي بـــاب الفرج وباب النصر وباب السلام أو السلامة ، وأما بقية الأبواب فذات اصل روماني[4] .

---

(1) - عصام الدين عبدالرؤف : مرجع سابق ، ص ص 33 ، 34 .
(2) – محمد بن احمد بن جبير : مصدر سابق ، ص 271.
(3) - منتخبات التواريخ في دمشق : ج1 ، ص 29 .
(4) - عمران الفيحاء ، ص ص 93 ، 94 .

ومـــن الجدير بالذكر أن المعالم الرئيسية لمدينة دمشق لم تتغير بعد الفتح العربي لها عما كانت عليه أثناء حكم الرومان ، ولعل السبب وراء ذلك هو وقوع دمشق عند نقطة يلتقي بها الطريق الذي يخترق قلب سورية من الشمال إلى الجنوب ، ويعبر نهر بردي الذي يجري من الشرق إلى الغرب ، ومن ثم انتظمت طرقات المدينة على هذا الشكل [1] .

ثـم إن الهجـرات تـوالت على دمشق بعد الفتح العربي لها ، وأقام بعض هذه القبائل في المـنطقة المجاورة لدمشق ، مما أدي إلى اتساع هذه المدينة وكثرة أحيائها ، واتخذت القبائل التي لم تـستقر فـي دمشق منازل في ظاهرها حتى أصبح هذه المنازل أشبه بقرى متصلة بعضها ببعض ، وتتبع على ذلك اتصال العمران من مدينة دمشق حتى القرى المحيطة بها [2] .

كمـا استقر بعضهم بادئ الأمر في الطرف الشمالي من المدينة ، ثم أقاموا في الدور التي هجـرها الـروم من سكان دمشق عقب الفتح [3] وأقام بعض الصحابة في دور على مقربة من باب تـوما[4] ثـم انشأ العرب خططهم في الجهة الغربية من دمشق ، واتخذ معاوية قصرة فيها – قصر الخضراء واتخذ بني أمية دورا مجاورة للقصر[5] ،أما اليهود والمسيحيون فأقاموا في جهة الشرق من دمشق[6] .

وحـين نزل العرب دمشق حافظوا على عاداتهم وتقاليدهم ، ونزلوا في المدينة حسب تقسيمات قبلية ، فكان لكل قبيلة خطة أو درب أو حي خاص بها يضم منازلهم [7] .

أن المجتمع الذي غادر الجزيرة ليسكن في الشام، كان لابد من أن يتشكل في عدة أشكال قبل أن يصل إلي شكلة النهائي حيث أن العرب غادروا أرضهم الي ارض جديدة واجهوا فيها أقواما يختلفون عليهم لغة ودينا وتقاليدا، فكان لابد له من خطا يتعثر فيها واتجاهات متقاربة أو متضاربة يتجه إليها ، ولابد لهم من دور التجربة من أن يتقلب كثيرا من الأوضاع ويتخذ كثيرا من الأشكال[8]

كما كان لهجرات كثير من القبائل العربية دورا كبيرا في انتشار اللغة العربية في دمشق ، علما بأنها كانت منتشرة في دمشق قبل الفتح العربي ، ولكن زادوها رسوخا وانتشارا واضطر أهل دمشق من غير العرب أن يتعلموا هذه اللغة لأنها لغة الحاكمين [9] .

---

(1) – عصام الدين عبدالرؤوف : مرجع سابق ، ص 34 .

(2) – ثقة الدين بن عساكر : التاريخ الكبير ، ج1 ، ص ص 243 ،244 .

(3) – ثقة الدين بن عساكر: تاريخ دمشق ، ج1 ، ص 597 .

(4) – عصام الدين عبدالرؤوف : مرجع سابق ، ص 35 .

(5) – ثقة الدين بن عساكر: التاريخ الكبير ، ج1 ، ص 243 .

(6) – نعمان قساطلي : مصدر سابق ، ص 72 .

(7) – عصام الدين عبدالرؤوف : مرجع سابق ، ص 35 .

(8) شكري فيصل:المجتمعات الإسلامية في القرن الأول نشاءها،مقوماتها تطورها اللغوي ،والأدبي،دار العلم للملايين(بيروت،1966) ص ص 46،47.

(9) – عصام الدين عبدالرؤوف : مرجع سابق ، ص 26 .

وبعد فتح المسلمين لدمشق انتشر الإسلام بين سكان دمشق الأصليين وذلك بعد أن توطدت العلاقات بينهم وبين العرب القادمين من الجزيرة العربية ، كما أن من العوامل التي ساعدت على انتشار الإسلام في دمشق هو قدوم نفر من الصحابة والتابعين إلى هذه المدينة وإقامتهم بها وحماستهم لهداية الناس ودعوتهم إلى الإسلام وتوعيتهم بالدين الحنيف ، كما عين الخليفة عمر بن الخطاب رجالاً عهد إليهم بتعليم تعاليم الإسلام لمن دخل الدين الإسلامي حديثًا ، وتفقيههم بالدين حتى يستطيعوا أداءا شعائرهم أداءا سليما ، علما بأن دخول أهل دمشق في الإسلام كان عن اختيار وإرادة حرة ، والدليل على ذلك كتاب خالد ابن الوليد الذي أعطاه لهم ، عند الفتح ، حيث سمح لهم في هذا الكتاب بحرية العقيدة ، وسمح لهم أيضا بأن يؤدوا شعائرهم الدينية وفقا لمذاهبهم [1] .

كما كان للانتصارات التي حققها الجيش الإسلامي على الروم في بلاد الشام وما تبع ذلك من فتح دمشق وغيرها اكبر الأثر في إيقاظ الصلات القديمة التي تصل بين عرب الضاحية وعرب الجزيرة، فساعدت وحدة الجنس على أن تتفتح هذه القرابات الذابلة وان تنبعث من جديد عروق القرابة التي خمدت فيها الحياة وطفحت بالدم بعد أن كاد يأتي عليها الجفاف ، وبالطبع فقد أدى ذلك إلى تكوين مجتمع جديد في دمشق [2] .

---

(1) - عصام الدين عبدالرؤوف: نفس المرجع ،ص ص 28 ، 29 ، 30

(2)- شكري فيصل : مرجع سابق ،ص ص 66،67.

الفصل الثاني

النظم السياسية و الإدارية في دمشق

أولا: النظم السياسية

1- تظم الحكم :

أ. الخلافة

ب. الوزارة

ج. الحجابة

2- النظم القضائية و العسكرية

أ. القضاء

ب. النظر في المظالم

ج. الشرطة

د. الجيش والبحرية

ثانياً: التنظيم الإدارية

أ- الأمارة على البلدان

ب_ الدواوين

أولاً: النظم السياسية

1. تـظم الحكم

للـنظم السياسية مدلـولها التاريخي ، مثلها مثل النظم التشريعية حيث نجدها في عصر الرسالة الخالدة . و تحديدا بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة ، ونجده يضع نواة الدولة الاسلاميه و يرسـم منهاجها ، ويهيئ لها مجتمعا يصون لقاءها ، رغم بساطة نظام الحكم الإسلامي ذلك الـوقت نـراه يكتفي عليه الصلاة و السلام بتمهيد الجو الصالح لإنشاء دولة الإسلام ورغم ما قالـه الـبعض ، في إن القران و الرسول ﷺ لم ينظم أمور السياسة تنظيما مجملاأو مفصلا ، وإنمـا أمر بالعدل و الإحسان و لم يستخلف على المسلمين احد من الصحابه بعهد مكتوب أو غيـر مكتوب[1] ويقول الأستاذ على عبد الرازق إذا كان الإسلام أو الرسول ﷺ قدا سس دولة سياسية ، فلماذا يغيب عنها كثيرا من أركان و دعائم الحكم ؟[2].

وحـسبنا إن نقول إن الإسلام لم يفرض نظاما بعينه من انظمه الحكم المختلفة، و إنما ترك ذلـك للمـسلمين، وأكتفـى بوضع الخطوط العريضة للحكم، وذلك في آيات صريحة ليسير المسلمين على نهجها[3].

حيث يقول عز وجل في سورة النساء " **و إذا حكمتم بين الناس إن تحكموا بالعدل** "[4] وفي سورة الأنعام " **و إذا قلتم فاعدلوا و لوكان ذا قربى** "[5]

كمـا فـرض الإسلام على الحكام العدل و الإحسان فقد فرض على الرعية الطاعة و التقيد بالنظام حيث يقول " **يا أيها الذين امنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم** "[6].

وبعـد وفـاة الرسول صلى الله عليه وسلم، ابتكر المسلمون نظاما جديدا للحكم الإسلامي يجمـع بـين الـسلطات الدينية و المدنية و العسكرية، و هو نظام الخلافة[7] التي تطورت مع مـرور الزمن، وتاثرت بالظروف التي مر العالم الإسلامي و لفهم المظاهر أو النظم السياسية لابد من دراسة عناصرها في ادوار التاريخ الإسلامي.

أ. الخلافة:-

الخلافـة فـي اللغة مصدر خلف[8] ويقال خلفه في قومة يخلفه خلافه فهو خليفة، والجمع خلائف و خلفاء، ومنه قوله تعالي

" **فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب** ".

- **اخلفني " وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي و اصلح "**
- **استخلف " ليستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم "**

---

1 - صبحي الصالح : النظم الإسلامية نشأتها وتطورها ، دار العلم للملايين (بيروت ، 1980)، ص ص 250، 251

2 الإسلام و أصول الحكم بحث في الخلافة و الحكومة في الإسلام، مطبعة مصر (دم ، 1925) ص 58

3 - محمد إبراهيم الصيحي : الحكم والإدارة عند العرب ، مكتبة الوعي العربي ، ص 5

4 - سورة النساء : أية 58

5 - سورة الانعام : أية 152

6 - سورة النساء : أية 59 .

7 - محمد إبراهيم الصيحي : مرجع سابق ،

8 - جميل بيضون ، شحاده الناطور ، أحمد عودات : تاريخ الحضارات العربية الإسلامية ، دار الأمل للنشر والتوزيع (اربد ، 1989م) ، ص 129.

- خليفة " و إذ قال ربك للملائكة أني جاعل في الأرض خليفة "
- خلائف " وهو الذي جعلكم خلائف في الأرض "
- خلفاء " و اذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح "[1] .

فنعـرف الخلافـة بأنهـا هي منصب رئاسة الدولة الإسلامية و هي أيضا حراسة الدين و سياسية الدنيا[2].

و يعرفها بن خلدون " هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الدنيوية و الاخرويه الراجعة إليها....."[3].

وتعرف أيضا بأنها لقب تلقب به كل من تولى أمور المسلمين بعد وفاة الرسول ﷺ.[4] .

وإذا نظـرنا في التعريفات السابقة وغيرها من التعريفات الخاصة بالخلافة نجد أن معظمها يقـدم الـدين أو الأمور الدينية علي أمور الدنيا، لان صلاح الدنيا موقوف أو مرتبط بصلاح الدين، ولان سياسة الدنيا يجب أن تكون علي أسس الدين وشرائعه[5].

ألقاب الخلافة:-

1- **الخليفة**: وأول من تلقب بهذا اللقب الخليفة ابوبكر الصديق رضي الله عنه[6].

2- **عـبدا لله**: وأول مـن تلقب به عمر بن خطاب، حيث كان عندما يرسل إلى الامصار الإسلامية يكتب من عبدا لله عمر أمير المؤمنين.

3- **أميـر المؤمنـين**: وهو لقب في الخليفة عمر بن خطاب رضي الله عنه حيث كان هذا اللقب مناسباً خاصة في فترات الفتوحات الإسلامية، وإشارة بأنه قائد الجيوش[7].

4- **الإمـام**: وأول مـن تلقـب بلقـب الإمـام علي بن أبي طالب، ثم تلقب به العباسيون والفاطميون، وقد دعيت الخلافة بالإمامة الكبرى تميزا لها عن إمامة الصلاة[8].

شروط الخلافة: -

1- **الإسـلام** : حـيث لا يجوز إن يكون الخليفة غير مسلم ، وذلك لقول الله عز وجل " **يا أيها الذين أمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** "[9].
وهذا تحريم من الله في إطاعة المسلمين للكافر وتوليه حاكما عليهم[10].

2- **الحـرية** :- فلابـد من أن يكون الخليفة حرا ، وذلك أن العبد لا يملك نفسه ، فكيف يعطـي الولاية أو الخلافة عن المسلمين إما حديث الرسول ﷺالذي يقول فيه " أسمعوا وأطـيعوا أن استعمل عليكم عبد حبشي ، كأن رأسه زبيبه ، ما أقام فيكم كتاب الله[11] " فلا يعدوا لك نوعاً من المبالغة في طلب الطاعة للخليفة ، ولا يقصد به رأسا تجويز خلافة العبد علي المـسلمين[12].

---

1 - سورة الاعراف : آية 169 ، آية 142 ، سورة النور ، آية 55 ، سورة البقرة آية 30 ، سورة الانعام ، آية 165 ، سورة الاعراف ، آية 69 .
2 - منير العجلاني : عبقرية الإسلام في أصول الحكم ، دار الكتاب الجديد (1965م) ص112 .
3 - عبد الرحمن أبن خلدون ، المقدمة ، (بيروت) ص 191 .
4 - جميل بيضون وغيره : مرجع سابق ، 129
5 - علي حسين الشطشاط : تاريخ الحضارة الإسلامية ، دار قباء(القاهرة ، 2001م) ص62
6 - جميل بيضون : مرجع سابق ، ص 129 .
7 - رحوم كاظم محمد ، عواطف محمد : الحضارات العربية الإسلامية دراسة في التاريخ النظم ، المكتبة العامية (غريان ، 2005 م) ص 7.
8 - منير العجلاني : مرجع سابق ، ص 114
9 - سورة النساء ، الآية (58).
10 - جميل بيضون : مرجع سابق ، ص130.
11 - أبو عبدالله محمد البخاري : صحيح بخاري ، مطابع الشعب (1378) مج 7 -9 ، ص 78.
12 - منير العجلاني : مرجع سابق ، ص ص125، 126

أي أن عندما يفقد الفرد ولايته على نفسه يفقد انعقاد ولايته على غيره[1]

3- العلم :- أي أن يكون عالما ومجتهدا في أمور الدين والأحكام الشريعة[2].

ونجد البعض لم يشترط الاجتهاد في الأيمان لتعذرها في الكثير من الظروف[3].

4- العدالـــة :- يجـــب أن يكون الخليفة عادلا ، لأنه منصب ديني ينظر في سائر الأحكام التي يشترط فيها العدالة[4].

5- الكفاية أو الكفاءة :- وذلك من واجبات الخليفة إن يضبط مصالح الأمة ، شجاعا يقود الجـــيوش ، ذو حـــنكه سياســـية ولـــه رأي سديد ، وعلي معرفة وعلم بكفاية الرجال وأخلاقه[5].

ويقول أبن خلدون حول هذا الشرط " وأن يكون جريئا في أقامة الحدود واقتحام الحروب ، بصيراً بها ، كفيلاً يحمل الناس عليها ، عارفا بأحوال الدهاء ، قويا علي معاناة السياسة ، يصح له بذلك ما جعل إليه في حماية الدين ، وجهاد العدو ، وإقامة الأحكام وتدبير المصالح "[6].

6- الذكورة :- لم يذكر أن المسلمين ولوا امرأة أو أجازوا خلافة امرأة عليهم ، فالإجماع فـــي هـــذه القـــضية تـــام ، لم يشذ عنه أحد وربما أحتج بعضهم منع المرأة من طلب الخلافـــة ، بحـــديث رواه البخاري عن الرسول ﷺ، وهو أن النبي لما بلغة أن فارس ملكوا عليه بنت كسرة ، قال " لن يفلح قوم ولوا أمرهم أمراه "[7] ولكن ما خلل الأمر مـــن ذلك حيث أن بعض الشيعة قالوا بإمامة فاطمة أخت جعفر ، والشبيبة اللذين قالوا بإمامة غزالة أم شبيب[8].

7- البلوغ :- فلا يكلف الصغير بالتكاليف الشريعة ذات العبء الثقيل ، إلا بعد بلوغة[9].

فما كان يجوز أن تأخذ البيعة للولد الصغير ويقام عليه وصي يحكم باسمه حتى يرشد[10].

8- العقـــل :- وهو شرط أساسي في الخلافة ، ففاقد العقل لا يستطيع قيادة نفسة ، فكيف يقود أمة ويتولى شؤونها[11].

9- النـــسب القرشـــي :- وقد اعتمد هذا الشرط منذ وفاة الرسول ﷺ، وقد اختلف فيه إلي يومـــنا هـــذا ، حيث قيل أن أبا بكر قال سمعت الرسول يقول الائمه من قريش ، فهذه المقولة استغلتها جميع الفرق وفسرتها بحسب ما تراه وما تقتضيه المصلحة الخاصة

10- سلامة الحواس والأعضاء[12].

علامات الخلافة:-

وهي ثلاث توارثها الخلفاء عن الرسول ﷺيستلمها الخليفة الجديد من الخليفة القديم .

أ – ألبرده :- وهي بردة النبي ﷺ التي جعلها علي الشاعر كعب بن زهير ، عندما رجع تائـــبا إلـــي الرســـول ﷺوالتي القي فيها القصيدة المعروفة بانت سعاد فقلبي اليوم مبتول

---

1 - رحوم كاظم : مرجع سابق ، ص11

2 - جميل بيضون : مرجع سابق ص131

3 - محمد بن عبدالكريم الشهرستاني : الملل والنحل ، تحقيق محمد بن فتح الله بدران ، مطبعة الأزهر (1951) ج 1 ص318

4 - علي الشطشاط : مرجع سابق، ص 64

5 - جميل بيضون : مرجع سابق ، ص132

6 - ابن خلدون: المقدمة، مصدر سابق، ص212

7 - ابو عبدالله البخاري : صحيح البخاري ، دار الفكر ، مج 3، ج 8 ،ص 97

8 - منير العجلاني : مرجع سابق ، ص126

9 - جميل بيضون : مرجع سابق ، ص132

10 - منير العجلاني : مرجع سابق ، ص126

11 - جميل بيضون : مرجع سابق ، ص132

12 - رحوم كاظم : مرجع سابق ، ص12

ويقـــال ضـــلت هـــذه البردة عند أهل كعب حتى اشتراها منهم معاوية بعشرة آلاف درهم وهناك من يقول أربعين ألف درهم[1] .

ب – الخـــاتم : – وهـــو للرسول ﷺ ، وقد نقشة عندما قيل له إن الملوك لا يقرؤون كتابا غيـــر مختوم وهو من الفضة مكتوبا عليه محمد رسول الله ، وقد اتخذه من بعده أبي بكر وعمـــر وعثمان رضي الله عنهم ، ويقال انه سقط من عثمان في بئر أريس * وبذلك اتخذ الخلفاء اهتمام خاصة بهم مثل " علي الله توكلت " ، " اعتمادي علي الله وهو حسبي "[2].

ج – القـــضيب :– وهو حسب ما يقال هو عود من الخشب كان الرسول (ﷺ) يأخذه بيده ، فقلده الخلفاء في حمله من بعده[3].

شارات الخلافة:

أ – الخطـــبة : وهـــو الدعاء للخلفاء علي المنابر في المساجد ، فقد شاركهم الأمراء ذلك وهذا في فترة ضعف الدولة[4].

ب – الـــسكة : وهي ضرب العملة المتداولة بين الرعية بأسم الخليفة أو عليها دعاء قصير أو غيـــر ذلـــك ، وهي مثيلها مثيل الخطبه وقد شارك الحكماء المتسلطون الخلفاء في هذا الأمر أيضا وذلك بنقش أسمائهم كنوع إعلان استقلالهم عن الحكومة المركزية[5].

ج – الطـــراز : وهـــي الثياب وقد تباينت بين الخلفاء ،. فالراشدون مثلا لا تتميز ملابسهم عـــن ملابس الرعية إلا لم تكن اقل شأنا من ملابس رعيتهم، أما الأمويون فقد لبس الحلل الفاخرة وبالغوا في اقتناء أغلا الثياب وقلدهم العباسيون[6].

د – لـــون الإعـــلان : حـــيث كانت كل دولة قائمة لها شعار ولون معين فالأمويون مثلا اتخذوا اللون الأخضر والعباسيون الأسود[7].

هـــ – المقـــصورة: وهـــي حاجـــز خشبي يكون بين الخليفة والرعية، وقد استحدث بعد عمليـــات الاغتـــيال التـــي حـــدثت لعثمان وعمر وعلي أي إن هذا كان في عهد معاوية، وتوارثه من بعده الخلفاء الأمويون والعباسيون[8].

و – الحرس: وهم الجند الخاص لحراسة الخليفة، وينسب استحداثهم إلي الخليفة معاوية ، وتوارثه العباسيون فيما بعد .

ز – الخلعة: وهي الهدايا التي يعطيها الخليفة للناس

ح – التاج: وهو لباس الرأس الخاص بالخليفة

ط – الكسوة: هو غطاء الكعبة الذي يرسله الخليفة في كل موسم حج[9]

واجبات الخليفة:–

1– حفظ الدين علي أصولة المستقرة

---

1 - انور الرفاعي : الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية ، دار الفكر (دمشق ، 1986) ،ص ص 97، 98

2 - علي الشطشاط : مرجع سابق ، ص66

3 - رحيم كاظم : مرجع سابق ، ص13

4 - علي الشطشاط : مرجع سابق ، ص 67

5 - رحيم كاظم : مرجع سابق ، ص13

6 - شوقي أبو خليل : الحضارة العربية الإسلامية ، دار الفكر (دمشق ، 1996) ، ص 237

7 - علي الشطشاط : مرجع سابق ، ص 67

8 - رحيم كاظم : مرجع سابق ، ص13

9 - رحيم كاظم : مرجع سابق ، ص14

* أريس هي بئر معروفة بالقرب من مسجد قباء عند المدينة المنورة ، انظر علي الشطشاط ، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص 66

2- تنفيذ الأحكام بين المتجاشرين
3- حماية البيضة والدفاع عن الحريم
4- إقامة الحدود لتصان محارم الله عن الانتهاك
5- تحصين الثغور
6- جهاد عاند الإسلام بعد الدعوة حتى يسلم
7- جباية الفي والصداقات
8- تقدير العطايا وما يستحقة في بيت المال من غير سرف ولا تقتير
9- استكفاء الأمناء وتقليد النصحاء
10-أن يباشر بنفسة مشارفة الأمور وتصفح الأحوال[1].

وبعد أن أوضحنا واجبات الخليفة ، وعلامات وشروط الخلافة وإشاراتها ، يجدر بنا أن نوضح الخلافة الأموية في دمشق ، فمنذ قيام الدولة الأموية في دمشق ، تحول نظام الخلافة إلي ملك استبدادي ، قائم علي النظام الو راثي[2]، متأثرا بالنظام الذي كان سائدا في الدولتين الفارسية والبيزنطية ، بمعني إن تولي معاوية مقاليد الحكم هو باعتبار دق لناقوس الخطر في نظام الخلافة في الإسلام والتي صار علي نهجها الخلفاء الراشدين[3]، كما تعني إن الخلفاء الأمويين غيروا مبداء الشورى إلي نظام وراثة العرش[4]، في عاصمتهم الجديدة دمشق التي كان يسودها النفوذ الحضاري الفارسي والرومي أو نتيجة لظروف العامة التي كان المجتمع الإسلامي يمر بها ، أو من أجل رغبة الأمويين في الاحتفاظ بالخلافة التي حاربوا من اجلها الخليفة علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه[5].

وبذلك أدخل الأمويون كل مظاهر الابهه التي يتمتع بها الملوك والقياصرة علي خلافتهم للمسلمين[6]، وأصبحت الخلافة الأموية في دمشق تميل إلي السياسية أكثر منها إلي الدين ، ولكن معاوية لم يقم بتنفيذ هذا الأمر أو هذه السياسة دفعة واحده، بل أخذ الكثير من الحذر والحنكة السياسية في تنفيذها، وحققها بمهارة فائقة، حين أوحي إلي عماله علي الأمصار أن يمهدوا السبيل ، لأخذ البيعة لأبنه يزيد ، وكان ذلك أما بالوعيد أو الوعود الكبيرة[7]، وعموما يمكن إن نري الخصائص التالية في الخلافة الأموية في دمشق :-

1- أن يكون الخليفة من أبوين حرين عربيين، حيث كان سلمه بن عبد الملك من أشهر الشخصيات الأموية، ولكن لم يكن هناك احتمال لترشيحه للخلافة لأنه ابن جارية
2- لم يكن نظام الوراثة يحتم أتباع الابن أباه، فقد يكون من الأخ إلي اخية، كما في خلافة أبناء عبد الملك[8].
3- ظهور الخلافة الأموية طوال العهد بمظاهر الأبهة والسلطان التي تحيط بالخليفة، علي عكس البساطة التي يعرفها الخلفاء الراشدين[9].
4- كان العهد الذي يكتبه الخليفة يحترم من جميع أفراد البيت الأموي.
5- يشترط بلوغ السن في الخليفة، فالصبي لا تصح خلافته.

---

1 - علي حسني الخربوطلي : الإسلام والخلافة ، دار بيروت للطباعة والنشر (بيروت ، 1969)ص ص46 ، 47
2 - عفاف سيد صبره ، مصطفي محمد الحناوي : النظم الإسلامية ، مكتبة الرشيد (الرياض ، 1425 ه) ج 1 ، ص ص 64، 65
3 - محمد جلال شرف : نشأة الفكر السياسي وتطوره في الاسلام ، دار النهضة العربية (بيروت،1982) ص85
4 - جميل بيضون وغيره : مرجع سابق ، ص134
5 - عفاف سيد صبره وغيره : مرجع سابق ، ص65
6 - أنور رفاعي : مرجع سابق ، ص85
7 - أحمد رمضان أحمد : الخلافة في الحضارة الإسلامية ، دار البيان العربي (جده ، 1983) ص 85 ، كذلك حسين عطوان : نظام ولاية العهد وورثة الخلافة في العصر الأموي ، دار الجيل(بيروت ، 1991) ص 8
8- عبد الحسين مهدي رحيم : الحضارة العربية الإسلامية ، الجامعة المفتوحة (طرابلس ، 1995)ص ص 106 ، 107
9- محمد إبراهيم الصيحي : مرجع سابق ، ص14

6- الإشراف من رؤساء القبائل، وأيضا الأنصار والمهاجرين، وما بقي من الصحابة، هم اللذين يمثلون رأي الامه، فبتالي يعتمد الخليفة الأموي عليهم في انتخابة.
7- للقبائل الشامية ألكبري التي تقطن دمشق دورٌ كبيراً في انتخاب الخليفة دون بقية الأقاليم.
8- يسري الأمويون أن الخلافة مؤسسة مقدسة مصونة من الله عز وجل ومحفوظة من الفتن ، ومعني ذلك أن صح بأنهم يقرون بمبدأ الجبرية أي إن كل شيء مقدر من الله ، وأن طاعة الخليفة معناها طاعة الله ورسوله[1].
9- اعتماد الأمويين على القوة في تثبيت خلافتهم وتنظيم أمورها وتطبيق مبادئها الإسلامية .
10-من خصائصها أيضا إن الحكام والأمراء وأصحاب الرأي فيها من العرب المسلمين[2]
11- يعتبر الخليفة الأموي هو الرئيس الشرعي للدولة وهو القاضي ، والقائد للجيش والإمام في المسجد ، رغم أن بعضهم لم يرد أحيانا أن يحتمل جميع هذه التبيعات[3].

ب. الوزارة:

وهي أسمي الرتب السلطانية، وهي تدل علي مطلق الإعانة[4]، وهي مشتقة من الوزر وهو الثقل لأنه يحمل عن الملك أثقاله[5]، أو قد تكون مشتقة من الوزر – بفتح الواو – وهو الملجأ والمعتصم[6]، وقد تكون مشتقة أيضا من الأزر وهو الظهر ، لان الملك يقوي بوزيره كقوة البدن بالظهر[7]، ويقال وازره علي الأمر ، أي إعانة وقواه والأصل أزره[8] ، ويقال الوزير حبا الملك الذي يحمل ثقله ويعينه ، والحباء جليس الملك وخاصته[9].
أما اصطلاح كلمة الوزير، يذهب بعض المستشرقين إلي القول بأن كلمة الوزير هي كلمة دخيلة علي الفكر الإسلامي، لكونها فارسية الأصل كذلك نجد بعض المفكرين المسلمين يرون أن الفكر الإسلامي كله من أسس ونظريات مقتبسة من الفكر اليوناني القديم.
ونحن هنا لا ننكر كلامهم بالكامل فهم علي جانب من الصواب، ولكن كلمة الوزير عرفت منذ فجر البشرية، وذلك عندما وجدت جماعة من البشر علي الأرض، لازمة لتدبر أمرها حاكم ويعاون هذا الحاكم عدد منهم في تسيير الأمور، حيث يري البعض " أن السلطان نفسه ضعيف يحمل أمراً ثقيلا فلابد من الاستعانة بأبناء جنسة ".
وفي الآثار المصرية القديمة نري صوره لوزير يخرج صباحاً ليستمع إلي مظالم الفقراء، وهذا يعني أن الوزير أو لفظ الوزارة أستخدم عند المصريين القدماء.
وعلي ضوء هذا يمكننا أن نقول أن الحضارة الفارسية واليونانية هما الأتي تأثرن بالفكر المصري القديم، ومما يؤكد وجهة نظرنا القران الكريم حيث يقول موسي عليه السلام

---

1 - عبد الحسين ميدي وهيم، مرجع سابق ، ص108
2 - علي حسن البرقاوي ، عصام عبد العزيز ، حمدان رشيد ، محمد حسين محاسنه : دراسات في التاريخ الإسلامي ، دار الأمل (أربد ، 1990)ص ص 62 ،63
3 - عمر فروخ : العرب في حضارتهم وثقافتهم ، دار العلم للملايين (بيروت ، 1981) ، ص159
4 - أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة والفكر الإسلامي ، دار الطباعة المحمدية (القاهرة ، 1962) ص63
5 - أبو الحسن الهلال بن المحسن الصابي : الوزراء تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، دار احياء الكتب العربية (1958) ص2 ، كذلك إبراهيم ياسين الخطيب ، وغيره : مدخل إلي تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، الشرق للدعاية والإعلان (الأردن ، 1999) ص 74
6 -3- أبي القاسم بن رضوان المالقي : الشهب اللامعه في السياسة النافعة ، تحقيق علي سامي ، دار الثقافة (الدار البيضاء ، 1984) ص 206 ، كذلك أبو زيد شلبي : مرجع سابق ، ص63
7 - أنور الرفاعي : مرجع سابق ، ص 101
8 - علي الشطشاط : مرجع سابق ، ص68
9 - ظافر القاسمي : نظام الحكم في الشريعة والتاريخ ، دار النفائس (بيروت ،1974) ص410

"وأجعل لي وزيراً من أهلي هرون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري"* وموسي كان في مصر القديمة ، والدليل الأخر من الحضارة المصرية أقدم من الحضارتين الفارسية واليونانية لكونها تتدخل في أعماق التاريخ لأكثر من سبعة آلاف سنه تقريبا[1].

وكلمـــة وزير ظهرت في القران مرتين وأما في السنة فقد وردت عدت مرات حيث يقول الرسول ﷺ " وزير اى من أهل السماء جبرائيل وميكائيل، ومن أهل الأرض أبو بكر وعمر " ويقـــول الرسول الكريم ايضاً " من ولي منكم عملا، فأراد به خيراً جعل له وزيراً صالحا، فأن نسي ذكره ، وأن ذكره أعانه " وغير ذلك من الأحاديث النبوية الشريفة[2].

وقـــد مر منصب الوزارة بعدة مراحل عبر التاريخ الإسلامي، ففي عهد الرسول ﷺ ، كان يشاور أصحابه في أمور الدولة والسياسة مثل أبي بكر حتى سمي وزير النبي ، وفي عهد أبي بكـــر كـــان يشاور عمر وعلي ويعاوناه في تسيير الأمور مثل الخراج وغيرها ، وصار الأمر كـــذلك إلي حين انتقال الخلافة إلي بني أمية ، فنجدهم يستمرون على نفس النسق[3]، بحيث أن الحكـــم أصـــبح ضـــربا مـــن الوراثة ، فدعا الأمر بأن يستشير الخلفاء الأمويون ذوي الرأي والخبـــرة ، لـــيكونوا لهـــم وزراء يحتملون بعض الأعباء ، ولكن لم يطلق عليهم لفظ الوزير رسميا[4].

ويقـــول فـــي ذلـــك بن الطقطقي عن الوزارة في هذه الفترة ، " لم تكن مقننه القواعد ولا مقـــررة القوانـــين بل كانت لكل واحد من الملوك أتباع وحاشية ، فإذا حدث أمر استشار بذوي الحـــي والأراء الـــصائبة ، فكل منهم يجري مجري الوزير " ، ومن أمثال هؤلاء زياد بن أبيه في عهد معاوية ، ورمح بن زنباغ في عهد عبد الملك بن مروان[5].

ج. الحجابة:-

ومفـــردها حاجـــب ، ويقصد به الشخص الواقف علي الباب الخليفة ليحجب الناس عنه[6]، حتـــى لا يـــشغلوه عـــن ممارسة أعماله اليومية وهو ما ذكره ابن خلدون بمدافعة الناس ذوي الحاجـــة عـــنهم أن يزد حمو عليه فيشغلوه عن مهمته[7]، ومهمته أن ينظم دخولهم إليه مراعياً مكانتهم وأهمية أعمالهم[8].

وقـــد عـــرف هـــذا المنـــصب قبل الإسلام ، وذلك في مكة ، ولكنها كانت تعني من يقوم بحراسة الكعبة وحفظ مفاتيحها[9]، ورغم ذلك لم تستعمل في فترة الإسلام أو فترة النبي (ﷺ) والخلفـــاء الراشـــدين ، لان الـــشرع يمـــنع دفع ذوي الحاجات عن أبواب الخلفاء ، والخلفاء الراشـــدون لا يمـــنعون احد من الدخول أليهم ، بل كانوا يخاطبون الناس علي اختلافهم دون حاجه[10].

ولأنهـــم يمـــيلون إلي حياة البساطة ، وحسن العشرة للرعية ، فكانت أبوابهم مفتوحة ليلا ونهـــاراً ، يدخلـــون علـــيهم الرعية ويحلون مشاكلهم ويقيمون العدل بينهم، وهذا يذكرنا بقول

---

1 - محمد سليمان داود ، فؤاد عبد المنعم أحمد : الوزارة أدب الوزير للإمام أبي الحسن الماوردي ، دار الجامعات المصرية (الإسكندرية ، 1976) ، ص ص 29 ، 30

2 - ظافر القاسمي : مرجع سابق ، ص413

3 - صبحي الصالح : مرجع سابق ، ص295

4 - رحيم كاظم : مرجع سابق ، ص 18

5 - أبن الطقطقي : الفخري في الأداب السلطانية والدول الإسلامية ، دار صادر (بيروت ،1960) ص 153

6 - رحيم كاظم :مرجع سابق ، ص23

7 - عفاف سيد صبره وغيره : مرجع سابق ، ص96

8 - عبد الحسين مهدي : مرجع سابق ، ص169

9 - عفاف سيد صبره وغيره : مرجع سابق ، ص96 ، كذلك إسماعيل أحمد ياغي : الحضارة الإسلامية وأثرها في الغرب ، مكتبة العبيكان ، (الرياض ، 2001) ص 85

* سورة طه، الآية (28-29).

10 - رحيم كاظم: مرجع سابق، ص23

رجـــلا حين مر فوجد عمر رضي الله عنه نائما تحت ظل شجره فقال " حكمت فعدلت فأمنت فنمت يا عمر[1]"

إلا أن الظـــروف التي احاطة بالدولة الإسلامية، من تعرض الخلفاء الراشدين عمر وعثمان وعلـــي رضـــي الله عنهم من استشهاد أدت إلي ميلاد وظيفة جديدة في زمن الأمويين وأولهم معاوية فأتخذ الأمويين حاجبا بينهم وبين عامة الناس حفاظا علي أنفسهم وأرواحهم[2].

وبـــذلك شغلت مهنة الحاجب مكانه مرموقة وسامية في البلاط الأموي، وهي تشبه وظيفة كبيـــر الأمـــناء فـــي وقتـــنا الـــراهن[3]، لذلك نجد الخلفاء الأمويين يهتمون بمنصب الحاجب وباختـــياره بـــل وصل بهم الاهتمام إلي أن أصبح من وصايا الخليفة لولاته اعترافا منه بدور الحاجـــب ومكانته ، ولنا دليل في وصية عبد الملك بن مروان لأخية عبد العزيز والي مصر " ..... وأنظـــر حاجـــبك ولـــيكن من خير أهلك، فأنه وجهك ولسانك، ولا يقفن أحد ببابك إلا أعلمك مكانه لتكون أنت الذي تأذن له أو ترده[4]".

وقـــد ذكـــر إن عبد الملك بن مروان، عندما ولى حاجبة قال له " قد وليتك حجابة بابي إلا عن ثلاث المؤذن للصلاة، فأنه داعي الله ، وصاحب البريد فأمر ما جاء به ، وصاحب الطعام لئلا يفسد[5]".

وبـــذلك يتبـــين لنا أهمية الحاجب، فيقال أنه لا شيء أضيع للملكة وأهلك للرعية من شدة الحجـــاب، وقـــيل لأن سهل الحجاب أحجمة الرعية من الظلم، وإذا عظم الحجاب هجمت علي الظلم[6].

2. الـــنظم الـــقضـــائـــيـــة و الـــعسكـــريـــة :-

أ. القضاء:

يعتبـــر القضاء في الإسلام من مفاخر الحضارة الإسلامية وذلك لحرص الإسلام علي إقامة العـــدل ، واتـــسامه بالمـــرونة وطبيعة الحياة المتغيره[7] ، لذا تعد وظيفة القضاء من الوظائف الرفيعة ذات المكانة المرموقة في الدولة الإسلامية[8].

والقـــضاء لغة هو الحكم ، واصطلاحا هو الفصل بين الناس في الخصومات دفاعا للتداعي وقطعـــا للتنازل[9] ، بالأحكام الشرعية المتلقاه من الكتاب والسنة[10]، وكما نعلم إن العرب في الجاهلـــية لـــم تكن لديهم سلطة تشريعيه تضع لهم القوانين ، لذا نجدهم يحتكمون في ما بينهم معتمدين في ما بينهم علي عاداتهم وتقاليدهم الموروثة ، أو معتمدين علي معتقداتهم الدينية .

وبعـــد ظهور الإسلام أخذ الرسول ﷺ بتولي منصب القضاء بنفسة ، وفي عهد أبي بكر تولى عمر القضاء[11]، وفي عهد عمر اتسع نطاق الدولة ، ووكل أمر القضاء إلي أشخاص سمو – قضاة – لذلك يعتبر الخليفة عمر أول من عين القضاة في الولايات الإسلامية[12].

فـــوجه عـــباده بن الصامت إلي الشام ، ليكون قاضيا ومعلما وكان أول قاضي بفلسطين ، وشـــريح بـــن الحـــارث الكندي وولاه القضاء بالكوفة ، وكعب بن سور الازدي ولاه القضاء

---

1 - عفاف سيد صبره : مرجع سابق ، ص 96
2 - عبد الحسين مهدي : مرجع سابق ، ص 169
3 - محمد جلال شرف : مرجع سابق ، ص 88
4 - عبد الحسين مهدي : مرجع سابق ، ص170
5 - علي الشنشاط : مرجع سابق ، ص76
6 - شهاب الدين محمد بن أحمد الابشهي : المستطرف في كل فن مستطرف ، تحقيق مصطفي الذهبي ، دار الحديث (القاهرة ، 2000) ص 134
7 - محمود أسماعيل : تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، الأهرام للكمبيوتر والطباعة ، ص 80
8 - محمد حسين محاسنه : بناء الدوله العربية الإسلامية ، النظم والحضارة ، دائرة المكتبة الوطنية (1999) ، ص119
9 - جميل بيضون وغيره : مرجع سابق ، ص149
10 - رحيم كاظم : مرجع سابق ، ص55
11 - إبراهيم الخطيب وغيره : مرجع سابق ، ص 84
12 - علي إبراهيم حسن : التاريخ الإسلامي العام ، مكتبة النهضة المصرية ، (القاهرة ، 1971) ص 528

بالبـصرة ، وما يهمنا هو القضاء في دمشق ، فقد عين معاوية أبو الدر داء الأنصاري قضاء دمشق ، بأمر من الخليفة عمر بن خطاب فكان أول قاضي بها[1].

وظـل أبـو الدرداء قاضيا في دمشق في زمن الخليفة عثمان، ثم توفي لسنتين بقيتا من خلافة الخليفة عثمان[2].

وبعـد إن قـيام الخلافة الأموية، انتقال حاضرة الخلافة إلى دمشق ظهر اثر الامتزاج بين العـرب الفاتحـين، والأمم المفتوحة، فلا ننكر إن القانون الروماني الذي كان سائداً في دمشق قبل الفتح العربي لها قد اثر من ناحية عرض المسائل على الفقهاء ، وكأن لم يكن خطيرا على أي حال من الأحوال ، فقد كانوا يرون ذلك حسب القواعد الكلية للشريعة الإسلامية ، وإضافة إلـى ذلك لم يهتم الأمويون بالقضاء ، إلا في عهد الخليفة عمر بن عبدا لعزيز ، أي لم يصل إلـى الدرجـة التي وصل إليها فيما بعد عند العباسيين[3]، فقد كان القضاء في عهد الأمويون يحكـم بمـا يوصـى إلية من الاجتهاد ، بحيث لم تكن المذاهب الاربعه قد ظهرت بحيث كانوا يـرجعون إلى الكتاب والسنة في إصدار إحكامهم[4].كما كان القضاء في هذا العهد مستقل على الـسلطة التنفـيذية ، وبعـيدا عن تأثيرات السياسية[5]وكانت كلمة القاضي نافذة على الولاة و عمـال الخـراج وقد دعت الحاجة في هذا العصر إلى وجود سجلات لتدوين إحكام القاضي[6] لـذلك نظـم معاوية القضاء وجعل للقاضي كاتبا يجلب إليه الوثائق ويسجل الأحكام في سجل خـاص ، ويكـتب إلى صاحب الشرطة أو المحتسب لتنفيذ حكم الشرع ، وجعل له أيضا مكانا خـاص يجلـس فية ليحكم بين المتخاصمين وتوسعت إعمال القاضي إلى إن أصبحت تستدعى النظر في أموال المحجوزين من المجانين وغيرهم والى النظر في الطرقات والأبنية والأوقاف ، وحفظ أموال اليتامى وتزويجهم[7]

إمـا عـن أرزاق ومـرتبات القضاء، فقد كانت محترمه وكافيه، وذلك حتى تمنعهم عن الرشوة[8]حيث كان رزق إياس بن معاوية قاضى البصرة مائة درهم، وهناك مثلاً شريح عندما اعطـاة عـبدا لملك بن مروان بعشرة ألاف درهم وثلاثمائة جريب مقابل إن يتولى القضاء ، ومـنهم مـن لا يأخـذون عن القضاء راتب ويحتسبون أجرهم عند الله ، فمثلا كان زرعة بن أيوب قاضى دمشق لاياخذ على القضاء أجرا ، ويكتب في خاتمة "لكل عمل ثواب " وقد ولى القـضاء زمن خلافة الوليد ومن الذين تولوا القضاء في دمشق ، قضا لة بن عبيد ، والنعمان بـن البشير ، وعبدا لله بن عامر بن يزيد الدمشقي وغيرهم[9] وكانت تتم عملية اختيار القضاة مـن خيرة الناس ، وشريفي النفوس وموفوري الكرامة[10] ، كما هناك عدة شروط أخرى مثل البلوغ والحرية والإسلام والعدل والذكورة ، والعقل ، وسلامة الحواس ، والعلم[11]

ب. النظر في المظالم:-

تميز القضاء في الدوله الأموية بالحيوية، وكان من مظاهر حيويتها نمو مؤسسة القضاء ذات الأهمية الاستثنائية إلى جانب القضاء[12] وتعتبر صور ٭ من صور القضاء، لكنها تحتاج

1- محمد الزحيلي : تاريخ القضاء في الإسلام ، دار الفكر المعاصر (دمشق ، 1995) ص ص 138، 139 ، 140 ، 142

2 - محمد بن سعد : الطبقات الكبرى ، دار صادر ،(بيروت ، 1968م – ج7، ص 391

3 - على حسنى الخربوطى : الحضارة العربية الإسلامية ، السياسية ، الإدارة القضاء ، والحرب ، الاجتماع الاقتصاد ، التربية والتعليم والثقافة والفنون ، مكتبة الخانجى (القاهرة ، د ت) ص 41

4 - على إبراهيم حسن : مرجع سابق ، ص 529

5 - رحيم كاظم : مرجع سابق ، ص 58

6 - فاطمة قدورة الشامي : تطوير تاريخ العرب السياسي والحضارة ، من الجاهلي إلى الأموية دار النهضة العربية (بيروت ،1997) ص226

7 - رحيم كاظم : مرجع سابق ، ص 58.

8 - على حسنى الخربوطى : مرجع سابق ، ص 43

9 - محمد الزحيلي: مرجع سابق ص ص 177، 178، 198، 199

10 - على إبراهيم حسن : مرجع سابق ، ص 529

11 - ارشيد يوسف ارشيد : الحضارة الإسلامية نظم – علوم - فنون مكتبة العبيكان (الرياض ، 2004) ص 106 .

12 - رحيم كاظم : مرجع سابق ، ص 64

إلى سلطة أعلى من سلطة القاضي ، وينظر فيما يعجز عنة القاضي[1] وتكون لصاحب النظر في المظالم قوة يستطيع إن يقمع بها من لا يستمع لقضائه ولا ينفذ[2] ، ففي العهد الراشدى لم يجلس احد على النظر في المظالم ، لقوة الوازع الديني ذلك الوقت غير الخليفة علي ولكن لم يحدد يوما لذلك ولازمنا[3] ، إما في العصر الاموى استدعى الأمر إلى القيام بهذا العمل نتيجة لكثرة المظالم التي ظهرت من الولاة والأمراء ، وأصحاب النفوذ وغيرهم فأول من جلس من الأمويين للنظر في المظالم هو الخليفة عبدا لملك بن مروان ثم الخليفة عمر بن عبدا لعزيز
، وقام الأخير بمحاسبة اقاربة وأمراء ألدوله، وقاسم من ثبت عليه الكسب الغير مشروع، ولم يكن ذلك في حاضرة الخلافة " دمشق " فقط وإنما في جميع مدن الدول الإسلامية[4]

ت. الشرطة:-

ففي اللغة من شرط : وهى علامة توضع على ملابس الأشخاص معينين ليعرفهم الناس ، ومهمتهم حفظ الأمن .

وفـــى الاصطلاح: هم الجند الذين يعتمد عليهم الخليفة أو الوالي لحفظ الأمن والقبض على الجناة والمخربين، وغير ذلك مما يكفل للرعية الأمن والاستقرار[5] .

وكانـــت أولى الأمر تابعة للقضاء، فهي تقوم على تنفيذ الأحكام القضائية وتطبيق العقوبات علـــى المذنبين في حاله ثبوت الجريمة، فالشرطة أصلا خادمة للقضاء وتساعد القضاة في أداء مهمـــاتهم[6] وأصبح الأمر كذلك إلى إن تولى الخلافة على بن أبى طالب ، ودعم نظام العسس ونظمه وأوكل لها واجبات وسماة " نظام الشرطة " وأطلق على رئيس هذا النظام اسم صاحب الـــشرطة[7]، وقـــيل أول مـــن اســـتخدمها هو الخليفة عثمان بن عفان في المدينة حين ظهر المفسدون والعصاة عليه[8] .

وعقب الحرب الداميه التي دارت رحاها على الأرض العربية الإسلامية والتي نتج عنها قـــيام الدولـــة الأموية، مهدت هذه الظروف السياسية والاجتماعية إلى تطور نظام الشرطة في تلـــك الفتـــرة، حـــيث أبدت هذه الظروف احتياج الدولة الأموية للشرطة لقمع الثورات والفتن والاضطرابات التي نشبت في كافة إرجاء الدولة العربية الإسلامية، وقد استحدثت قوة شرطية جديـــدة نـــصف حربية أطلق عليها اسم " شرطة الأحداث "، كما ظهرت بعض النظم الشرطية الأخـــرى قـــبل مـــراقبة المـــشبوهين، ففـــي عهد معاوية اعد في دمشق سجل خاص لحصر المشبوهين، والمحاولة من الحد من نشاطهم سواء السياسي أو الإجرامي[9]

وعموما يمكن تلخيص مهام الشرطة إلى ما يلي:-

أ. الاعـــتماد عليهم في حماية الخلفاء و الولاة فيقال إن معاوية ومن بعده من الخلفاء الأمويـــون اعتادوا على الإكثار من الحراس في ترحالهم لحماية أنفسهم وترهيبا للعامة[10]

ب. المحافظة على الأمن العام من الفتن

---

1 - محمد حسين محاسنة : مرجع سابق ص 123
2 - رحيم كاظم : مرجع سابق ، ص 64
3 - على إبراهيم حسن : مرجع سابق ، ص 531
4 - محمد الزحيلى : مرجع سابق ، ص ص 182 ، 183 ، 184 .
5 - أرشيد يوسف بن أرشيد : مرجع سابق ، ص 29
6 - محمد إبراهيم الصبحى : مرجع سابق ،ص 51
7 - محمد إبراهيم عمر الاصبيحى : الشرطة في النظم الإسلامية والقوانين الموضعية ، دار اقرا (طرابلس 1990 م) ص 54
8 - جلال الدين عبدا لرحمن السيوطى : تاريخ الخلفاء ، دار نهضة مصر (القاهرة 1975) ص 165
9 - محمد إبراهيم الاصبيحى : مرجع سابق ، ص 55
10 - محمد إبراهيم الاصبيحى : مرجع سابق ، ص 56

ت. المحافظه على أموال الدولة وحمايتها
ث. الضرب على ايدى المذنبين والمخربين
ج. تنفيذ أوامر القضاة في إحضار المطلوبين للشهادة وغيرها
ح. تنفيذ إحكام الحدود
خ. حماية المرافق العامة[1]

د. الجيش والبحرية:-

لـم يعـرف العـرب في الجاهلية الجيوش وتنظيمها، إلى إن جاء الإسلام فأصبح العرب يقاتلـون مـن اجـل نشر الإسلام ولكن ليس في جيوش منظمة بل متطوعون لحركة الجهاد الاسلامى وإعلاء كلمة الله، واستمر ذلك إلى خلافة عمر حيث انشأ ديوان للجند تقيد أسمائهم ومقـدار أرزاقهـم[2] ، وصـار الأمـر هكـذا إلى أواسط الدولة الأموية ، حيث بدأ التجنيد الاجـبارى الذي صار نظاما ثابتا في الجيش الاسلامى[3] والى جانب هذا الإلزام تقدم كثير من المتطوعـين لمحاربة الكفار[4] ، ومن المؤكد إن الأمويين قد ولوا عناية فائقة بجيوشهم ، حتى تمكنت هذه الجيوش من تحقيق تلك الإنجازات العظيمة في التاريخ الاسلامى[5] .

أما حاضرة الخلافة دمشق، فقد كان الجيش الموجود فيها أغلبة من السوريين والشاميين[6]

إما عن الأسطول البحري فيرجع الفضل إلى الخليفة عثمان في أنشأة أول أسطول إسلامي للدولـة العـربية، كما اهتم معاوية بالأسطول وذلك بعد قيام الخلافة الأموية ، وظلت البحرية الإسلامية على عظمتها وازدهارها إلى إن أسقطت الخلافة الأموية[7] .

ثانياً : النظم الإدارية :

أ- الإمارة على البلدان:-

لـم تكن الشام في عهد سيدنا أبي بكر رضي الله عنة، قد حسم أمرها حتى وفاته[8] ، ولكن فـي عهد الخليفة عمر اتسع نطاق الدولة الإسلامية وظهرت المعالم الرئيسة لنظام الولاية على الأقالـيم ، فكـان اغلب الولاة من قادة الجيوش ، وعملهم مراقبة سير الأمور وإقامة الصلاة وجـباية الخراج ، وشدد الخليفة عمر على مراقبة الولاة ، وحاسبهم بعد انتهاء المدة[9] ويذكر أن للإمارة نوعان هما إمارة عامة وإمارة خاصة والأمارة العامة تنقسم إلى قسمين هما إمارة استكفاء وهي بعقد عن اختيار ، وإمارة استيلاء وهي بعقد عن اضطرار[10]

وعمـوما فقـد قسم الخليفة عمر البلاد الإسلامية إلى عدة ولايات حتى يسهل علية عملية الـسيطرة عليها وتنظيمها، فقسم بلاد فارس إلي ثلاث ولايات والعراق إلى ولايتين، وما يهمنا هـو الشام فقد قسمت إلى ثلاث ولايات ولاية حمص ، وولاية فلسطين ، وولاية دمشق ، في حين تم تقسيم مصر أيضا إلى ثلاث ولايات[11]

---

1 - ارشيد يوسف بن ارشيد : مرجع سابق ، ص 131
2 - على إبراهيم حسن : مرجع سابق ، ص 535
3 - محمود إسماعيل : مرجع سابق ، ص 87
4 - على حسنى الخربوطلي : مرجع سابق ، ص 55
5 - حمدي شاهين : الدولة الأموية المفترى عليها ، دار القاهرة للكتاب (القاهرة 2001) ص247
6 - على حسنى الخربوطلى : مرجع سابق ، ص 58
7 - على إبراهيم حسن : مرجع سابق ،ص ص 538 ، 539
8 - : رحيم كاظم :مرجع سابق، ص 30
9 - عبدالحميد مختار العبادى ، محمد مصطفى ، إبراهيم العدوى : الدولة الإسلامية تاريخها وحضارتها ، نهضة مصر للطباعة (القاهرة،) ص ص 28 ،29
10- مصطفى الرافعي : حضارة العرب في العصور الإسلامية الزاهرة ، دار الكتاب (لبنان ، 1968) ، ص 124
11 - رحيم كاظم : مرجع سابق ، ص 34

وتولـــى أمر بلاد الشام أبو عبيدة بن الجراح، وكان يزيد بن أبي سفيان على دمشق ثم تلاه أخوة معاوية بن أبي سفيان وظل بها حتى قامت الخلافة الأموية سنة 40 هجري[1]

حـــيث ازدادت الدولـــة الإســـلامية اتـــساعا، ورأى معاوية التنظيمات الإدارية التي كانت موجـــودة فـــي مصر والعراق والشام أيام الرومان، فأقتبس منهم ما يلائم الروح الإسلامية ، والغي الكثير من المظاهر التقليدية للإدارة السابقة ، وانشأ إدارة جديدة[2]

وتم تقسيم الدولة العربية زمن الأمويين، إلى عدة ولايات كبرى:

1- الحجاز وتضم المدينة ومكة
2- العراق وتظم البصرة والكوفة وخراسان
3- الجزيرة وارمينه وتظم الموصل وأذربيجان ، وولايات ارمينه
4- مـــصر وكان يدير شأنها والى ، ولكن في عهد هشام بن عبد الملك أضاف إليها إدارة أفريقيا
5- بلاد الأندلس .
6- أجناد الشام وتظم فلسطين ، الأردن ، حمص ، وقنسرين وانطاكيا ، ومنبج ، ودمشق ، وقـــد كانـــت تحـــت ولايـــة الشام[3] وفيما يتعلق بولاية الشام ، فقد سادها الهدوء والاستقرار لان أهلها هم أنصار الأمويين ، إضافة إلى ذلك أقام معاوية بيتهم حوالي أربعـــين عامـــا ، نـــصفها الأول وهو والى . ونصفها الثاني وهو خليفة ، حيث اتخذ دمـــشق عاصمة للخلافة ، وأحاط أهلها بنوع من الرعاية والإكرام فأكتسب محبتهم ، إضـــافة لذلك أحسن معاملته لأهل الذمة في الشام[4] كما إن ولاية الشام كانت تخضع للخلفـــاء الأمويـــين مباشرة ، لوجود عاصمة الخلافة في دمشق ثم إن ما يميز دمشق عـــن بقـــية الـــولايات هو الطابع العربي وذلك لكثرة القبائل العربية القاطنة بها قبل الإسلام ، والقبائل العربية التي هاجرت لها بعد الفتح العربي الإسلامي.

وقد اعتمد معاوية منذ أن كان واليا على هذه القبائل اليمنية، وقربها منه بحكم أنها كانت في الشام قبل الإسلام كما أسلفنا، ووقوع الشام في تلك الفترة تحت النفوذ البيزنطي ومحالفة هذه القبائل للبيزنطيين وذلك عندما تمكنوا من إقامة دولة صغيرة عرفت بدولة الغساسنه.

إضـــافة إلـــى اعتـــناق عدد منهم المسيحية ، فإنهم بكل تأكيد قد اقتبسوا الكثير من مخلفات الحـــضارة الـــرومانية فـــي مـــيدان التنظيم العسكري والسياسي والادارى وبالتالي نقلوا هذه الخبرات إلى معاوية وحكومته[5]

ومـــا يخـــص عملية التولية فأهم شرط ينظر إلية من قبل الخليفة هو الو لاه[6] لذلك نجد الخلفـــاء الأمويـــين يهـــتمون كبيـــر الاهتمام باختيار الولاة وكثيرا ما نراهم يسندون مثل هذه المناصـــب إلـــى أفـــراد مـــن البيت الحاكم ، كما كان أيضا يستعمل من تثبيت كفأته وقدرته السياسية[7]

---

1 - أرشيد يوسف بن أرشيد : مرجع سابق ، ص 94 ، كذلك عبد الحسين مهدي : مرجع سابق ، ص 210

2 - رحيم كاظم : مرجع سابق ، ص 34

3 - فرج محمد الهوني : النظم الإدارية والمالية في الدولة العربية الإسلامية من الرسول إلى نهاية الدولة الأموية ، منشورات الشركة العامة (طرابلس ، 1978) ، ص 189، 190

4 - إسامة احمد حماد، كمال السيد مصطفى: تاريخ الدولة العربية الإسلامية، مركز الإسكندرية للكتاب (الإسكندرية، 2005) ص 167

5 - نجدة خماش: الإدارة في العصر الاموى ، دار الفكر، ص 111

6 - احمد شلبي : موسوعة النظم والحضارة الإسلامية السياسية في الفكر الاسلامى ، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة ، 1983) ص 199

7 - حسن إبراهيم حسن ، على إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة ، 2001) ص ص 146، 147

فقد رأينا كيف استعمال زياد الذي أصبح من أكثر الناس ولاء له وأيضا النعمان بن بشر[1] وكان كل والي من ولاة هذه الأقاليم يختار من يساعدونه في إدارة الكور التابعة له، ويكونون مسؤلين إمامة من أعمالهم .

وما يغلب على الإدارة في العصر الاموى طابع اللامركزية، بحيث إن الولاة المشرفين على إدارة الأقاليم لا يراجعون الخلفاء في كل كبيرة وصغيرة، ولو فعلو ذلك لتعطلت مصالح الناس[2]

وهناك من يقول إن سلطة الوالي في العهد الاموى مطلقة حتى على الأرواح وذلك كما تبين من خطبة الحجاج وزياد بن أبية وغيرهم[3] ولكن ليس معنى ذلك إن الولاة في العصر الاموى كانوا يفعلون ما يشاؤون دون محاسبة أو رقابه بل كان معظم الخلفاء الأمويين يتصفحون إعمال الولاه عن طريق البريد، ولكن ما يهمهم بالدرجة الأولى هو استتباب الأمن ومصالح الناس، وسلامة الدولة والحفاظ على هيبتها[4]

والدليل على ذلك عندما تولى الخليفة عمر بن عبدا لعزيز، صرف جميع عمال من كان قبلة من بنى أمية، ورد المظالم، وأمر الولاه الجدد إن لا يقتلوا أحدا إلا بعد الرجوع إلية، فعين على الكبوفة وأرضها عبدا لحميد بن عبدا لرحمن ، وعلى البصرة عدى بن ارطاه[5] ، إما مصر فعين عليها معاوية بن عبدا لرحمن بن حديج ، وعزل عن الأندلس الحسن بن عبدا لرحمن بن حديج ، وعزل عن الأندلس الحسن بن عبدا لرحمن ، وعين السمح الخولاني ، وغيرهم من الولاه الذين تمت توليتهم إثناء خلافة الخليفة عمر بن عبد العزيز[6] ما يجدر بالذكر إن هذا النظام الادارى – الأمارة على البلدان– كان معروفا في دمشق قبل الفتح العربي الاسلامى لها ، وذلك إن الحاكم أو الملك كان يولى من يقوم مقامه في حكم الولايات ، وكانت دمشق عندما فتحها المسلمون مقسمه إلى أحدى عشر إقليما تحت كل إقليم عدة بلاد ولكل إقليم قصبة ، وعلى كل إقليم حاكم وعلى كل هذه الأقاليم حاكم عام يقيم في إنطاكية هو الذي يعزل ويولي هؤلاء الحكام ، ويتولى أيضا جباية الأموال والخراج ، والإنفاق على الجند وسائر إعمال الولاية[7]

ب– الدواوين:–

عرفت الإمبراطوريات القديمة، لاسيما منها الإمبراطورية الفارسية والإمبراطورية الرومانية، عرفت النظم الادارية، نتيجة تجاربها المستمرة في مجال الاقتصاد والسياسة والحرب، وحصيلة لهذه الخبرات أصبحت كلا منها قادرة على تنظيم شؤونها، طبقا للمتطلبات السياسية والتوسع العسكري ،ونتيجة أيضا لهذه التوسع العربي واحتكاك هذه الدولة بالمناطق التي سيطرة عليها ،ولوجود حضارات قديمة وسابقة لهذين الإمبراطوريتين ،لذا اقتبست الكثير من أنظمة هذه الشعوب المسيطرة عليها ،فالرومان مثلا اخذوا النظم الإدارية والسياسية عن اليونان والفرس و اقتبسوا عن الكلدانيين والبابليين نظمهم السياسية والإدارية ، وعن الأشوريين التنظيم العسكري فلا عجب ولا استغراب أن اقتبس العرب بعض الأنظمة التي كانت سائده قبل إنشاء دولتهم ،وأضافوا عليها ما يلائم روح الإسلام ومبادئة وقيمة التي جاء من اجلها ،ومن بين هذه الأنظمة نظام الدواوين وهذه ظاهرة إن دلت على شي فإنما تدل على أن العرب امة تتقبل الحضارات العالمية ،ولا تعيش في معزل وانكماش عن التطورات

---

1 ـ نجدة خماش : مرجع سابق ، ص 294

2 ـ عبد الشافي محمد عبدا للطيف : العالم الاسلامى في العصر الاموى ، دار الوفاء (د.م،1984) ص ص542، 543

3 ـ حسن إبراهيم ، وغيره : النظم الإسلامية ، مرجع سابق ، ص 147

4 ـ عبدالشافى محمد :مرجع سابق،ص 544

5 ـ منصور احمد الحرابى : الدولة العربية الإسلامية ، نشأتها ونظامها السياسي ، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية (طرابلس ،) ص 165 ، كذلك حسن إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، ص 147

6 ـ خليفة بن خياط الليثي العصفرى : تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق اكرام ضياء ، دار القلم (بيروت ، 1977) ص ص 322، 323

7 ـ جرجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى ، مؤسسة دار الهلال (1968) ج 1 ، ص ص 150 ، 151

الحضارية[1] فعندما افتتح العرب الشام كان لها اثر كبير في نشأة نظام الدواوين عند المسلمين ،بحيث عاد الفاتحون إلى العاصمة الإسلامية يحملون معهم إخبار البلاد المفتوحة ، وأهمها أخبار النظم الإدارية السائدة فيها ،وعلى وجه الخصوص الدواوين[2] وسنذكر الدواوين التي كانت في دمشق قبل الفتح ولكن في حينها .

" كانت رعاية المصالح العامة للمسلمين وتصريف شؤونهم وسد حاجاتهم من الأمور الأساسية التي شغل بها الرسول صلى الله عليه وسلام والخلفاء من بعده ، حيث إن حركة التحرير والفتوح من أجل نشر الإسلام اقتضت توجيه المقاتلة إلى جبهات مختلفة كان لابد من تأمين حاجاتهم وحاجات أسرهم من خلال العطاء بعد أن ازدادت الواردات عندها أصبحت الحاجة ماسة إلى إنشاء الديوان لتأمين الأوضاع الجديدة من خلال رعاية مصالح المسلمين العامه "[3]

ورغم اختلاف المؤرخين وعلماء اللغة في اصل الكلمة –الدواوين – فمنهم من يقول فارسية الأصل ، والرأي الأخر يقول بأن اصل الكلمة عربية ، معتمدين على ما قاله بن عباس " إذا سألتموني عن شي من غريب القران فالتمسوه في الشعر فان الشعر ديوان العرب[4]".

ومهما اختلفت الآراء حول اصل الكلمة إلا أن الديوان هو " موضع لحفظ ما يتعلق بالسلطنة من الأعمال والأموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال[5]" وهناك من يقول إن الديوان كان موجوداً منذ عهد الرسول ﷺ، ولكن لم يكن يسمى بهذا الاسم ، ويدلل على ذلك فيقول إن الرسول ﷺ أراد مره إحصاء المسلمين فقال : " أحصوا لي من تلفظ بالإسلام" من الناس فكتبوا له ألف وخمسمائة رجل[6] ، ولكن في اعتقادي إن ذلك لا يعدو كونه بذور للمفاهيم الديوانية عند المسلمين ، وان الديوان لم يعرف بمعناه الفني في عهد الرسول ﷺ لان هذا العهد يعتبر النواة الأولى للجهاز الإدراى للدولة.

وهناك رأي أخر يقول بأن الخليفة عمر بن الخطاب هو أول من انشأ الديوان في الإسلام[7] وكان ذلك نتيجة للفتوحات الإسلامية واتصال المسلمين الفاتحين بالبلاد المفتوحة والأنظمة التي كانت سائده فيها فعندما فتحوا دمشق أخذو عن الرومان ما كان ملائما وصالحا للاقتباس، كما ابقو على الكثير من الأنظمة الإدارية التي ثبت لهم صلاحيتها لتلك البلاد[8].

وتشير بعض الروايات إن سبب إنشاء الديوان هو إن أبا هريرة قدم بمال وفير من البحرين، فصعد الخليفة على المنبر مخاطبا الناس قائلا " أيها الناس قد جاءنا مال كثير فإن شئتم كلنا لكم كيلا ، وان شئتم عددنا لكم عدا ، فقام إلية رجل فقال يا أمير المؤمنين قد رأيت الأعاجم .

يدونون دواتا لهم فدون أنت لنا ديوانا فوافق الخليفة عمر[9] وروي أيضا إن عمر بن الخطاب: استشار المسلمين في تدوين الدواوين قال له على بن أبى طالب: تقسم الأموال الواردة كل سنة دون إن تحتفظ بشي منها، وقال عثمان بن عفان أرى مالا كثيرا، فلم يحصوا حتى يعلم من اخذ ومن لم يأخذ، وقال أخر: قد كنت بالشام فرأيت ملوكها يدونون ديوانا

---

1 - إحسان حلاق : دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية ،دار النهضة العربية ،(بيروت،1989) ص ص 29,28,27

2 - فتحية عبد الفتاح النبراوى : تاريخ النظم والحضارة الإسلامية ،دار الفكر العربي (القاهر،2004)ص82

3 - عبدا لحسين مهدى رحيم : مرجع سابق ،ص 229

4 - بشير رمضان ، وجمال هاشم الذويب : تاريخ الحضارة الإسلامية ، دار المدار الاسلامى (بيروت ، 2001) ص 107

5 - رحيم كاظم : مرجع سابق ص 39

6 - محمد نصر الدين الألبانى : سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقها وفوائدها ، منشورات المكتب الإسلامي (دمشق،1378) مج 1 ، ص 92، كذلك إحسان حلاق : مرجع سابق ، ص 30.

7 - أبو يوسف : الخراج ، المطبعة السلفية (القاهرة ، 1382 ة) ص 45 .

8 - فتحية النبراوى : مرجع سابق ، ص 82

9 - رحيم كاظم : مرجع سابق ، ص 39

وجـندوا جـنداً فـدون ديـوانا وجند جندا فأخذ بقوله[1] فأنشأ ديوان الجند لحفظ أسماء الجند المجاهـدين، ومـا يخـص كل منهما من عطاء ، وذلك على ترتيب الأنساب مبتدئا من قرابة الرسـول ﷺ وما بعدها الأقرب فالأقل قربا[2] وكان هذا الديوان موجود ا في دمشق كما أسلفنا مـنذ قلـيل ، وانشأ أيضا ديوان الخراج ومهمة تسجيل الأراضي الخارجية التي فتحت عنوه، ومقـدار الخراج المفروض عليها[3] ومن مهمته الموازنة بين الواردات والنفقات[4]، وقد وضع يكتب باليونانية في الشام[5] ، مما يدل على إن ديوان الخراج كان معروفا في دمشق قبل الفتح وذلـك حسبما يذكر الماوردى انه كان سائداً من قبل وكانوا يسمونه ضريبة الأرض ، ويقول أنهـا كانت تكتب بلغة الحاكم[6] وكان كاتب هذا الديوان – ضريبة الأرض أو الخراج – في الشام عهد هرقل قبل الفتح منصور النصراني ، والد سرجون الذي استعان به معاوية فيما بعد بـإدارة أمواله[7] ثم انشأ ديوان الإنشاء أو ديوان الرسائل ومهمة إنشاء الرسائل التي يبعث بها الخلـيفة إلـى الامتـراء ة والملوك ، ويتلقى بالمقابل الرسائل الواردة إلى الخليفة ، وكتب هذا الديـوان بالعـربية[8] هـذه هي الدواوين التي كانت تقريبا موجودة في عصر الراشدين ولكن عـندما أصـبحت الخلافـة إلـى بنـى أمـية وانتقلت الحاضرة إلى دمشق ،و أصبح الملك سياسي،وكثرت مخالطة العرب للأعاجم وأخذت الدولة العربية في التوسع، والارتقاء العام[9] .

حرص الأمويون على حسن إدارة دولتهم ، والسهر على مصالح الرعية فلم يدخروا وسعاً فـي اقتـباس السنظم الإدارية النافعة لتطبيقها لإدارة مرافق الدولة ، فلذلك نجدهم أضافوا إلى الدواوين المعروفة في العصر الراشدى دواوين أخرى رئيسية ، علما بأن كل ديوان تم إنشاؤه بدمـشق ينـشأ له نظير فرعي في عواصم الولايات يقوم بنفس الأعمال التي يقوم بها الديوان المركزي ومن أهم هذه الدواوين :-

1. ديوان الخراج: كان هذا الديوان موجودا في دمشق قبل الفتح الاسلامى ،وكان يكتب باللغة الـرومية ، وقد أبقى عليه المسلمون ، لأنه ليس هناك من العرب والمسلمين من هو قادر فـي ذلـك الـوقت على إدارة هذا الإقليم ، وله حساباته الخاصة التي لم يكن من السهل تغييـرها، أو أن يـتم ذلـك فـي وقت قصير ومهمته كما ذكرنا تدوين عائدات الاراضى الزراعية[10] والغنائم والجزية ، والضرائب التي تؤخذ من التجار ، وتصرف هذه الأموال علـى مرتبات الجند والموظفين ،وفى إنشاء الطرق وتشييد الجسور وشق الترع والقنوات وغيـرها ، ثـم يرسل ما يتبقى منها إلى ديوان الخراج المركزي في دمشق[11] وهو أول ديوان في الإسلام وأول ما تم تدوينه في دمشق على ما كان عليه قبل الإسلام[12] .
2. ديـوان البـريد :- وكان هذا الديوان معروفا فى دمشق قبل الفتح أيضا ، فقد أخذه معاوية عن الرومان ، وبذلك يعتبر أول من انشأ ديوان البريد في الإسلام[13] وأطلق أسم صاحب البريد على من يتولى هذا الديوان ، وأصبح من أهم الوظائف الإدارية فى العصر الاموى ، ولـه نفـوذ كبيـر ، وكانت مهمته يتولى تنفيذ ما يصدر عن الخليفة الى عمال الأقاليم ، ويتلقـى مـا يرد منهم الى حاضرة الخلافة ، ثم يراقب العمال والموظفين التابعين لديوان

---

1 - القيراوى : مرجع سابق ص 84
2 - شوقي بو خليل : مرجع سابق ، ص 318 ، 319
3 - بشير التليسي وغيرة : مرجع سابق، ص 108
4 - شوقي أبو خليل : مرجع سابق ، ص 319
5 - بشير التليسي : مرجع سابق ، ص 109
6 - ابو الحسن الماوردى : مصدر سابق ، ص 203
7 - محمد كرد على : الإدارة الإسلامية في عزة العرب ، طبع على نفقة صاحبة العصمة موت القلوب هانم الدمرداشية (القاهرة ، 1434) ص 78
8 - شوقي أبو خليل : مرجع سابق ، ص 320
9 - جرجي زيدان : مرجع سابق ، ص 124.
10 - فرج محمد الهوني : النظم الإدارية والمالية في الدولة العربية الاسلامية ، مرجع سابق ص 203
11 - عبدالشافي محمد عبداللطيف : مرجع سابق ، ص 562
12 - حسان حلاق : تعريب النقود والدواوين في العصر الاموى ، دار النهضة العربية (بيروت،1988) ص 175
13 - جلال الدين السيوطي:- مصدر سابق ، ص 300

البريد في الولايات المختلفة ، ويقوم بعرض كتب أصحاب البريد والأخبار للخليفة.
ومعنى ذلك أن ديوان البريد يقوم بمهام الرقابة الإدارية في وقتنا الحاضر، لذلك نجد الخلفاء الأمويين يهتمون به اهتمام كبير للغاية، نظرا لكبر دولتهم المترامية الأطراف ولكثرة الخارجين عليها والمناوئين لها[1].

والدليل على إن البريد يستعمل الأغراض التجسس ونقل الأخبار للخلفاء، ما ورد في سنة 53هـ ، حيث وصلت لمعاوية أخبار مجئ حجر ابن عدى الكندي من الكوفة ، ومعه جماعة من أصحابه ، وذلك قبل وصوله لدمشق على بعد اثني عشر ميلا فبعث إليه معاوية من يقتله[2] ، وهذا يؤكد أن هناك طرق رئيسية تربط الأمصار الإسلامية بالعاصمة دمشق كما تم استخدام هذه الطرق في النجدات العسكرية ، والدليل على ذلك عندما طلب الحجاج النجدات ضد ثورة شبيب الخارجي ، فأرسلها له عبد الملك بن مراون عن طريق البريد ، كما كانت له أغراض اقتصادية ففي ذلك عندما أراد الوليد بن عبدالملك أن يحمل الفسيفا من القسطنطينية إلى دمشق ، نجده يستخدم البريد في نقل هذه الأغراض[3]

3. ديوان الرسائل:- ففي عهد الراشدين كما أسلفنا له مهامه وفى العهد الاموى له نفس المهام، وما يميزه عن العهد الراشدى هو تطوره ، بحيث انه تعددت اختصاصات الديوان ، وكثرة عدد العاملين به ، لذا نجد هناك كتاب رئيسيون يقومون بالإنشاء ، وأخرون يقومون بالتلخيص والتبييض ، وأصبح له محفوظات خاصة يتولى أمرها الخازن فأصبحت المراسلات تنظم فى سجلات ، يقال لها أضابير ،توضع عليها بطاقات تدل على محتوياتها لتسهيل عملية استخراجها.

وعادة ما كانت تلف رسائل كل شهر في اضباره تحمل اسم الشهر والاضبار عبارة عن ورقة تلف حول الرسائل، ويلصق طرفيها بالنشا والمهم ان الرسائل التى تصدر من هذا الديوان تختم بختم الخليفة فمثلا معاوية كانت عبارته المشهورة " لكل عمل ثواب"[4].

وكان كتاب هذا الديوان يختارون بعناية كبيرة ، ويكونون ممن يجيدون العربية وأدابها ومن المشهورين بالبلاغة والفصاحة وكان من عملهم أيضا استقبال الوفود القادمة الى دمشق سواء لمجرد الزيادة او للمفاوضات من أجل معاهدات الصلح ، لذلك عملهم أشبه بما يعرف بالعلاقات العامة فى الدول المعاصرة[5]

4. ديوان الجند:- وهو نفس الديوان الذي أسسه الخليفة عمر بن الخطاب اللهم أن التغير حدث في مقدار الاعطيات ، وذلك لازدياد عدد الجند واحتكاك المسلمين بحضارات أخرى ، وتشعب المسائل المالية[6] ومن المحتمل إن ديوان الجند انقسم إلى قسمين، قسم خاص بالاعطيات ، وقسم خاص بالجند[7].

5. ديوان الخاتم:- فهناك من يرى ان الرسول ﷺ، هو أول من استخدم هذا الديوان ولكن لم يكن ديوانا رسميا، ولم يكن يعرف بهذا الاسم ، ويدلل أصحاب هذا الرأى ان الرسول ﷺ لما أراد ان يكتب الى الاعاجم يدعوهم الى الاسلام قيل له " انهم لايقبلون الكتاب الا ان يكون مختوما ، فأمر الرسول ﷺ بعده الخلفاء الراشدين ، واستمر كذلك حتى سقط هذا الخاتم فى البئر[8]

---

1 - عبدالشافي محمد عبداللطيف : مرجع سابق ،ص ص563 ، 564

2 - ابو الحسن على بن الحسين المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تصحيح شارل بلا ، منشورات الجامعة اللبنانية (بيروت،1970) ج 3 ، ص 188 .

3 - فرج الهوني : مرجع سابق ص 200

4 - القلقشندى : مصدر سابق ، ج 6 ، ص ص 313 ، 314، 354

5 -عبدا لشافي محمد: مرجع سابق ، ص 566

6 - إحسان حلاق : دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص 36

7 - فرج محمد الهوني : مرجع سابق ص 204

8 - بشير الطبسي : مرجع سابق ، ص 109 ،110، كذلك رحيم كاظم : مرجع سابق ، ص 41

– ولكـن لا اعـتقد إن هذا الديوان كان موجوداً في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإنما الذي كان معروفاً هو الخاتم نفسه.

وهناك رأى أخر يقول بأن ديوان الخاتم أنشأ في عهد معاوية بن أبي سفيان[1] ، ويقال إن السبب في إنشاء هذا الديوان هو إن معاوية قد أعطي كتاباً إلى عمر بن الزبير يأمر فيه زياد بـن أبيه عاملة على العراق بأن يعطى صاحب هذا الكتاب مائة ألف درهم ، ففتح عمر الكتاب وجعـل المائة مائتين واستلم القيمة من زياد، وأكتشف معاوية هذا الاختلاس عندما رفع له زياد حساب الولاية[2]

ومـنذ ذلك الوقت أصبحت الرسائل تصدر مختومة ، بعد إن تحزم بخيط وتختم بالشمع ، ثـم تختم بخاتم صاحب الديوان[3] وأصبح لهذا الديوان عدد من الكتاب القائمين على أنفاذ كتب الخلـيفة والمختـم عليها[4] وكان الأمويون يسندون هذه المهام لمن يثقون بهم ، فقد اسند معاوية مهمـة الإشراف على ديوان الخاتم عبدا لله بن محصن الحميرى[5] وقيل ولاه عبدا لله بن أوس الغـساني وفـي عهد عبدا لملك بن مراون تقدمت إدارة ديوان الخاتم ، كما نشأت إذ ذاك دار للمحفوظات الحكومية في دمشق[6] وما يؤكد على إن ديوان الخاتم كان موجوداً في دمشق قبل الفـتح هو إن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما أراد ان يكتب الى هرقل ملك الروم قالوا له ان العجم لا يقبلون كتاباً إلا إذا كان مختوما – ومعنى ذلك ان هناك ديوان الخاتم كان موجوداً فى الشام ذلك الوقت، ولكن قد يكون بأسم غير هذا الاسم.

6. ديـوان الطراز : قيل ان لفظ طراز فارسى الاصل ، وأستعمل للدلالة على ملابس الخلفاء والمـلاطين ، وكـان هـذا الديـوان معروفاً عند الروم فى الشام[7] ولما فتحت الشام ، واستقرت الخلافة الاموية بعد ذلك فى دمشق اقتبس معاوية من الروم اسباب الترف وابهه الملـك ، وقلـدهم فـي لبس الخز و الديباج[8] ورغم ذلك لم يستحسنوا اتخاذ الصور بل غيـروها بكـتابة اسمائهم وكلمات أخرى[9] ومن الراجح ان عبد الملك هو الذى انشأ هذا الديـوان ، حـيث ابطـل الطراز التي كانت تستعمل فى عهد الروم ، واستبدلها بعبارات التوحيد مثل " لااله الا الله "، وكان ديوان الطراز يشرف على الطراز " المصانع" الخاصة بـصناعة ملابس الخلفاء وحاشيتهم[10] وبلغ هذا الديوان اوج عظمته وقوته زمن الامويين ومن بعدهم العباسيين[11]

تعريب الدواوين:

"اسـتمرت الكـتابة في الدواوين التى أنشأها الخليفة عمر بن الخطاب فى البلاد التى فتحها المـسلمون تكـتب بلغـة البلاد التى كانت سائدة قبل الاسلام على ايدى أهل الذمة ، ففى الشام كانـت اللغـة المعمول بها هى اللغة الرومانية " وظلت كذلك الى عهد معاوية ولم يحدث فيها تغيـر بأستثناء ما اضافه الى التنظيمات الادارية ، مثل ديوان الخاتم والبريد وغيرها[12] فكان سرجون بن منصور كما ذكرنا يتولى الديوان فى عهد معاوية ومن بعده الى عهد عبدالملك بن مراون[13]، اضافة لما امتاز به من رجاحة في العقل والقدرة على التصرف في الأمور ، ولما

---

1 - حسن ابراهيم وحسن واخرون : مرجع سابق ، ص 154
2 - محمد عبدوس الجهشاري: الوزراء والكتاب ، تحقيق السقا و آخرين مطبعة الحلبي(القاهرة،1938) ص ص24 ،25
3 - إحسان حلاق: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص38
4 - فرج محمد الهوني: مرجع سابق ، ص 197
5 - ابوبكر محمد بن يحى الصولي: أدب الكتاب تحقيق محمد بهيجة الاثرى، المطبعة السلفية (مصر، 1341هـ) ص 177
6 - إحسان حلاق: دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية ، مرجع سابق ، ص 38
7 - عبدالحسين مهدى : مرجع سابق،ص243
8 - جرجي زيدان:مرجع سابق ،ص 88
9 - حسن ابراهيم وغيره:مرجع سابق ص 155
10 - عبدالحسين مهدي:مرجع سابق ص 243
11 - حسن ابراهيم حسن : مرجع سابق ، ص156
12 - ارشيد يوسف بن ارشيد: مرجع سابق ص 87
13 - شوقي ابو خليل : مرجع سابق،ص 326

لـــه مـــن قـــوة الهيـــبة وشدة السياسة وحسن التدبير للدنيا[1] كما أن استقرار الدولة الإسلامية واتـــساعها ولمـــا أصبح لدمشق من الرقي الحضاري حتى كانت زينه البلدان ، كان هذا دافعاً للتفكيـــر فـــي تعـــريب الـــدواوين وجعلها باللغة العربية[2] ، كما كان دافعاً أخر يدفع الخليفة عـــبدالملك للقـــيام بمثل هذا العمل هو أن يمكن الولاة من الإشراف التام على ولاياتهم وتدبير شـــؤونها[3] ، كمـــا أن بقاء هذه الدواوين بلغات الأخرى مثل الرومية يضعف من سيادة الدولة ويقلـــل مـــن هيبتها[4] ، أما الدواوين التي شملها التعريب ففي الشام كان ديوان العطاء وديوان الخـــراج، وكان الديوان الأول يكتب بالعربية ، وهو الذي استسنه الخليفة عمر[5] والثاني يكتب بالـــرومانية وهو الذي فيه التعريب حسب ما يذكر الماوردي[6] ، ففي سنة أحدى وثمانين أمر عـــبد الملـــك بن مروان بنقل ديوان الشام الى العربية ، وكلف سليمان بن سعد بهذا العمل[7] فـــسألة أن يعطـــية خـــراج الأردن سنة كاملة ، فأجابة على ذلك ، فلم تنقض السنة حتى فرغ سليمان من نقل الديوان من الرومية إلى العربية ، فدعا عبد الملك سرجون وعرض علية ذلك فعـــمة الأمـــر وخـــرج كئيـــبا ، فلقـــية قوم من الروم فقال لهمم اطلبوا المعيشة من غير هذه الـــصنعة[8] ، وهكذا أصبحت العربية لغة الدواوين الرسمية منذ سنة 81 هـــ مما ساعد على تقلـــيص نفـــوذ أهـــل الذمـــة ، واعتلاء العرب لهذه المناصب[9] ، ومن ناحية أخرى أصبحت العربية هي لغة السياسة والاقتصاد والإدارة فضلاً عن كونها لغة الدين الاسلامي[10] ، إضافة لـــذلك ســـاعد هـــذا الأمر في انتشار اللغة العربية وفرض سيادتها واضطرار أهل الذمة أن يـــتعلموا اللغـــة العـــربية ، كمـــا تطورت الكتابة العربية وظهرت أنواع مختلفة من الخطوط العـــربية[11] ، وهكذا نأمل أن نكون قد أوضحنا النظم الإدارية التي كانت سائدة في دمشق قبل الفـــتح ومـــا آلت إليه بعد الفتح الاسلامي ، من تطور ورقي حضاري على المبادئ الإسلامية السمحاء ، كما أوضحنا ما لحركة التعريب من دور في انتشار اللغة العربية بين أهل الذمة في دمشق .

---

1 - احسان حلاق: دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية ، مرجع سابق 41
2 - ارشيد يوسف : مرجع سابق، ص87
3 - فرج محمد الهوني : مرجع سابق ، ص 206
4 - ارشيد يوسف : مرجع سابق ص 88
5 - فرج الهوني : مرجع سابق ص 206
6 - ابو الحسن على بن محمد الماوردى : الاحكام السلطانية والولايات الدينية جمع بين المسائل الشرعية والسياسية ، المطبعة المحمودية التجارية ، مصر ، ص 194
7 - محمد بن عبدوس الجهشياري : مصدر سابق ، ص 40
8 - احمد بن يحيى البلاذرى : فتوح البلدان وضع فهارسة صلاح الدين المنجد ، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة ، 1956) ص 230
9 - شوقي ابو خليل : مرجع سابق ، ص 327
10 - على الشطشاط : مرجع سابق ، ص 90
11 - ارشيد يوسف : مرجع سابق ، ص 89

الفصل الثالث

النظم الاقتصادية والمالية لمدينة دمشق

أولا:النظم الاقتصادية .

1. الزراعة
2. الصناعة
3. التجارة والأسواق
4. سك العملة"المعاملات التجارية"

ثانيا: الإدارة المالية.

1. أوجه دخل الدولة " بيت المال "
2. أوجه نفقات الدولة " مصاريف بيت المال"
3. نظام ملكية الأرض في دمشق

أولاً : الحياة الاقتصادية في دمشق

1: **الزراعة**:-

عـرف العـرب الزراعة منذ زمن بعيد ، لوجود الأراضي الشاسعة والأقاليم الخصبة والمياه الوفيـرة ، وبعد ظهور الإسلام ، هناك عدة آيات تحث على الزراعة وأهميتها[1] ، حيث يقول عـز وجل" الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ"[2]

وقـال الرسول الكريم ﷺ" من أحيا أرضا ميته فهي له فان مات فهي لورثته، وله أن يبيعها أن شاء الله".

هذا دليل على أن رسول ﷺ قد حرض على الزراعة ،واحياء الأراضي الميتة .

بعـد أن انتـشر الإسلام في الشام وغيرها، نجد أن الخليفة عمر بن الخطاب يأمر المنادى أن ينادىَ في الناس أن عطاءهم قائم ، ذلك خوفا منه أن يركن المسلمين الي الاستقرار والزراعة بعـد أن وجـدوا أراضٍ خصبه صالحه للزراعة ويهمل أهميتها إنما يدعو المسلمين إلى عدم الـركون إلى حياة الاستقرار والاشتغال بالزراعة والإسلام مازال في حاجة ماسة لهم ،لزيادة انتـشاره فـي أقاليم لم تفتح بعد وبعد قيام الدولة الاموية، واتخاذ دمشق مقرا لخلافتهم، غلب علـي أهلهـا الاستقرار فعملوا بالزراعة [3] فاهتم الخلفاء الأمويون بالزراعة وإصلاح وسائل الـري، ويتجلـى ذلك فيما قام به يزيد بن معاوية في غوطة دمشق ، إذ شق الحفر وذلك قبل توليه الخلافة وهي مجرى صغير قليل المياه ، يروي صيغتين في الغوطه زمن الخليفة معاوية ، وحـين تولـى يـزيد بن معاوية الخلافة 60هـ / 680م ، وجد ارض واسعة تحيط بهاتين الـضيعتين لاتـصل إليها المياه فعول علي تسهيل سبل ريها حتى يتم استثمارها، فامر بتوسيع هـذا المجـري الصغير وتعميقه ،وتم ذلك رغم معارضة أهل دمشق، خوفا منهم أن تتعرض أرضـهم للضرر،ولكن يزيد ضمن لهم خراج سنتهم من حاله ،وعرف هذا النهر فيما بعد بنهر يـزيد، واسـتطاع يـزيد بعد ما قام بتوسيع للنهر أن ينظم توزيع مياه دمشق وينتفع بها على احسن وجه .

دليل آخر على اهتمام الأمويين بتيسير ري أراضي دمشق الزراعية، بأن رجلا من غوطه هذه المدينـة طلب من سليمان بن عبد الملك أن يمد له قناة من نهر يزيد تجري إلى أرضه، فوافق الخليفة على طلبه.

وعـندما إنخفض منسوب مياه النهر في خلافة سليمان بن عبد الملك، حتى اصبح من المتعذر على الناس ري مزارعهم و أراضيهم، أمر الخليفة عبيده بن اسلم بالبحث عن جهات توجد بها عـيون ماء، يستعان بها في تحسين مستوي مياه النهر ، ولكن هذا المشروع لم يتحقق في حياة

1- بشير رمضان التليسي وآخرون : مرجع سابق ، ص 224

2- سورة البقرة ، آيه 22 .

3- بشير رمضان التليسي ، مرجع سابق ، ص245

سـليمان إذ توفـى سنه 99 هـ ،ولما تولى هشام بن عبد الملك الخلافة سنة 105 هـ شكى الـناس إلـيه قلـة المياه – مياه نهر بردي– ومدى تأثير ذلك على الإنتاج الزراعي فعهد إلى القاسـم بـن زياد بمواصلة البحث عن عيون مائية جديدة تزود نهر بردى وبعد أن تم العثور علـيها أمـر هـشام بتطهيـرها وحفـر قنوات تجرى منها آلي الأراضي الزراعية آلتي شكا أصحابها قلة المياه [1] ونظام توزيع المياه بالتناوب على نهيرات دمشق ، وزودوها بما تحتاجه من المياه[2] وقيل آن دمشق تشرب من سبعة انهر، ولكنها تتفرع من نهر واحد في الأصل هو نهـر بـردى ،فـبعد آن تسقي البساتين والمدينة يعود الفائض آليه ويصب في بحيرة المرج شـرقي المدينة ،ومخرج هذا النهر من جنوب قرية الزبداني ويسير في سهل زبداني الخصيب وفـى نهايـته ينحدر نحو وأدي بردى المسمى بوادي البنفسج ووادي الذهب،ومن هناك تتفرق منه عدة شعب تقوم بسقاية البساتين والحدائق وغيرها [3]

اهتم الخلفاء الأمويون بتشجيع الزراع على تعمير الأراضي وزراعتها فقد روى آن هشام أمر بعـض موالـيه بـزراعة ارض كانت مجدبه فزرعوها فانتجت إنتاجا حسنا،فأمرهم مرة ثانية ففعلـوا ، فتـضاعف إنـتاجها فكافأهم هشام على ذلك[4] ، من اشهر المحاصيل الزراعية في دمـشق الحـنطة والـشعير والذرة [5] والذرة الصفراء والبيضاء والفول والباميا ، والباذنجان واللفـت والبصل والكراث والثوم والفجل والبطاطا والخيار والكوسة والبطيخ [6] كما اشتهرت غوطـتها بما يزرع بها من الفواكه ومنها التين،والكمثري ،والبطيخ،والليمون،والتوت والخوخ والكروم[7] إضافة إلي أجود أنوع التفاح[8] والموز وقصب السكر[9] كما اشتهرت بعض قري دمـشق بزراعة شجر الزيتون ،وكان هشام يأمر المشرفين على بساتينه بالإكثار من زراعتها[10] ويحـذر زراع الـزيتون من جنى الثمار بطريقه غير سليمة آو تخل بسلامته ومما يجدر ذكره انه رأى ذات يوم زراع يفرطون الزيتون فقال لهم " القطوه لقطا ولاتقضوه ونقضا فتفقأ عيونه وتكسر غصونه"[11]

1- ثقة الدين آبو القاسم بن عساكر: التاريخ الكبير تحقيق عبد القادر أفندي،مطبعة روضة الشام (1329)جـ1،ص ص244 ،246،245

2- ثقة الدين بن عساكر :التاريخ الكبير ،ج1 ، ص 246

3- نعمان قساطلي: مصدر سابق ص، 113

4- محمد بن جرير الطبري: الأمم والملوك ،تحقيق نخبة من العلماء،مطبعة الاستقامة (القاهرة ،1939)ج5 ،ص 516

5- أبو العباس احمد بن علي القلقشندي :صبح الأعشى في صناعة الشا، نسخه مصوره عن الطبعه الأميرية، مطابع كوستاتوماس(القاهرة،1963)جـ 13،ص 54

6- قساطلي : مصدر سابق ، ص116

7- محمد البدري : مصدر سابق،ص ص 132 ، 157 ، 189 ، 198

8- أبو منصور عبد الملك الثعالبي : لطائف المعارف ، تحقيق إبراهيم الابياري وآخرون ، دار أحياء الكتب العربية ، ص 156

9- محمد البدري :مصدر سابق،ص(20

10- آبو الحسن علي بن أبي المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجواهر ،تحقيق محمد محي الدين،المكتبة التجارية الكبرى(1958) جـ 4 ، ص47

11- احمد بن محمد بن عبدربه : العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد، مطبعة الاستقامة(القاهرة،1953) جـ 5،ص(180

وكـــان يـــزرع فـــي منطقة دمشق البقول و التو بل ، وكذلك كثيرا من النباتات ذات الروائح العطـــرية خاصـــة في قريتي المزة والسهم، [1] كما كانت مزارع الزعفران تنتشر في غوطة دمشق[2] .

فقـــد عنـــى أهـــل دمشق زمن الراشدين والأمويين بتربية الإبل والبقر والجاموس ،آلتي كانت تجلب بكثرة من خرا سان في عهد عبد الملك بن مروان[3]

كمـــا جلب الجواميس إلى دمشق في عهد الوليد بن عبد الملك ، وكان محمد عبد القاسم الثقفي –عامل الحجاج على السند– قد بعث بكثير منه إلي الحجاج ،وانتشر استخدامه منذ ذلك الوقت في دمشق[4] .

1: محمد البدري: مصدر سابق ، ص ص61، 79 كنلك نعمان قـاطلي: مصدر سابق ، ص116

2: محمد البدري الدمشقي.مصدر سابق ،ص317

3:عصام الدين عبد الرؤوف :مرجع سابق ،ص50

4:يوليوس فلهوزن:تاريخ الدولة العربية منذ ظهور الاسلام إلى نهاية الدولة الاموية،نقله للعربية محمد عبد الهادي،حسين مؤنس،منشورات لجنة التأليف والترجمة،(القاهرة،1958) ، ص217.

2- **الصناعة**:-

وقف الإسلام موقفا مشجعا من العمل ،حيث يذكر عز وجل في محكم آياته" **وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ** " [1] وفي الحديث الشريف" لن يدخل احدكم علمه الجنة وأن أحب الأعمال أدومها إلى الله وإن قل"[2] وهذا يؤكد أن الإسلام حرص على تكوين مجتمع منتج ،و الواقع أن الدولة الإسلامية قد منحت رعاياها فرص العمل في ميدان الصناعة ،ماعدا بعض الصناعات،مثل سك العمله،وتركيب الأدوية،وهذا راجعا إلي أسباب تتعلق بالمصلحة العامة او الامن العام[3] وقد وجدت الصناعات في مدينة دمشق منذ زمن بعيد،وعني بها الدماشقه فأصبحت دمشق من الطراز الأول بين مدن الصنائع الشرقية،ومن بين هذه الصناعات صناعة النسيج والدباغة،والزجاج والحرير والخزف ولا نستطيع أن نحدد وقتا لظهور هذه الصناعات في دمشق ولكنها على الأرجح كانت قبل الفتح الإسلامي لمدينة دمشق[4] وقد تقدمت صناعة الزجاج في دمشق أثناء الخلافة الأموية،ومما ساعد على ذلك توفر الخامات اللازمة لهذه الصناعة[4]حتى اصبح يضرب المثل بالزجاج السوري في دقتهوصفائه[5] فكانت دمشق في مطلع القرن الثاني الهجري تصدر الزجاج المطلي إلي الأقطار المجاورة[6] كما حافظت دمشق على شهرتها في صناعة الخزف في العهد الأموي،وقلد صناعيا الخزف اليوناني الأسود ذا البريق المعدني،ثم حل مكانه الخزف الأحمر ذو بريق معدني كما عرفت صناعة المزهريات وبلغت من الأهمية حتى أصبحت من مستلزمات منازل أهلها [7] واعتبرت دمشق في العصر الأموي من المراكز الهامة لصناعة المنسوجات على اختلاف أنواعها وبخاصة الحريرية التي عرفت بالدمقس[8] وقد استخدمت في هذه الصناعة نفس الأساليب التي كانت معروفة من قبل،ولكن مع تنوع النماذج الفنية،ومن المعروف على بعض الخلفاء الأمويين حرصهم على ارتداء الملابس المنمقة والفاخرة،مما زاد الطلب عليها ، كل هذا شجع على تقدم صناعة المنسوجات في دمشق [9]وكان الخلفاء الأمويون ينقشون أسماءهم أو علامة مميزة تختص بهم على الأثواب التي يرتدونها،وكان الطراز بادئي الأمر ينقش باللغة اليونانية،الى أن تولى الخلافة عبد الملك بن مروان،فأمر بنقل الطراز إلى العربية[10]وأقام هو وخلفاؤه في دمشق دور الطراز لنسج أثوابهم وملابس جندهم ورجال دولتهم،وعليها شارة الخليفة وتتضمن اسم الخليفة أو لقبه،وإحدى الشهادتين،وكان القائم على ذلك يسمى صاحب الطراز[11] وهو ينظر في أمور

1:سورة التوبة ،آية 105 .
2:أبو عبد الله محمد البخاري ، صحيح البخاري ، مطابع الشعب (1378) ، مج 7-9 ، ص 122.
3:نشير رمضان التليسي:مرجع سابق،ص230،229
4:نعمان قساطلي:مصدر سابق ،ص123،122
4:فليب حتى :تاريخ سوريا،(لندن،1959) ، ص276
5: أبو منصور الثعالبي : مصدر سابق ، ص 157
6: حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ، ج1 ، ص ص 269 ، 270
7: فيليب حتي : مرجع سابق ، ص 276
8: حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ، ج2 ، ص 269
9: زكي محمد حسن : فنون الاسلام ، (القاهرة ، 1948) ، ص 345.
10: عبد الرحمن بن خلدون : العبر وديوان المبتداء والخبر ، دار الكتاب اللبناني (بيروت ، 1956) ج1 ، ص ص 477 ، 478 .
11: كمال الدين الدميري : حياة الحيوان الكبري ، دار القاموس الحديث (بيروت) ج1 ، ص 58 .

الـصناع والحاكـه ويـشرف علـى أعمالهم وأرزاقهم، وكان له شأن كبير في دمشق[1] كما ازدهرت في دمشق صناعة السيوف، ويرجع تاريخ هذه الصناعة ألي القرن الثالث الميلادي[2] وضـلت هـذه الـصناعة تحتفظ بصناعتها في دمشق وتقدمها في عهد الراشدين والأمويين[3] يـنقش عليها آيات قرآنية وأشعار بماء الذهب[4] وكانت تشتهر دمشق أيضا، بصناعة القاشاني والفسيفساء، مما تزين به جدران الجوامع والبيوت الكبيرة من الداخل والخارج[5].

3 : **التجارة والأسواق** :-

كـان لدمـشق بـاع كبير في التجارة منذ اقدم العصور، فقد نجحت نجاحا باهرا وخاصة بعد سـقوط تدمـر حـيث تحولت إليها تجارة الهند، ولحسن موقعها نجدها تجمع بين متاجر أوربا وأسيا[6]

و فـي العهد الأموي لم يكن الخلفاء يهتمون بالزراعة والصناعة فقط وانما عنوا أيضا بتسهيل سـبل الـتجارة، وذلـك بنشر الأمن والطمأنينة في نفوس التجار بإقامة المحطات والآبار في طـريق القـوافل، وسيطرة الدولة الإسلامية على أراضيها وفرض حمايتها للقوافل من أعمال الغـزو والـنهب ، هذه الأمور كان لها بالغ الأثر في انتعاش حركة التجارة الخارجية،وكانت الـتجارة الداخلـة إلـي دمشق مركزها الأسواق ، فتقيم كل طائفة من التجار في سوق معين ويـبقون إلى ما بعد الظهر،ولا يعودون إلى منازلهم إلا في المساء،وكانت الحوانيت في دمشق تمتد على طول الشارع من الجانبين وكان للتجار القادمين من خارج دمشق أسواق أو مخازن يـضعون بضائعهم في أسفلها وينامون في أعلاها وكان يطلق على هذه الأسواق أو المخازن اسـم الفـنادق [7] وكانـت الأسواق تقام في دمشق في أوقات معينه ، ولكل نوع من البضائع أسـواق خاصـة أو شـارع خاص بها،ومن بين هذه الأسواق المنفردة سوق القمح[8] وسوق الـزيت[9] وسوق الدواب[10] وسوق الجبن وسوق العدس وسوق الشعير[11] وكان لكل من هذه الأسـواق عمـال يشرفون على تنظيمها،ويتولون استيفاء الديون ومراقبة الموازين والمكاييل ومعاقبة من يرفعون أسعارهم[12] .

1: فليب حتى:تاريخ العرب(لندن،1945) ، ص346.
2:عصام عبد الرؤوف:مرجع سابق،ص52
3:ابن سيده أبو الحسن علي بن إسماعيل، المخصص(بولاق، 1321هـ)ج1، ص26
4:فليب حتى:تاريخ العرب،ص346
5:علي عبد الرسول:العادي الاقتصادية في الاسلام والبناء الاقتصادي للدولة الإسلامية تقديم صلاح الدين ناعق،دار الفكر العربي ص221.
6: نعمان القساطلي:مصدر سابق، ص124
7:عصام عبد الرؤوف:مرجع سابق،ص53
8: نفس المرجع .
9: ثقة الدين بن عساكر:التاريخ الكبير،ج1 ، ص148
10: أبو الحسن بن الأثير:مصدر سابق،ج5،ص134
11: ثقة الدين بن عساكر:تاريخ دمشق،ج2،ص 367
12:عصام عبد الرؤوف : مرجع سابق ، ص 53

وكثيـــرا ما كان الخلفاء الأمويون يتدخلون في تخفيض الأسعار،فيذكر أن الوليد بن عبد الملك كان يمر بأسواق دمشق ويراقب حركة البيع والشراء وكان يسأل التاجر عن أسعار سلعة، فإذا وجد أن التاجر يبيعها بسعر لا يأتي له إلا بربح ضئيل يقول له:" زد فيها فانك تربح" [1] .

ممـــا ذكـــرنا في الفصل الأول عن موقع دمشق وما تميزت به، نجدها تعد من المراكز الهامة للقوافل الاتيه من الفرات إلي الجزيرة العربية ومصر كما كانت مكانا يتجمع فيه الحجاج،حيث يـــسيرون مـــنها في جماعات كبيرة ألي مكة المكرمة، فقد كانت هذه الحركة من الأسباب التي ســـاعدت علـــى وفرة السلع في أسواق دمشق[2] وكانت المدن الساحلية مثل طرابلس وصور وعكـــا تحـــصل علـــى ما تريده من سوق دمشق الكبير[3] ، كما كانت دمشق تصدر السيوف والزجاج والأدوات المطلية، وتستورد الديباج والاكسيه الرومنيه و البسط من فارس وارمينيه.

نتـــيجة لـــسياسة الأمويـــين الـــتجارية في تسهيل سبل نقل التجارة لها أدا إلي إنعاش الحركة التجارية في بلاد الشام، وقد ظل الطريق التجاري الذي يمر بمدينة دمشق قائما دون تغيير في عهـــد الراشـــدين والأمويين وكان هذا الطريق يصل بين بلاد الشرق الأقصى الغنية بالمتاجر وبـــين أسواق ومراكز استهلاكها في البلاد المطله على الجانب الشرقي للبحر المتوسط ويتفرع الـــي فرعين، الأول يسير من مياه الخليج العربي ثم الفرات ومنه إلى دمشق وأخيرا إلى البحر المتوســـط، والثاني يمر عبر مياه الخليج العربي إلى البحر الأحمر حيث يبدأ من اليمن طريق قوافل آخر يجتاز بلاد العرب إلى مدينة بصرى مفتاح الطريق إلى دمشق، ويتجه هذا الطريق بفـــرعيه صوب دمشق لأنها تقع عند نقطة اتصال رئيسيه بين منطقتين متباينتين لهما أهميتهما الـــتجارية، فإلـــى الشرق من دمشق توجد بادية الشام التي تخترقها الطريق التجارية الآتية من الـــشمال أي مـــن بـــلاد العرب ومن العراق و إلي الغرب سهل البقاع الخصيب، الذي كان له أهمية تجارية كبيرة ،ومنه يتم الوصول إلى شاطئ البحر المتوسط .

كان لسورية علاقات تجارية مع الدولة البيزنطية استمرت حتى بعد الفتح العربي، غير أنها لم تكـــن علـــى ما كانت عليه من قبل ،فقد استعاضت سوريه عن أسواق بيزنطة بأسواق فارس وأسيا الوسطى.

رغم ذلك فان بعض الصناعات البيزنطية كانت ترد إلى الشام في العهد الأموي مثل الفسيفساء الـــذي بعـــث الخليفة الوليد بن عبد الملك في طلبه لتزيين مسجد المدينة و المسجد الأموي في دمشق، وظلت الموازين البيزنطية هي المستعملة في دمشق كالأوقية و الرطل [4].

4:- المعاملات التجارية:-

كانت العملة المستعملة في دمشق قبل الفتح العربي لها هي الدنانير الرومية وكان الدينار قطعة من الذهب يزن مثقالا، ولم تكن قيمة الدنانير ثابتة بل كانت تختلف من عشرة دراهم إلى ثلاثة

1:أبو الفداء الحافظ بن كثير :-البداية و النهاية،مكتبة المعارف(بيروت،1966)ج9، ص165.
2:عصام عبد الروؤف:مرجع سابق،ص54
3:حسن إبراهيم:مرجع سابق ،ج2ص250
4عصام عبد الرؤوف:مرجع سابق ،ص: ص 55، 56
*المثقال كان وزنه 4,23 جراما ، انظر عصام عبد الرؤوف، ص 55 .

عشر والى خمسة عشر درهما وقد تزيد أحيانا عن ذلك فعند الفتح أقر الخليفة عمر بن الخطاب هذه الدنانير كعملة ساريه في البلاد فظلت على ذلك حتى بعد الفتح العربي بكتابتها ونقوشها،بحيث كان ينقش عليها اسم الإمبراطور أو الملك الذي ضربها،وحتى لما ضرب خالد ابن الوليد نقودا في طبرية جعلها على رسم الدينار تماما،ثم ضرب معاوية في دمشق دنانير مرسوم عليها تمثال متقلدا سيفا ، فلم يقبل المسيحيون هذه الدنانير نظرا لأنها لم يكن عليها الصليب [1] ورفض المسلمون التعامل بها نظرا لكونها ناقصة الوزن ،وقد حدث أن وقع منها دينار في يد أحد الجنود،فجاء إلى معاوية وقال له إن وجدنا ضربك اشد ضرب،فقال له معاوية" لا حرمنك عطاءك ولاكسونك القطيفة"[2].

نظرا لعدم دقة ضرب العملة الجديدة ، وازدياد رقعة الدولة في عهد عبد الملك ، وتطور التجارة وايضا من اجل تحقيق استقلال اقتصادي للدولة العربية الاسلامية ، كل هذه الامور دفعت بالخليفة الى ضرب عملة جديدة وتوحيدها [3] وبسبب اختلاف الأوزان في العملة ،وعدم وجود مقياس ثابت ،نجد الدولة تواجه صعوبات جمة في استيفاء حقوقها من الضرائب،وخاصة بعد أن أثقلت الحرب كاهلها،فنجد الناس يحتفظون بالأثقل وزنا ويؤدون العملة الأقل وزن[4].

ويذكر أن من بين الأسباب التي دعت الخليفة عبد الملك بن مروان على سك عملة جديده،هو أن القراطيس كانت تدخل إلى بلاد الروم من مصر ويأتي للدولة العربية من قبل الروم الدنانير،وكانت تكتب على الدنانير عبارات مسيحية،فأمر الخليفة عبد الملك بن مروان بتغييرها بعبارات إسلامية فكتب إليه إمبراطور الروم أنكم أحدثتم في قراطيسكم كتابا نكرهه فأن تركتموه وإلا أتاكم في الدنانير من ذكر نبيكم ما تكرهونه فأستاء عبد الملك من ذلك وأمر بسك عملة جديده.

وأنشأ دار في دمشق ،لسك الدنانير الذهبية التي عرفت بالدمشقية وكانت عليها سورة الإخلاص كاملة ،وفي وسط أحد الوجهين وحوليهما محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون،وعلى الأخر في الوسط "لا اله إلا الله وحده لاشريك له"وحول ذلك اسم الله [5]، وكانت من بين الشروط في سك العملة أن يكون الذهب خالصا،وكان وزن الدينار الدمشقي الذي ضربه عبد الملك 4,25 جراما،أي يفوق الدينار البيزنطي 2% ذهبا،مما دعا الروم إلى التعامل به[6] ونجح عبد الملك في ضرب عمله جديدة فاقت كل ما كان ينتظر لها من الدقة بحيث وصلت الوحدة والوزن والحجم والجمال ألفني ما

1: عصام عبد الروزف:مرجع سابق،ص56.
2:تقي الدين احمد المقريزي:إغاثة الأمة بكشف الغمة،تحقيق مصطفى زيادة،جمال الدين الشيال(القاهرة،1940)ص52.
3:سيد أمير علي :مختصر تاريخ العرب ، نقله للعربية عفيف البعلبكي ، دار القلم للملايين (بيروت ، 1961) ص 182 .
4: أحمد بن يحيى البلاذري:مصدر سابق،ص ص 571،578.
5:المقاس الكراملي:النقود العربية وعلم النميات(القاهرة،1939)ص92.
6: عصام عبد الروزف:مرجع سابق ص58.

فـــاق كـــل تـــصور وكانـــت النـــسبة بـــين الديـــنار والـــدرهم فـــي الـــوزن 10-1 [1].
"ولمـــا كانـــت العملة الذهبية لا تساعد على تبسيط الكثير من العمليات التجارية الصغيرة التي لاغنـــى عـــنها للـــناس فـــي حـــياتهم اليومـــية لذلك اتخذ أهل دمشق المقايضة في معاملاتهم التجارية" [2] وكانت الصكوك تستعمل كوسيلة لدفع المال، ويقال أن عمر بن الخطاب كان أول من صك وختم أسفل الصك، واستخدم الوليد الصكوك لدفع رواتب الجند [3].

يعتبـــر توحـــيد العملـــة من أهم إصلاحات الخليفة عبد الملك وكذلك دليلا واضحاً على اتساع نطـــاق التجارة وازدهار الاقتصاد في جميع البلدان المفتوحة، كما انه دليل على مركزية الدولة وضـــبطها للجهـــاز المالـــي [4] كما إن ضبط الدينار سيضبط الخراج ويضبط الجزية، ويدعم المعاملات التجارية[5].

1: تقي الدين المقريزي:إغاثة الأمة،مصدر سابق،ص53.
2:آدم متز :الحضارة الإسلامية في ق4 ، ترجمة عبد الهادي بوريدة دار الكتاب العربي(بيروت،967)ج2،ص284.
3: عصام عبد الرؤوف : مرجع سابق ، ص 59.
4:ي.ا.بلياييف:العرب والإسلام والخلافة العربية ،نقله للعربية أنيس فريحه(الدار المتحدة للنشر،بيروت،1973)ص123 .
5:حسن إبراهيم حسن:زعماء الاسلام،المطبعة النموذجية(1953)ص228.

ثانيا:- الإدارة المالية

1: أوجه دخل الدولة:-

هو مصطلح أطلق على المؤسسة التي تقوم بالإشراف على ما يرد من أموال وما يخرج في أوجه النفقات المختلفة[1]،أي أنه يوجد في هذه المؤسسة بيان شامل بمصادر الإيرادات المختلفة،وبيان أخر بمصروفات الدولة[2] وكان يسمى بيت المال أو الديوان السامي ،لأنه أصل الدواوين ومرجعها[3] ففي عهد الرسولﷺ لم تكن هناك حاجة لمثل هذا الديوان ،لان الحياة كانت بسيطة وغير معقدة،بحيث أن الإيرادات من الغنائم والزكاة وغيرها كانت توزع في الحال،وقليلاً ما يبقى منها،وفي حين يحتفظ الرسول(ﷺ) بهذه الأموال[4] وقد ظلت هذه الموارد محدودة،إلى عهد الخليفة عمر بن الخطاب فبسبب الفتوحات ازدادت الأموال وأصبح هناك فائض،فاحتاج الأمر إلى أخذ ديوان للمال وقد تم ذلك في عهد الخليفة عمر بن الخطاب[5] فكان إلى جانب بيت المال العام توجد بيوت مال في كل ولاية ليصرف منها في الشؤون العامة،بعدما يدخر منه لأمور الطوارئ في كل ولاية[6] ولم تكن ارادات بيت المال كلها نقدا،بل كان بعضها نوعاً من بضائع مختلفة كالأقمشة،والغلال والاسلحه،كما كان لبيت المال نصيب في الفئ والغنيمة[7] واستمرت هذه الأسس والقواعد التي وضعها الراشدون للنظم الاقتصادية والمالية، إلى عهد الأمويين ألا انهم أضافوا إليها ما فرضته عليهم الظروف السياسية والاقتصادية من تعديلات،إلا أنه مع الاستقرار السياسي يأتي الرخاء الاقتصادي ،وحقيقة أن الإصلاح المالي في عهد الأمويين ظاهرة تستحق التوقف عندها،وذلك لكونهم يستكملوا تطوير الدولة التي كانت لاتزال إلى عهد عبد الملك بن مروان تتعامل بالعملة البيزنطية ،وكما ذكرنا سابقا فقد سك عملة جديدة ، كان لها دور فعال في تقوية الاقتصاد الإسلامي وتأكيد استقلال الدولة العربية الإسلامية اقتصاديا[8].

وتنقسم موارد بيت المال إلى قسمين:-

1:- موارد دورية أي لها مواعيد معينه من السنة يجمع فيها وهي الزكاء والخراج والجزية.

2:- موارد غير دورية أي موارد لاموعد لمجيئها ، وهي العشور والفئ وخمس الغنائم ، وخمس الركائز وتركة من لا ورثه له ، ومال اللقيطه وكل ما لم يعرف له مستحق معين من الأفراد[9] .

1: جميل بيضون وأخرون:مرجع سابق،ص225

2:على إبراهيم حسن :مرجع سابق،ص540

3:جرجي زيدان:مرجع سابق،221/1،كذلك على إبراهيم حسن،مرجع سابق ص540

4:جرجي زيدان:مرجع سابق،179/1

5:بشير رمضان التليسي:مرجع سابق،ص185

6:بيضون:مرجع سابق،ص225،226

7:على إبراهيم حسن : مرجع سابق ،ص540،كذلك جرجي زيدان: مرجع سابق جـ 1 ،ص22

8: فتحية النبراوي : مرجع سابق ، ص ص 155 ، 156 .

9: أحمد شلبي : موسوعة الحضارة الإسلامية ، الاقتصاد في الفكر الإسلامي ، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة ، 1993) ج1،ص186

1- الموارد الدورية أو الثابتة :-

أ:-الزكاة:-

هي تطيير المال وايجاد صلة حميمة بين الغنى والفقير ويقول عز وجل"خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ"[1]،ويقول الرسولﷺ "يأمرنا بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف"[2].

ويذكر أن الزكاة مأخوذة من التزكية أي التطهير فكأن الخارج من المال يطهر من تبعة الحق الذي جعله الله فيه للمساكين. [3] ، فبذلك تعتبر أحد أركان الإسلام وفريضة أساسية من الفرائض التي أمر الله بها عبادة المخلصين[4] ، ويعرفها الماوردى"الزكاة صدقه يفترق الاسم ويتفق المسمى ،ولا يجب على المسلم في ماله حق سواها،قال الرسول ﷺ ليس في المال حق سوى الزكاة "[5] ، وكان في دمشق ديوان خاص بالزكاة،وله فروع في كل الولايات [6] والزكاة تقسم على الأشخاص الذين ذكرهم الله عز وجل في قوله تعالى "إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ "[7] .

فتوزيع الصدقات على الفقراء وهم الذين لا يستطيعون سد حاجتهم ،و المساكين الذين لا يملكون شيئا ،كذلك كان للذين أظهروا إسلامهم في بداية العهد الإسلامي نصيب من الزكاة وهم الذين ذكرهم الله عز وجل في قوله "والمؤلفة قلوبهم" كما كانت تنفق في شراء العبيد ثم عتقهم ،كذلك الغارمين وهم الذين يعجزون عن تسديد ديونهم يأخذون من الزكاة ما يسدون به ديونهم ،وأيضا وفي سبيل الله أي الذين يجاهدون في سبيل نشر الإسلام أو هم أهل الجهاد ،فيأخذون نفقات غزوهم سواء كانوا فقراء أو أغنياء،وابن السبيل ،و المقصود به الذي لا يجد نفقة سفره إلى بلده ومستقره ،فيعطى من الصدقة ولو كان غنيا في بلده[8] .

وكان على المسلمين أن يعطوا الزكاة بمقدار ربع العشر عما يمتلكونه من مال وهذه تسمى " زكاة النقد"،أما زكاة الزرع والثمار فالأرض التي تسقى بالمطر والسيح فيجب فيها العشر [9] ،أما الأرض التي تسقى بالدلاء ونحوها فيجب نصف العشر[10] وكان من بين أراضي دمشق

1:-سورة التوبة ، آية 103 .
2:- ابو عبد الله البخاري ، مصدر سابق ، مج 1-3 ، ص 130.
3:-احمد شلبي :المرجع نفسه،ج4، ص187.
4:-جميل بيضون:مرجع سابق ، ص232.
5:-أبو الحسن الماوردي :مصدر سابق،ص108 .
6:- حسن إبراهيم حسن: مرجع سابق ج1، ص 469
7:- سورة التوبة:آيه 60.
8:- ألماوردي :مصدر سابق ،ص ص117،118،119 .
9:-عصام عبد الرؤوف :مرجع سابق ص60
10:-ثابة الدين بن عساكر: التاريخ الكبير ،ج2 ، ص ص 595 ، 597.
* وقد فرضت الزكاة في السنة الثانية من الهجرة ، راجع عبد الخالق النواوي : النظم المالي في الاسلام ، دار النهضة العربية (القاهرة، 1973)، ص 25.

أرض عشر أعطاها الخلفاء الراشدون والأمويون لبعض العرب في دمشق[1] ،وكذلك الأراضي الموات التي أحياها المسلمون أصبحت أراضي عشرية[2] .

ويذكر عصام عبد الرؤوف وأما الزكاة في الأرض والزروع والثمار، فماكان من ارض من هذه الأرضين التي لم يوضع عليها الخراج فهي أرض عشر، والعشر هو صدقة وهو الزكاة المفروضة على المسلمين في زروعهم وثمارهم ،أما زكاة السوائم وهي الإبل والغنم، فكانت تؤخذ بمقدار واحدة من 40فما فوق إلى 100،ثم يبتدئ من 151 ألي 200 بمقدار واحده في كل 100والإبل عن كل 5شاة ألي 24، فإذا كانت 25 فعليها ناقة صغيره لا يتجاوز عمرها سنه ،والجاموس والبقر كل 30 عليها واحده بنت سنه فإذا بلغ العدد 60 كانت بمقدار واحده لا يزيد عمرها على سنتين ، والخيل إذا اعتبرت من آلات الحرب فلا زكاة عليها ،كل ذلك إذا كانت الحيوانات تأكل من الكلأ المباح، فان علفها صاحبها فلا زكاة عليها ،وإذا دخلت في التجارة تقوم ويدفع عنها زكاة التجارة ،أما زكاة عروض التجارة فهي ربع العشر بشرط أن تبلغ قيمتها نصابا من ذهب أو الفضة وأن يحول عليها الحول[3] ، وكان للزكاة في دمشق عمال يعملون على جمعها وجبايتها ،كما كان لا يجوز لعامل الخراج أن يتولى جمعها ،وذلك حتى لا تختلط أموال الخراج بالزكاة ولان لكل منها مصروف خاص [4] ويشترط في عامل الصدقات أو جامع الزكاة أن يكون مسلماً عادلا حرا عالماً بأحكام الزكاة[5] وعلى عامل الصدقات أن يقوم بجمع الأموال الظاهرة كالزرع والثمار والماشية ،أما الأموال الباطنة ألتي يمكن إخفاؤها فعلى عامل الصدقات أن يرغب أهلها في أداء فريضة الزكاة فيها طوعا ،وذلك تمييزا لهم عن أهل الذمة في الجزية[6] .

وإذا كتم الرجل زكاة ماله وأخفها عن العامل مع عدله أخذها العامل منه إذا ظهر عليها ونظر في سبب إخفائها ،فان كان ليتولى إخراجها بنفسه لم يعزره ،وان أخفاها ليمنع حق الله عزره وغرمة زيادة عليها[7] ، وقد التزم الخلفاء الراشدون بقواعد صرف الزكاة ،غير أن الأمويون لم يتبعوها تماما ،بل امتدت أيديهم إلى أموال الصدقات ،فقد كانوا يمنحون منها الشعراء[8] وكانوا كثيراً ما يعطون عطايا المسلمين من مال الزكاة حيث حج عبد الملك بن مروان في سنة61 وأمر بتوزيع العطاء على الناس ولما علم أهل المدينة أن هذه الأموال من زكاة أهل

1:- ثقة أبو القاسم علي بن عساكر :تاريخ مدينة دمشق ،تحقيق محب الدين ابي سعيد ،دار الفكر (بيروت،1995) ج 2، ص 188 .
2:-أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم :الخراج،دار المعرفة (بيروت،1979)ص64 .
3:- المواضر الاسلامية الكبرى ،ص61 .
4:- ابو يوسف : مصدر سابق ،ص ص 45،46 .
5:- أبو الحسن الماوردي : مصدر سابق ،ص ص 109،116 .
6:- المصدر نفسه ، ص117 .
7:- عصام عبد الرؤوف : مرجع سابق ، ص 62
8:-أبو الفرج الأصفهاني :مصدر سابق ج 8 ، ص 198.

الـشام رفضوا قبولها وقالوا إن عطاءنا من الفئ [1] غير أن الخليفة عمر بن عبد العزيز كان اكثر الخلفاء الأمويين اهتماما بصرف أموال الزكاة في وجوهها وحقوقها[2] .

ب:- الجزية :-

أنمـــا الجـــزية قديمة منذ عهد التمدن القديم ، ولم تكن من محدثات الإسلام فقد فرضها يونان أثينا على سكان سواحل آسيا الصغرى في القرن الخامس قبل الميلاد تقريبا وذلك مقابل حمايتهم ، كما فرض الرومان الجزية على المناطق التي أخضعوها[3] .

أمـــا في الاسلام فهي مقدار معين يفرض على أهل الكتاب أي اليهود والنصارى ، ومن لحق بهـــم مـــن المجوس ،الذين عرض عليهم الاسلام فرفضوا ولم يقاتلوا وقبلوا الجزية[4] والجزية تـــسقط بالإســـلام ، وتبقى مع استمرار الكفر [5] وقد نص القرآن الكريم علي الجزية فقال عز وجـــل " قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ"[6]

وقـــد فسر البعض هذه الآية الكريمة ، حيث أولوا "حتى يعطوا الجزية " تأويلين ، الأول حتى يـــؤدوا ما عليهم من الجزية ، والثاني حتى يضمنوها لأنه بضمانها يجب الكف عنهم ، وأولوا "عـــن يـــد " أيضا تأولين الأول عن غني وقدرة ، والثاني حتى يعرفوا أن المسلمين في أخذها مـــنهم قدرة عليهم أم "صاغرون " فلها تأويلين كذلك الأول منها إذلال المشركين ، والثاني أن تجري عليهم أحكام الأسلام .

"فـــيجب على ولى الأمر أن يضع الجزية على رقاب من دخل في الذمة من أهل الكتاب ليقوا بها في الاسلام ، ويلتزم لهم ببذلها حقان أحدهما الكف عنهم والثاني الحماية لهم ليكونوا بالكف آمنين وبالحماية محروسين..." [7].

فالمـــسلمون يـــؤدون الزكاة ،وأهل الكتاب يعطون الجزية وذلك لتحقيق مبدأ المساواة ،فكلاهما رعايـــا لدولـــة واحـــده ،ويتم أيضا تكاتف الفريقان في تحمل المسئولية[8]،و الجزية تجبى مرة واحـــدة في السنة ويقال "أنهما يجبيان بحول الحول ولا يستحقان قبله "-الجزية والخراج-"ولا تجـــب الجزية ألا على الرجال الأحرار العقلاء، ولاتجب على امرأة ولأصبى ولا مجنون ولا عـــبد لانهم أتباع وذرارى....ولا تؤخذ الجزية من خنثي مشكل فان زال أشكاله وبان انه رجل اخذ بها في مستقبل أمره وماضيه..." [9] .

1:- أبو الحسن المسعودى :مصدر سابق ،ج2 ، ص 92 .
2:-أبو محمد عبدالله بن عبد الحكم :سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواة الأمام مالك بن انس واصحابه نسخها وصححها وعلق عليها ،احمد عبيد ،دار العلم للملايين،(بيروت،1967) ص80 .
3:- جرجي زيدان :مرجع سابق ،ج1، ص 227 .
4:-جميل بيضون: مرجع سابق ، ص ص243،244 .
5 : أبو الحسن الما وردى:مصدر سابق ،ص137 .
6:سورة التوبة ،آيه 29 . ص 191 .
7:- أبو الحسن الما وردى :مصدر سابق،ص138 .
8:- عصام عبد الوزف :مرجع سابق ،ص62 .
9:- ابو الحسن الما وردى :مصدر سابق ،ص ص 137،139،140 .

واختلف الفقهاء في الجزية ،فأبوحنيفه قسمها إلى ثلاثة أصناف :-غنى ،ووسط،وفقير ،فعلى الغني 48 درهما ،والوسط24 درهما ولا تقدر بأكثرها ولا بأقلها ،أما الشافعي فيرى أنها مقدرة فالأقل بدينار أما الأكثر فمتروك لاجتهاد الولاة[1].

"ولعقد الجزية شرطان :مستحق ومستحب: أما المستحق فستة شروط :-

1:- ألا يذكروا كتاب الله تعالى بطعن أو تحريف .

2:- ألا يذكروا اسم الرسول ﷺ بكذب أو ازدراء.

3:- ألا يذكروا اسم الاسلام بذم .

4:- ألا يصيبوا مسلما بزنا ولا باسم نكاح .

5:- ألا يفتنوا مسلما عن دينه ولا يتعرضوا لماله .

6:- ألا يعينوا أهل الحرب على المسلمين .

وفي حين تخطيهم لهذه الشروط ينقض العهد ،وأما المستحب فيتعلق بأنماط السلوك المختلفة، التي تنص على احترام مشاعر المسلمين....." [2].

وعلى هذه الأسس بدأ المسلمون يجبون الجزية من أهل الذمة في دمشق عقب الفتح مباشرة ،وكان مقدارها دينار واحد ،ثم كتب الخليفة عمر إلى بن الجراح بأن يجعلها حسب المقدرة والطاقة ،لذا قسم أهل الذمة إلى طبقات الأولى عليا والثانية وسطا والثالث دنيا ،فالأولى 4 دنانير و الثانية ديناران والثالثة دينار واحد [3] وظلت الجزية في دمشق على هذا القدر من الطاقة ،حتى تولى عبد الملك بن مروان الخلافة ،فأرسل الى الضحاك بن عبد الرحمن الاشعرى إلى الجزيرة ،وأمره بزيادة الجزية فأحصى أهل الذمة وجعلهم جميعا عمالا بأيديهم ،وحسب ما يكسب الفرد وطرح منه أكله وأدمة وكسوته والأعياد أيضا، فوجد أن الفاضل هو أربعة دنانير لكل شخص ،فالزمهم بأدائها [4]،ويذكر أن أهل الشام حملوا على مثل هذا الأمر[5] وهذا يدل على أن عبد الملك جعل الجزية في دمشق أربعة دنانير على كل ذمي [6].

وما يجدر ذكره أن الخلفاء المسلمين راعوا أهل الذمة في جباية الجزية وذلك لما تقتضيه القاعدة الفقهية في أنه "لا يضرب أحد من أهل الذمة لحملهم على أدائها .... ولكن يرفق بهم ويحبسون حتى يؤدوا ما عليهم"[7] ويقول الخليفة عمر لعماله أي جباية الجزية "من لم يطق الجزية خففوا عنه ومن عجز فاعينوه"[8].

1:- أبو الحسن الماوردي : المصدر نفسه ، ص139 .

2:- أبو الحسن الماوردي: المصدر نفسه ، ص140 ، كذلك، فتحيه النراوى مرجع سابق ،ص50 .

3:- أحمد بن يحيى البلاذرى :مصدر سابق ،ص131،كذلك :أنيل نيليت :الجزية و الاسلام ترجمة فوزى فهيم ،منشورات دار مكتبة الحياة (بيروت ، 1960)ص109 .

4:-عصام عبد الرؤوف: مرجع سابق ،ص64 .

5:-أبو يوسف : مصدر سابق ،ص43 .

6:- عصام عبد الرؤوف : مرجع سابق ، ص64 .

7:- أبو يوسف :مصدر سابق ،ص123 .

8:-ثقة الدين ابن عساكر :التاريخ الكبير ،ج1، ص179 .

ويذكـــر عن الخليفة عمر أيضا أنه رأى في بلاد الشام جباة الجزية يعذبون نفرا من أهل الذمة ،فقـــال لهم ما بال هؤلاء فقالوا له عليهم الجزية ولم يعطوها ،فسألهم ما عذرهم في ذلك ،فقالوا له لانجد ،فقال دعوهم لا تكلفوهم مالا يطيقون [1].

وكانت الجزية على أهل الذمة في دمشق عقب الفتح جريب حنطه ، وقدرا من والخل والزيت لقـــوت المـــسلمين ،وكذلك الزم أهل الذمة أن يضيفوا من يمر بهم من المسلمين ثلاثة أيام من أوسط ما يأكلون [2] .

ج:- الخراج :-

هـــو ضـــريبة من المال أو المحصولات ،تفرض على الأرض التي صالح أهلها المسلمين علـــى قـــيمة تـــؤخذ مـــنها[3] كمـــا فعل عمر بن الخطاب في دمشق [4] أو على أرض فتحها المسلمون بقوة السيف وتركوها لأهلها نظير استغلالها والخراج لا يسقط بسقوط الكفر ودخول الاسلام ،كما أن الخراج تاره يكون نوعي وتارة أخرى يكون نوعي ونقدي [5] .ويقدر الخراج على حسب مساحة الأرض وجودتها ونوع محصولها ،ويقول في ذلك يراعى في كل أرض ما تحـــتمله فانها تختلف من ثلاثة أوجه يؤثر كل واحد منها في زيادة الخراج ونقصانه ،أحدها ما يخـــتص بالـــزرع من اختلاف أنواعه من الحبوب و الثمار فمنها ما يرتفع ثمنه ،ومنها ما يقل ثمـــنه ،فيكون الخراج بحسبه ،والثالث ما يختص بالسقي والشرب لان ما التزم المؤنه في سقيه بالتواضـــح والدوالي لا يحتمل من الخراج ما يحتمله سقى السيول و الامطار [6] ، فكان على الـــذي يـــسقي بعلا العشر ، وعلى الذي يسقي بالدوالي نصف العشر[7] ومن الناس من اعتبر شـــرطا رابعـــا وهـــو قربها من البلدان و الأســواق وبعدها لزيادة أثمانها ونقصانها ،وهذا إنما يعتبـــر فيما يكون خراجه ورقا، ولا يعتبر فيما يكون خراجه حبا ... [8].وأمر الخليفة عمر بن الخطـــاب آن لا يضيقوا الخراج على أهل الخراج فان احتملت الأرض اكثر من ذلك فلا يزاد علـــيهم ،وان عجـــزوا خفف عنهم [9] وأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز الجباة بأن يسلكوا مع الأهلـــين مسلك ينطوي على العدل الأنصاف ويذكر أن الخلفاء الأمويون اهتموا بالخراج اكثر من الجزية لانه اكثر ثباتا ودخلا [10].

وقد حدد الخراج في بلاد الشام في عهد عبد الملك بن مروان ،على آن يكون على كل مائة جريب مما يقرب عن المدينة ،التي يقيم بها أهل الخراج – دينار – وعلى كل مائة جريب مما يبعد دينار ،وعلى كل ألف شجرة كرم مما يقرب المدينة دينار ،وعلى كل ألفي شجرة كرم مما

1:-ابو يوسف : مصدر سابق ،ص125 .
2:- أحمد بن البلاذري:فتوح البلدان ،ص131 .
3:- ابو الحسن ألما وردى : مصدر سابق ،ص ص 142،143 .
4:- أحمد بن يحيى البلاذري :مصدر سابق ،ص400 .
5:- أبو الحسن ألما وردى: مصدر سابق ،ص143 .
6:- أبو الحسن الماوردي : مصدر سابق ، ص ص 142 ، 144 .
7:- يحيى بن آدم القرشي : كتاب الخراج ، مطبعة ابريل (ليدن ، 1895) ص 81 .
8:- أبو الحسن الماوردي : مصدر سابق ، ص 143 .
9:- عبد العزيز على النعيم : نظام الضرائب في الاسلام ، ومدى تطبيقه في المملكة العربية السعودية مع المقارنة (القاهرة ، 1975) ص 431 .
10:- عصام عبد الرزوف : مرجع سابق ،ص 65 .

يبعد المدينة دينار وعلى كل مائة شجرة زيتون مما يقرب دينار ،وعلى كل مائتي شجرة زيتون مما يبعد دينار ،وغاية البعد مسيرة يوم أو اثنين [1].

ويجبى الخراج في دمشق في أول السنه الهجرية ، على الرغم من أن جني المحصول كان يتم حسب فصول السنة الشمسية ،وبانتقال الشهور العربية من فصل إلى آخر صار موعد استحقاق الخراج في العهد الأموي ، بعد أن كان الخراج في العهد الراشد يؤدى في آخر السنة الهجرية،ثم صار في السنة التالية ، ويكون منسوبا للسنة السابقة ،واستحقاقه في السنة اللاحقة[2] .

وكان يوجد في العهد الأموي ديوانا للخراج ،يشرف على تنظيم جباية الخراج ويراعون الرفق في جباية الخراج ،والصبر على الزراع حتى يتسير لهم أداء ما عليهم وإعفاء من يستحق الإعفاء [3] ولكن نجد من يشير إلى اشتداد بعض عمال الخراج في العهد الأموي ،وتعذيبهم للنصارى وأخذ أموالهم [4] ويختار الأمويون عمال خراجهم متوخيين فيهم العلم ،والعفه والأمانة والعدالة ،ولا يخشى في الله لومة لائم[5].

كما كان لكل الولايات في الدولة العربية الإسلامية ديوان للخراج يتبع ديوان دمشق الرئيسي ،وينقسم إلى قسمين أحدهما يشرف على النفقات والثاني على الموارد ،ومن بوادر اهتمام الأمويين بالخراج أنهم يعينون عمال للخراج مستقلين عن ولاة أقاليمهم[6] .

وعلى الأرجح فان مقدار ضريبة الخراج في بلاد الشام ظلت طوال العهد الأموي على ما هي عليه ولم تتغير ، لكونها مقر الدولة ولم تحدث فيها أي تغيرات سياسية أو اقتصادية عنيفة ،مثل ما حدث في غيرها ،فكانت الأموال التي تجبى منها تشكل موردا ثابتا في بيت المال للدولة العربية الإسلامية فقد بلغ تقريبا في عهد معاوية "أربعمائة وخمسون ألف دينار في السنة" ولكن الأمصار الأخرى مثل مصر والتي كانت قد تولى أمرها عمرو بن العاص ،كان عامل الخراج يرسل آلي دمشق آلف ألف دينار في كل سنه [7].

أما الأندلس فكان يرد منها إلى بيت المال في دمشق خلال العهد الأموي ثلاثمائة ألف دينار في السنة [8] .

كان هذا في العهد الإسلامي ، ولكن في العهد الروماني فان المعلومات قليلة جدا عن النظام المالي ، لكن على الأرجح أن الملامح الأساسية للنظام السالي في الشام أثناء الحكم البيزنطي تعود إلى قسطنطين وديوكليسيان وإصلاحاتهما فقد أجرى وديوكليسيان إحصاء للأرض والناس وقسم المنطقة إلى وحدات لاتساوى بالمساحة وانما في قيمة المحصول ،كانت كل

1:-ابو يوسف : مصدر سابق ، ص24 .
2:-تقي المقريزي :الخطط المقريزيه، مؤسسة الحلبي (القاهرة) ،ج1، ص 274 .
3:- عصام عبد الرزوف : مرجع سابق ، ص6 .
4:- تقي المقريزي : الخطط المقريزيه ، ج2، ص 492 ، فتحيه البراوى ،ص157 .
5:- أبو يوسف : الخراج ص70 ، بشير رمضان التليسي ، مرجع سابق ،ص191،
6:-حسن إبراهيم حسن ،تاريخ الاسلام ، ج1 ، ص 464 .
7:-احمد بن أبي يعقوب بن جعفر:تاريخ اليعقوبي،دار الفكر (بيروت،1956)، ج 2 ، ص 169 .
8:-أحمد محمد المقرى التلمساني :نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،تحقيق محمد محي الدين ،مطبعة الأستقام (مصر ،1949) ،ج1، ص 140 .

وحـــدة تدفـــع الضريبة الثانية ولكل مدينة حكومة محلية وما يتبعها من أراضي وضياع وقرى وعـــند إعلان الضريبة الأساسية عن الوحدات في كل سنه كان لابد على موظفي المدينة ذات الحكـــم المحلـــى أن يقوموا بجمع مقدار من المال يساوى مقدار الضريبة الأساسي عن الوحدة مـــضروبا فـــي عدد وحدات كل مدينة ،وهذا يوضح مدى الاحجاف والظلم الواقع على دافعي الضريبة وعلى موظفي الخزانة في نفس الوقت ،وذلك في حين خروج أي ارض عن سلطتهم مـــن مجمـــوع الأراضي آلتي كانوا مسئولين عنها فان عب' قيمة الضريبة الأساسية يقع على دافعي الضرائب[1].

وهـــذا علـــى عكس ما قامت به الدولة العربية الإسلامية، من تساهل ورفق عند جباية الخراج المفروض.

1:محمد عدنان ، إحسان عباس: بلاد الشام في الإسلام المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام ، م 2 (عمان ، 1987) نجدة خماش ، الإدارة ونظام الضرائب في الشام في عهد الراشدين

2 :- **الموارد غير الدورية**:-

أ. الغنـيمة والفـئ :- وهي ما أصابه المسلمون في عساكر أهل الشرك بالقتال وتشمل على أربعة أقسام وهي:-

1. الأسرى:-وهم الرجال المقاتلون الذين ظفر بهم المسلمون ورفضوا دخول الاسلام .

2.السبايا:-وهم النساء والأطفال.

3.:-الأرض.

4 .الأموال المنقولة، [1].

وقـد أوضح الله عز وجل كيفية تقسيم الغنائم حيث يقول في محكم آياته "**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ**"[2].

وكـان ما يصل إلى دمشق من هذه الغنائم يشكل موردا هاما من موارد بيت المال، فعلى سبيل المـثال تلـك الغنائم التي جاء بها موسى بن النصير إلى دمشق من الأندلس سنه 95 هـ ،حيث يقـول عنه ابن الأثير "أن مما قدم به إلى دمشق الدر والياقوت أكيالا ومن نفيس الجوهر مالا يحـصى"[3] ،ويروى إن الجراح بن عبد الله لما فتح جرجان ودهستان ،أرسل إلى سليمان بن عبد الملك ملايين من الدراهم بعد أن أعطى كل ذي حق حقه [4] .

ومـن موارد بيت المال أيضا الفئ وهو كل مال وصل من المشركين للمسلمين دون قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب[5].

وكان من الموارد المالية في دمشق في عهد الراشدين والأمويين، الضرائب التي كانت تفرض علـى أهل الذمة وتسمى المكوس[6] وقد حددها الخليفة عمر على بضائع التجار الذين يقيمون فـي الدولة العربية 20/1، وهي مره واحدة في السنة وأن كان من خارج الدولة العربية فهي عـشر البضائع، وهي أيضا مرة في السنة، وكان جباة هذه الضريبة يتخذون أمكنتهم في طرق الـتجارية البرية والنهرية، ويمنح التاجر ايصالا عند تاديتة الضريبة يسرى هذا الإيصال لمدة سـنة [7]، كمـا فرضـت ضـرائب على الدور والحوانيت والأسواق وكان يطلق عليها اسم المستغلات ،وقد انشأ الوليد بن عبد الملك لها ديوانا في دمشق[8] .

ويذكر أن الضرائب قد زادت في عهد الأمويين عما كانت عليه في عهد الراشدين ما عدا عهد عمـر بـن عـبد العزيز الذي قال مقولته الخالدة عندما أرسل إليه واليه في مصر أيوب بن

1:احمد شلبي :موسوعة الحضارة ،الاقتصاد في الفكر الإسلامي ،ج4 ، ص ص 221،223 .

2:سورة الأنفال ، اية41 ،ص 182 .

3:أبو الحسن الأثير :الكامل في التاريخ ،تحقيق عمر عبد السلام تدمرى ،دار الكتاب العربي (بيروت ،1999) ج 4 ، ص 43 .

4:- أحمد بن يحيى البلاذرى :فتوح البلدان ،مطبعة الموسوعات (القاهرة ،1901) ص334 .

5:- احمد شلبي :مرجع سابق ،ص226 .

6:- سيد أمير علي : مرجع سابق ،ص 179 .

7:- ابو يوسف : مصدر سابق ،ص ص 76،77،79 .

8:محمد بن عبدوس الجهشياري:الوزراء والكتاب ،تحقيق مصطفى السقا واخرين ،مطبعة الحلبي (القاهرة ،1938)ص ص 25،26 .

شـــرحبيل يستأذنه في فرض الجزية على من أسلم حيث قال له "أن الله بعث محمدا هاديا ولم يبعثه جابيا " فمنع الجزية عمن اسلم. [1]

وتعتبـــر الـــضريبة الـــسنوية التي وضعها الأمويون على بعض الولايات التي فتحوها مثل قبـــرص من الموارد أيضا ، بحيث صالح معاوية أهلها سنة 32،33 ه على سبعة آلاف دينار ســـنويا ،وقد زادت هذه القيمة في عهد الملك بن مروان ألف دينار واستمرت حتى خلافة عمر ابـــن عـــبد العزيـــز ،حيث ارجع الأمور إلى نصابها وكما كانت عليه في عهد معاوية بن أبي ســـفيان ،وفـــي عهـــد هشام بن عبد الملك أعاد الزيادة التي فرضها عبد الملك بن مروان مرة أخرى[2].

1:-حسن إبراهيم حسن :تاريخ الاسلام العام ، ص ص 548،549 .
2:-أحمد بن يحيى البلاذري : مصدر سابق ، ص ص159،161 .

2 : **أوجه نفقات الدولة**:-

كان المال الذي يأتي من الموارد سالفة الذكر، ينفق في المصالح الآتية:-

1:- دفع أرزاق القضاة والولاة والعمال، وصاحب بيت المال وغيرهم من الموظفين، ولا يصرف لهؤلاء من مال الصدقات، خلاف والى الصدقات فان رزقة منها[1] ،ولم تكن هذه الرواتب والأرزاق ثابتة بل كانت تختلف من حين لأخر حسب ما تقتضيه الحالة العامة[2] .

2:-كانت تنفق في تزويد الجيش والأسطول البحري، إذ كان الأمويون ينفقون أموالا كثيرة في هذا السبيل، لما تحتاجه الفتوحات من أموال ونفقات باهضة. [3]

3:- كانت تنفق على السجناء وأسرى الحرب من المشركين، ودفن موتاهم فيذكر أن الخليفة عمر بن عبد العزيز ،قد كتب بأرزاق هؤلاء المساجين والأسرى صيفا وشتاءا ،وبذلك تكون هذه النفقات تشكل جانبا مهما من جوانب نفقات بيت المال [4].

4:-ويصرف من بيت المال أيضا عطايا الجند أي الرواتب التي تصرفها لهم الدولة ،وكانت هناك شروط لأثبات اسم الشخص في الديوان فيذكر بعضهم "....و الذي يشتمل عليه ديوان السلطة ينقسم إلى أربعة أقسام :- أحدهم يختص بالجيش من إثبات وعطاء ،والثاني يختص بالأعمال من رسوم وحقوق ،والثالث يختص بالعمال من تقليد وعزل والرابع يختص بيت المال من دخل وخرج ...فأما القسم الأول فيما يختص بالجيش من إثبات وعطاء،فإثباتهم في الديوان معتبر بثلاثة شروط أحدها الوصف الذي يجوز به إثباتهم ،والثاني السبب الذي يستحق به ترتيبهم ، والثالث الحال التي يقدر به عطاؤهم ،فأما شرط جواز إثباتهم في الديوان فيراعى فيه خمسة أوصاف ،أحدها البلوغ فان الصبي من جملة الذراري والاتباع فلم يجز أن يثبت في ديوان الجيش فكان جاريا في عطاء الذراري والثاني الحرية لان المملوك تابع لسيده فكان دخلا في عطائه..... والثالث الإسلام ليدفع عن الملة باعتقاده ويوثق بنصحه واجتهاده..... والرابع السلامة من الآفات المانعة من القتال فلا يجوز أن يكون زمنا ولاأعمى ولا أقطع ويجوز أن يكون أخرس أو أصم..... والخامس أن يكون فيه أقدام على الحروب ومعرفة القتال .....* [5].

وكان على أهل العطاء أن يكونوا جاهزين للحرب بكافة أسلحتهم ويذهبون للقتال حين يؤمرون، وان لم يلبوا الدعوة تحذف أسماؤهم من الديوان [6] ،كما فرض الخليفة عمر بن الخطاب العطاء للموالي وجعل عطاءهم مثل عطاء العرب ،حيث كتب إلى أمراء أجناده * أن

1:-حسن إبراهيم حسن : التاريخ العام ، ص549 ، كذلك النظم الأسلامية ، ص 263.
2:- عبد الحسين مهدي : مرجع سابق ،ص309 .
3:- بشير التليسي ،مرجع سابق ،ص196 ،عصام عبد الروزف : مرجع سابق ،ص75 .
4:- عبد الحسين مهدي :مرجع سابق ،ص310 .
5:- أبو الحسن ألماوردي :مصدر سابق ، ص ص195،196 .
6:- عصام عبد الروزف : مرجع سابق ، ص72 .

مـــن أعتقتم من الحمراء فأسلموا فالحقوهم بمواليهم لهم مالهم وعليهم ما عليهم ،وأن احبوا أن يكونوا قبيلة وحدهم فاجعلوهم أسوتهم في العطاء" [1].

وقـــد حـــدد الخليفة عمر بن الخطاب ،عطايا الجند بعد فتح دمشق ففرض لكل رجل من جنود الـــشام ما بين ألفين إلى ثلاثمائة[2] وبقى الحال على ما هو عليه من تقدير الخليفة عمر للعطاء ،إلـــى أن قامـــت الخلافة الأموية ،واستتب الأمر لمعاوية فنجده قد فرض للموالى خمـــسة عشر ديـــنارا ،ثم زاد عبد الملك بن مروان عطاءهم إلى عشرين دينارا،وفى عهد خلافة سليمان بن عـــبد الملـــك صار عطاءهم خمسة وعشرين دينارا ،وفى خلافة عمر بن عبد العزيز نجده قد ســـاوى بـــين العرب والموالى في العطاء والكسوة والرزق [3] ،وفى عهد هشام بن عبد الملك وصـــل عطـــاءهم إلـــى ثلاثين دينارا [4] وكان الخليفة معاوية يقرب القبائل التي تحارب معه ،وذلـــك بزيادة اعطياتهم ،مثل قبيلة اليمانية وما يبذله لهم من عطاء ،حتى ارتفع شأنهم وقوى أمرهم في الشام [5].

واقـــتدى بعض خلفاء بنى أميه بمعاوية في زيادة عطاء الشام ،فقد زاد يزيد كل رجل من أهل الشام عشرة دنانيرا [6] وكذلك عبد الملك بن مروان فقد أعطى جند الشام بسخاء حتى يضمن تأيـــيدهم لـــه [7]. ولما استخلف الوليد بن يزيد بن عبد الملك زاد في عطاء أهل الشام أيضا[8] وكـــان العطاء يؤدى في أول كل سنه هجرية ،ففي عهد الراشدين كان جند الشام يجتمعون في الجابـــية لأخذ عطاءهم ثم نقله معاوية إلى معسكر ذابق لقربه من الثغور[9] وقد أوصى الخليفة عمـــر بـــن الخطـــاب علـــى عدم تأخير العطاء حيث يقول ولا تحرمنهم عطاياهم عند محلها فتقـــرهم [10] ورغم ذلك فقد تعذر دفع العطاء في أوقاته المحددة ،وتأخر عن موعده ،فيرى أن مروان بن محمد قطع العطاء عن بعض جنده سنه وكتب إليهم كتابا يعتذر فيه في السنة التالية ويقول إنما حبست عنكم العطاء في السنة الماضيه لعدو حضرنى ،فاحتجت فيه إلى المال ،وقد وجهـــت إليكم بعطاء السنة الماضيه وعطاء هذه السنة ،فكلوا هنيئا مريئا ،وأعوذ بالله أن أكون أنا الذي يجرى الله قطع العطاء على يديه [11] .

5:- ومـــن مـــصاريف بـــيت المال أيضا بناء المساجد والقصور والدور و البيمارستان وهذا سوف نتحدث عنه في الفصل التالي تحت عنوان الحياة العامة في دمشق.

1:- أحمد بن يحيى البلاذرى :فتوح البلدان ،وضع ملاحقة وفهارسه ،صلاح الدين المنجد ،مكتبة النهضة المصرية (القاهرة ،1956) مج 3، ص 560 .
2:- المصدر نفسه ، ص 456 .
3:- ابن سعد : مصدر سابق ، ج5 ، ص 272 .
4:-ابن عبدربه :مصدر سابق ، ج 3 ، ص 148 .
5. عصام عبد الرؤوف : مرجع سابق ،ص73 .
6:- أبو الفداء بن كثير : مصدر سابق ، ج8 ، ص 227 .
7:- أحمد بن اليعقوبى : مصدر سابق ، ج 3 ، ص 48 .
8:- جلال الدين السيوطى : تاريخ الخلفاء تقديم عبد الله مسعود ، دار القلم العربي (حلب ،1991) ص241 .
9:- ثقة الدين بن عساكر :تاريخ دمشق ، ج1 ، ص 338 .
10:- أبو عثمان عمر بن الجاحظ : البيان والتبين ، تحقيق حسن السندوبى ،دار أحياء العلوم (بيروت ،1993) ج2 ، ص 418 .
11: عصام عبد الرؤوف : مرجع سابق ، ص 75 .

وهـناك نفقـات أخـرى تنفق من بيت مال المسلمين كمثل حفر الترع وشق القنوات وتطهير الأنهـار واقامـة الجسور و القنوات و الساقيات والحمامات [1] ، وأيضا إنشاء المجارى التي تأخذ من الأنهار لتوصيل الماء ألي الأراضي الزراعية البعيدة [2] .

3. نظام ملكية الأرض في دمشق :-

لـم يقـسم الخليفة عمر بن الخطاب أراضي البلاد ألتي فتحها المسلمون في عهده لأنه أراد أن يكـون مـوردا ماليا للمسلمين والدولة ، ويذكر أن المسلمين أرادوا من عمر بن الخطاب أن يقـسم الـشام ،كما قسم الرسول ﷺ خيبر ،فقال عمر "اذن اترك من بعدكم من المسلمين لاشئ لهـم " وقـال أيـضا "والله لا ينفع بعدى بلد فيكون فيه كبير نبيل ،..... فإذا قسمت أرض العـراق بعلوجها ، وارض الشام بعلوجها ،فما يسد به الثغور ،وما يكون للذرية والأرامل بهذا الـبلد ، وبغيـره مـن أهـل الـشام والعراق"[3] ،ولما قدم عمر بن الخطاب إلى الجابية سنه 18 هـ / 639 م ، أراد تقـسيم الأرض ، وطلب من العرب تقسيمها ، ولكن معاذ بن جبل قال "انـك أن قـسمتيا صار الربح العظيم في أيدي القوم ثم يبيدون فيصير ذلك إلى الرجل الواحد والمـرأة ،ثم يأتي من بعدهم قوم يسدون عن الإسلام مسدا ، وهم لا يجدون شيئا ،فانظر أمرا يـسع أولهـم و أخـرهم[4] فوافق عمر على رأى معاذ ، ورفض تقسيم الأرض بين الفاتحين العـرب ، وترك الأرض بأيدي أهل الذمة يفلحونها ويؤدون عنها خراجها ولم يكن يجوز لأحد مـن المسلمين أن يشترى أرضا من أهل الذمة كرها ،وذلك لما احتجوا به على المسلمين من أن إمـساكهم عن قتالهم وتركهم مظاهرة عدوهم عليهم ،كما كرهوا شراءها منهم طوعا ،لأن عمـر واصـحابه أوقفوا الأرض على المسلمين حتى لا يركنوا إلى الزراعة واستلاك الأرض والاستقرار ويتركون الجهاد وفتور الروح العسكرية فيهم [5]، وعلى الرغم من ذلك فقد امتلك بعـض جـند العرب أراض زراعية في دمشق ، الواقعة بين مرج بردى – بين قرية المزة و مرج شعبان – وهى التي عسكر فيها جند من العرب في حصارهم لدمشق ، وزرعوا أرضها وشـيدوا بهـا الـدور ، وكانت قبل الفتح الإسلامي لدمشق مروجا مباحة بين أهل دمشق أقر الخلـيفة عمـر ملكيتها لهم ، على أن يؤدوا عنها العشر غير أن الخليفة عثمان وخلفاءه أقروا مليكـتهم لهـا[6] كما امتلك المسلمون أراض أخرى كانت ملكا للرومان أو لأهل دمشق الذين قـتلوا أو غادروا البلاد أثناء الفتح وبعده[7] وظلت بعض الأراضي الزراعية الواسعة موقوفة مقـبلة* تدخل قبالها بيت المال ،إلى الذي أجراه عليه من عليه من رزق ووفودها ، وسأله أن

1:- حسن إبراهيم حسن تاريخ الاسلام السياسي ، ج 1 ، ص 76، كذلك عصام عبد الروؤف ص75 .
2:- عبد الحسن مهدى : مرجع سابق ، ص310 ،وكذلك محمد حسين محاسنه : مرجع سابق ، ص141 .
3:- كتاب الخراج :مصدر سابق ، ص15 .
4:- فتوح البلدان : مصدر سابق ، ص158 .
5:- ثقة الدين بن عساكر : تاريخ دمشق ، مصدر سابق ، ج2 ، ص ص 186،188 .
6:- ثقة الدين بن عساكر : تاريخ دمشق ، ج1 ، ص 594 .
7:- فليوزن : مرجع سابق ، ص 278.
*:- وقبالة الأرض أن يتولى من يقبلها زراعتها واصلاح جسورها وان يؤدى الخراج في حينه ،ويحسب له من مبالغ قبالته وضمانه تلك الأرض ما ينفقه على عمارتها ورممها . "المقريزى ،المواعظ والاعتبار ، ج1 ، ص81 ."

يقطعـــه تلـــك الأراضي لتغطيه هذه النفقات الكثيرة ، كما ذكر للخليفة أنها ليست بيد أحد من أهل الذمة [1] ، فوافق الخليفة عثمان واقطعة جزءاً كبيراً منها ، وظلت ملكاً لمعاوية حتى ولى الخلافـــة سنة 41هـ فأقرها على حالها ثم جعلها لفقراء بيته والمسلمين [2] ولما تولى عبد الملك بن مروان الخلافة سنه 65هـ ،كان قد بقيت من تلك المزارع أرضاً لم يقطعها معاوية لأحد من قـــبل ،ولما سأل بعض عرب دمشق الخليفة أن يقطعهم منها ،نظرا الخليفة في أرض خراجية بـــاد أهلهـــا ولم يكن لهم ورثه فأقطعهم منها ، ورفع ما كان عليها من الخراج وجعلها أرض عـــشر أمـــا أرض قـــرى دمـــشق التي بأيدي أهل الذمة ، وأذنوا لهم في الشراء وجعلوا لمن اشـــتراها أرض عشر يبيعونها ويتوارثونها وعندما تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز اعترض علـــى تلك القطائع التي منحت لبعض عرب دمشق ، وقال أنها أرض المسلمين دفعت إلى أهل الذمـــة لـــيأكلوا منها ، ويؤدوا الخراج ، وليس لهم بيعها غير أنه لم يعيدها منهم آلي ما كانت علـــيه ،كمـــا لم يجعلها أرض خراج ، بل تركها أرض عشر و أعلن عمر بن عبد العزيز أن علـــى مـــن اشـــترى أرضاً بعد سنه 100هـ/ 718م أنه سيحل عليه العقاب وعلى البائع وترد الأرض إلـــى صاحبها ، ويؤخذ المال من المسلم ويودع في بيت المال [3] وقد منع العرب من شـــراء الأراضـــي الزراعية في خلافة يزيد بن عبد الملك وهشام بن عبد الملك ،وقيل انه بلغ هـــشام أن خالـــد ابـــن عبد الله القسوى اشترى أرضاً في غوطة دمشق بغير أذنه ،فأوقع على الولـــيد بن عبد الرحمن – عامله على الغوطه – غرامة مقدارها أربعمائة دينار وأمر بضرب وكيلـــي القيـــصري بالـــسياط وأن يطاف بهم عشر مرات وينادى عليها هذا جزاء من اشترى أرضاً بغير آذن الخليفة [4] وبعد وفاته سنه 125هـ/ 746م عاد العرب آلي شراء الأراضي من جديد ولم يمتنعوا عن ذلك آلي نهاية الدولة الأموية [5] .

1:- ثقة الدين بن عساكر : تاريخ دمشق ، ج1 ، ص 595 .
2:- عصام عبد الروزف :مرجع سابق ،ص79 .
3:- عصام عبد الروزف : مرجع سابق ،ص80 .
4:- ثقة الدين بن عساكر : تاريخ دمشق ، ج1 ، ص 587 .
5:- عصام عبد الروزف : مرجع سابق ، ص 81 .

الفصل الرابع (الحياة الاجتماعية والعلمية)

أولا:-الحياة الاجتماعية

أ:- عناصر السكان وأثرها في الحياة الاجتماعية.

1. العرب 2- الموالى 3- الرقيق 4- أهل الذمة

ب:- الحياة العامة في دمشق.

1. القصور والدور 2- الجامع الأموي بدمشق 3 - الأخلاق و العادات في دمشق
4- الموسيقى والغناء ووسائل التسلية
5- المرأه العربية في دمشق و أثرها في المجتمع الدمشقي

ثانياً: الحياة العلمية في دمشق زمن الأمويين

أ:- العلوم العقلية

1:- الطب 2:- الكيمياء 3 الفلك و الرياضيات

ب:- العلوم النقلية

1 - العلوم الدينية:-

أ:- القراءات ب:- التفسير ح :-الفقه د :-الحديث ه:- التاريخ

2:- العلوم الأدبية:-

أ:- الشعر ب:- النثر((خطابة- كتابة))

أ – عناصر السكان وأثرها في الحياة الاجتماعية

1 – العرب:-

تمسكت القبائل العربية التي استقرت بعد الفتح العربي لمدينة دمشق بعاداتها وتقاليدها لفترة طويلة، ألا أن هذه القبائل نجدها تختلط بغيرها من عناصر السكان الأصليين لدمشق، وتتأثر بالبيئة الجديدة التي عاشوا فيها [1] وقد تزايد عدد العرب في دمشق في العهد الأموي حتى بلغوا في عهد الوليد بن عبد الملك نحو مائة وعشرين ألف نسمة تقريبا [2] ويبدو أن الأمويين قد انحازوا للعنصر العربي، على الرغم من دعوة الدين الإسلامي إلى المساواة بين كافة المسلمين، وما أثر على الرسول ﷺ أنه قال " **لا خير في العرب ولا في العجم إلا بالإسلام** "[3] كان بعض العرب في دمشق في العهد الأموي يشتغلون بشؤون السياسة والحكم على حين نجد غيرهم ممن أقاموا في دمشق عقب الفتح يمتلكون الأراضي ويشتغلون بالزراعة [4] ووفد مع الجيوش العربية التي فتحت بلاد الشام كثيرا من القبائل العربية المختلفة، كما هاجر إليها بعض من العرب وخاصة من قيس، واستقر بعضهم في دمشق، وكان يقيم في هذه المنطقة – منطقة دمشق – قبائل كلب، وقضاعة وقبائل أخرى من الأزد، وقد اكتسبوا من خلال حروبهم المستمرة مع الروم خبرة بشؤون الحرب كذلك تفوقوا من هذه الناحية على سائر العرب[5] وخلال العصر الأموي سادت العصبية القبلية دمشق ، التي كان لها تأثير جلي الأثر على حياة العرب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية حيث كان العرب في تلك المنطقة ينقسمون إلى يمانية ومضارية ، وقد أدى انحياز الخلفاء إلى أحد الفرقين إلى قيام العداء بينهما ، ففي عهد معاوية مثلا نلاحظ ازدياد نفوذ اليمانية في منطقة دمشق وذلك بعد أن تزوج من قبيلة كلب على حين ضعف شأن قيس [6] وسار يزيد على نهج أبيه معاوية في تقريب اليمانية والاعتماد عليهم ، ويظهر ذلك واضحا في أن أغلب الجيش الذي أرسله إلى الحجاز كان من اليمانية [7] وقد أدى هذا الانحياز إلى أثارة القيسيين وغضبهم ، وتجلى ذلك بعد وفاة معاوية الثاني في أن زعيمهم قيس الضحاك بن قيس الفهري ، إنحاز إي جانب عبد الله بن الزبير ،على حين حافظت اليمانية على ولائها للأمويين [8] ولكن بعد تولي عبد الملك بن مروان الخلافة أخذ يخفف من حدة هذه العصبية بين اليمانية والقيسية ويجمع بين زعماءهم للتوفيق بينهم[9] وكذلك الوليد بن عبد الملك لم يتعصب لأحد منهم ، وكان من أفضل الخلفاء عند أهل الشام [10] وهذا

---

1 - عبد الرحمن بن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج1 ، ص118 وكذلك عصام عبد الروؤف : مرجع سابق ، ص 82

2- ي هل : الحضارة العربية ، ترجمة إبراهيم الخوى ،مراجعة حسين مؤنس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ص 70

3- محمد نصر الدين الألباني : سلسلة الأحاديث الصحيحة ، وشيء من فقهيها وفوائدها ، منشورات المكتب الاسلامي (دمشق، 1378 هـ) م1 ،500- .

4- عصام الدين : مرجع سابق ، ص 82

5- بروكلمان ، كارل : تاريخ الشعوب الإسلامية ، نقلة آلي العربية منير البعلبكي ، دار العلم للملايين (بيروت ،1968) ج1 ، ص 148

6- عصام الدين : مرجع سابق ، ص 83

7- أحمد بن اليعقوبي : مصدر سابق ، ج 2 ، ص 224

8- محمد بن جرير الطبري : مصدر سابق ، ج 5 ، ص ص 530 ،538

9- فتهوزن : مرجع سابق ، ص253 .

10- أبن طباطبا : مصدر سابق ، ص 92 .

سليمان حذو أخية ،ولم يتعصب هو أيضا لأحد الفريقين وكذلك فعل عمر بن عبد العزيز عندما ألت إليه الخلافة ، ولم يول واليا إلا لكفايته وعدله ، ولم يتعصب هشام بن عبد الملك لقبيلة دون أخرى وإنما جعل نفسه فوق العصبيات [1]وعندما استخلف الوليد بن يزيد تعصب للمضريين .

لأنـــه أمـــة مـــضرية وأقـــصى العنصر أليمني ، مما حمل هذا العنصر علي تدبير المؤامرات للـــتخلص منه [2] ثم خلفه يزيد بن الوليد ، والذي تعصب لليمانية ، علي حساب المضرية وأساء اليمنـــيون فـــي عهـــدة معاملة المضاريين ، مما ترتب علي ذلك قيام بعض التوازن في كل من حمـــص وفلـــسطين [3] وتولـــى مـــروان بن محمد الخلافة وتعصب للقيسية ، وترتب علي هذا التعـــصب أن ثـــار اليمانية في دمشق وبعض مدن الشام والأخرى ، غير أنه لم يلبث أن أخمد ثورتهم[4].

2- الموالي

الموالـــي فـــي اللغـــة يطلـــق باطلاقات كثيرة ، مثل النصرة والمحبة ويطلق أيضا علي حليف والـــصاحب والجـــار والـــشريك إلى غير ذلك [5] أما الشرع فيختص كلمة مولى معنين : المعتق ويـــسمى مولـــي العـــتاقة ، والحلـــيف ويسمى مولى الموالاة ، فمولى العتاقة هو رفيق أعتقه سيدة فيصبح المعتق منسوبا إلى المعتق بالولاء ويسمى هذا ولاء العتاقة ، وولاء النعمة ، ومولى الموالاة هـــو رجـــل ينتمي لأخر بالمخالطة أو بالخدمة أو بالمخاطبة فينسب أليه أو ينتمي إلى قبيلة من قبيلة مـــن القـــبائل فينسب أليها ، وقد أقر الإسلام هذا النوع من الولاء حيث يقول الرسول ﷺ " ابن أخـــت القوم ومولى القوم منهم .." وقد كثر هذا النوع بعد الإسلام، لان الإسلام أعز العرب ورفع شـــأنهم حتـــى صـــاروا سادة أصحاب شوكة وقوة مكان أهل البلاد الأخرى يحتمون بهم ويتحالفون معهـــم " ولكن الباحثون في التاريخ الإسلامي عندما يذكرون الموالي يقصدون بهم كل من أسلم من غير العرب، وذلك لكون أصلهم أما أن يكونوا أسرى حرب استرقوا ثم أعتقوا فصاروا موالي، وأما أن يكون من أهل البلاد المفتوحة وهؤلاء عندما يسلمون ينضمون إلى العرب ويدخلون في خدمتهم [6] وهذا هو المعني الذي اصطلح علية المؤرخون للموالي ، وهو ما سنتناوله في هذا البحث المنوط بالزمان والمكان .

فقـــي عهـــد الخلـــيفة عمر بن الخطاب نجده يفرض العطاء للموالي كما ويجعله مساويا لعطاء العـــرب [7] وظل الحال إلى أن قامت الخلافة الأموية في دمشق ، حيث نقل معاوية عددا كبيرا من

1:جهلوزن: مرجع سابق ، ص ص 253، 270

2- أبو الحسن بن الأثير : مصدر سابق ، ج5 ، ص 265

3- أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري : الأخبار الطوال ، تحقيق عبد المنعم عامر ، مراجعة جمال الدين الشيال ، دار أحياء الكتاب العربية (القاهرة ، 1960) ، ص 349

4 :- أحمد بن اليعقوبي : مصدر سابق ج3 ، ص ص 76-77

5-أيمان بالنور : دور الموالي في سقوط الدولة الأموية ، رسالة ماجستير جامعة قاريونس ،(7.7. 1997) ، ص 30

6- محمد الطيب النجار : الموالي في العصر الأموي ، دار النيل للطباعة (1949) ص ص 13 ، 14 ، بخاري : مصدر سابق مج ، 4-5 ، ج 4، ص 158.

7 -أحمد بن يحيى البلاذري : مصدر سابق ، ص462 .

الفـرس آلي المدن الساحلية بالشام ، وبعضهم استقر في دمشق واشتغلوا بزراعة أرض كان يمتلكها بعـض العـرب وقـد اخذ عددهم في الازدياد نتيجة الفتوح الإسلامية [1] ، وكان يوجد في مدينة دمـشق درب يـسمى درب الأعـاجم يقيم فيه موالى من الفرس ويقيم آخرون في قرى دمشق من موالى خرسان يشتغلون بالزارعة والرى [2].

وكـان عطاء الموالى في عهد معاوية خمسة عشر دينار، ثم زاد عبد الملك عطائهم حتى اصبح عشرين دينارا وزاد سليمان بن عبد الملك خمسة دنانير وفى عهد عمر بن عبد العزيز جعله كعطاء العـرب، وفـى عهـد هشام وصل آلي ثلاثين دينارا [3]، ولكن ما شاع في بعض المصادر القديمة وخاصـة الكامـل المبـرد والعقد الفريد لأبن عبدربه، وعند بعض الباحثين العرب المحدثين ولدى المستـشرقين آن العـرب فـي العـصر الأموي كانوا ينظرون آلي الموالى نظرة ازدراء واحتقار ويعاملونهم معاملة فيها ظلم وتجني وبعد عن تعاليم الإسلام، وقد حاولوا أن يثبوا أرائهم استنادا إلى عـدد مـن الأدلة المنقولة عن القدماء ، وأتخذوها صحيحا لنظريتهم ، ونورد بعض هذه الأمثلة أو الأدلة ، حيث يذكر أن العرب كانت تقول " لا يقطع الصلاة إلا ثلاثة حمار أو كلب أو مولي " وهنا يـبدو لنا الأمر وكأنه طرفه وذلك من ضم الموالي إلي الحمير والكلاب ، لانه ليس له من الشريعة ولا يقـره العقل في ذلك فقال " أنما أردت أن أتواضع لله بالصلاة خلفة " ويعتبر هذا أيضا من قبيل الطـرفة ، فـإذا كان جادا فان المرء لا يتقرب لله بامرئ يحتقره. ويذكر أيضا أن لأعرابي من بني عنبـر ، مـات أبـوه وله أخوان أحدهما بن أمه أن الهجين لا يرث ، وفوجئ بقسمة الإرث أثلاثا متـساويا ممـا أغـضب الأعرابـي وشتم القاضي وغيره ، وهذا يدل علي جهل الإعرابي بقواعد الشريعة الإسلامية.

1- عصام الدين : مرجع سابق ، ص ص 84 – 85

2 - عصام الدين : مرجع سابق ، ص 85

3 -أحمد بن محمد بن عبدربه : مصدر سابق ج 3 ص148.

ويـــرى أيضاً أن العرب لم يكن يكنون الموالي ، وأنما يدعونهم بالأسماء والألقاب ، والصحيح أن العـــرب علـــي عادتهم كانوا ينادون الناس عرباً وموالي بحسب المقام والظرف والسن وغير ذلك ، وكانـــوا يكـــنون الموالي بحسب ما يعرفونهم والأمثلة كثيرة ، مثل أبي سعيد الحسن البصري والي الإمامة زياد الأعجمي ، وأبي العباس الأعمى ، و ابي عطاء السندي وغيرهم كثيرون[1] ويذكر أن الأمويـــون كان يستكفون من زواج العرب بالموالي ولو كانوا من أهل المنزلة الرفيعة أو أهل العلم والـــتقوى ، وكان ذلك شائعاً قبل الإسلام علي الرغم من أن الإسلام لم يمنع زواج المولى بالعرب ، إلا أنهم ظلوا يكرهون ذلك [2]وروي كذلك أن العرب كانوا يؤخرون الموالي في صفوفهم ومواكبهم وأذا جلـــسوا للطعام تركوا الموالي واقفين علي رؤوسهم أو يجلسونهم علي طرف ، ولكن روى أن معاويـــة بـــن أبي سفيان صنع طعاماً لعمرو بن العاص وأهلة ومواليه ، فدخلوا فأكلوا ثم دخل أهل معاوية وموالية فأكلوا ، دون أن يكون هناك أي تفرقة بين العرب والموالي .

هذه هي أبرز ما أخذه الباحثون علي معاملة العرب للموالي في المجتمع، وقد حاولنا مع كل مأخذ أن نبـــين الوجهة الصحيحة فيه، ويلاحظ أن معظم هذه الأمثلة كانت وقائع فردية ، لا يمكن أن تتخذ حجـــة علـــي العـــصر الأموي كلة بل كان من الموالي أشراف إلى درجة أهلتهم لان يتطاولوا علي العـــرب ويتحدوا سلطانهم ، فيذكر أن فيروزا مولي حصين بن عبد الله العنزي عندما خرج على عبد الملـــك والحجاج سنة 80 هـــ ، وكان غنياً ذا ثراء واسع فنادى الحجاج في إحدى المعارك قائلاً من أتـــى برأس فيروز فلة عشرة آلاف درهم ، فما كان من فيروز آلا أن قال من أتى برأس الحجاج فله مائـــة آلف درهم ، حتى قال الحجاج " فوالله لقد تركني أكثر من التلفت وأني لأبين خاصتي [3]ورغم ذلـــك لا نجـــزم الأمر فقد يكون هناك بعض الترفع في بادئ الأمر من قبل الأمويون علي الموالي ، ولكـــن ســـرعان ما أفسحوا لهم المجال للقيام بأعمال هامة في الدولة ، فأخذ معاوية بن أبي سفيان ، ســـليمان بن سعد كاتبا له كما أن حاجبة كان مولي أسمه صفوان[4] ، كما اتخذ عبد الملك بن مروان أبـــا زعيـــزعة ، وهـــو من الموالي كاتباً لرسائله وكان يتمتع بمنزلة كبيرة عندهوكتب للوليد بن عبد الملك صالح بن عبد الرحمن ، وهو من الموالي أيضاً وكان أبو عبيده – مولي سليمان بن عبد الملك حاجـــباً له[5] ، وكان حاجب عمر بن عبد العزيز يدعي مزاحم وهو من الموالي وبلغ من ثقته أنه قال له : قد جعلتك عيناً علي ، أن

---

1 - محمود المقداد : الموالي ونظام الولاء من الجاهلية إلى أواخر العصر الاموي ، دار الفكر (دمشق ، 1988) ص ص 186 ، 193

2- بن عبدربه مصدر سابق ج1 ، ص 260

3 - المقداد : مرجع سابق ، ص199

4- ابو الحسن المسعودي : التنبيه والاشراف ، دار ومكتبة الهلال (بيروت ، 1981) ، ص 277 .

5- نفس المصدر ، ص 289 .

رأيـــت منـــي شيئاً فعظني اليه [1] وسالم بن جبلة كاتب هشام بن عبد الملك وهو من الموالي أيضاً ، وكان يعرف اليونانية ، وترجم رسائل الأرسطو[2]ومن أشهر موالي دمشق في العهد الأموي مكحول الـشامي ، واصله من بلاد السند ، ويقول الزهري : العلماء أربعة سعيد بن المسيب بالمدينة والشعبي بالكوفة ، والحسن البصري بالبصرة ، ومكحول بدمشق ، ولم يكن في زمنه أبصر منه بالفتيا [3] .

كمـا يعتبـــر عبد الحميد بن يحيى من اشهر موالى دمشق في ذلك الصر وهو فارسى الأصل ، وكان كاتبا مشهورا ويضرب به المثل في البلاغة حتى قيل "فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العمـــيد "وقـــد اتخذه مروان بن محمد أخر خلفاء بنى أمية كاتبا له ، ويظهر هذا التساوي واضحا بين الموالـــى والعرب في العصر الأموي في عهد عمر بن عبد العزيز ،كما نجد بعض إماء من بنى أميه ينـسبون آلـــي موالـــى مـــثل هشام كان يكنى باسم مولى يدعى أبا شاكر كما لقب مروان بن محمد بالجعدى نسبة إلى الجعد بن درهم من موالي دمشق وكان مؤدباً لمروان [4].

ولا ننكـــر أن الموالى في دمشق ظلوا محرومين طوال العهد الأموي تقريباً من بعض المناصب الكبـــرى كا القضاء ،فحين أراد عمر بن عبد العزيز أن يولى مكحول القضاء قال مكحول "لا يقضى بـــين الـــناس الا ذو شـــرف في قومه وأنا مولى "[5]،ويمكننا آن نستنتج أن الموالى كانوا يعيشون مع العرب جنباً إلى جنب في الحياة الاجتماعية العامة ،وهم يتمتعون بالحرية والمساواة والحق في التقدم والارتقـــاء ،بقـــدر ما يتمتعون به من مواهب وكفاءات ،وان هذه المعاملة الحسنه تتسم بطابع الشمولية وتنطبق على العصر انطباقاً واسعاً ولا نقيس ذلك من ناحية الوقائع الفردية ،وانما من ناحيةعامة [6].

---

6 - الذهبي ، شمس الدين محمد : تاريخ الإسلام ، دار الكتاب اللبناني (بيروت 1987) ج 4 ، ص 53 .
7 - أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق بن النديم : الفهرست ، تحقيق رضا – تجدد (طهران ، 1971) ص 131 .
3- أبو العباس شمس الدين بن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، وتحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة (بيروت) ج5 ، ص 281
4:- عصام عبد الروؤف ، مرجع سابق ،ص87 .
5:- أبو الفداء بن كثير: مصدر سابق ، ج9 ، ص 350 .وكذلك أحمد بن محمد بن عبدربه ج1 ، ص261 .
6:- المقداد ، مرجع سابق ، ص ص201،200 .

3:- الرقيق

تـزايد عدد الرقيق في دمشق بسبب الفتوحات الإسلامية في عهد الدولة الأموية ، وخاصة في عهـد الوليـد بن عبد الملك ، حيث يذكر أن الرجل العربي كان يمتلك مابين عشرة إلى مائة من الـرقيق ، ويذكـر أن خالد أبن يزيد بن معاوية كان يمتلك أربعمائة من الرقيق [1] ولم يكن كل هـؤلاء الأرقـاء مـن الأسرى ، بل كان بعضهم يشترى من أسواق النخاسة ، فهم يختلفون في أجناسـهم وإشكالهم والوانهم ، وكان العرب يشترونهم لزراعة الأرض أو للخدمة في دورهم [2] وكانت الدولة تأخذ حصتها من أسرى الحرب ، ويسمونهم رقيق الخمس ، وتكاثر هذا كما ذكرنا سـابقاً في عهد الوليد و أخية سليمان ، ففي عهد الوليد أسر موسى بن النصير ثلاثمائة آلف أسير فـي أفـريقية ، وأرسل خمسهم إلى الوليد[3] وعاد أبن النصير إلى دمشق بعدد كبير من الأسرى الأندلـسيين [4] وبلغ من كثرة رقيق الخمس في دمشق أن سليمان بن عبد الملك أعتق سبعين ألف مملوك ومملوكة وكساهم [5] وفي عهد هشام قدم له عبيد بن عبد الرحمن القيسي والي أفريقيا من قبل هاشم – عندما جاء إلى دمشق عشرين ألف عبد ومعه غنائم وأموال كثيرة [6] وهناك نوعان مـن الرقيق ، الخصيان والجواري ، أما الخصيان فقد ظهر استخدامهم منذ زمن معاوية بن أبي سفيان [7] وكانوا يستخدمون في دار النساء ، وأيضاً حجاباً في الدواوين [8] كما عهد بعض تجار الـرقيق إلـى أخـضاء بعـض الأرقاء ويبعهم بأثمان عالية [9] أما النوع الثاني فهو الجواري ، ومـصدره سـبي الفتوحات ، فهن من كل الجنسيات بالمشرق من حبشيات ويونانيات ومغربيات وسـنديات وغير ذلك ، ويذكر أن عبيد الله بن الحبحاب عندما قدم علي هاشم بن عبد الملك سنة 123 هـ / 740 م قدم له الهدايا والجواري اللاتي قدر عددهن بسبعمائة جارية من ضمن الهدايا [10]

" وكـان العـرب فـي دمشق في العصر الأموي يشترون الجواري اللاتي يجدن الغناء بأسعار مـرتفعة، حـيث يذكر أن يزيد بن معاوية أشترى جارية بعشرة آلاف دينار كما أشترى يزيد بن عـبد الملك الجارية حبابة بعشرين آلف دينار، وكان الناس يشترون الجواري ويعلموهن الغناء ثم يبـيعوهن بأثمان باهضة " [11] وهناك من الجواري ما كان لها شأن كبير في قصر الخلافة، وما تتميـز بـه من علو منزلة، فعلي سبيل المثال كانت حبابة التي اشتراها يزيد كما ذكرنا منذ قليل، حـيث تجـيد الغـناء والـضرب على العود، فقد بلغت ما بلغته من شأن ومنزله عند يزيد حتى

---

1 - ابو الفداء الحافظ بن كثير : البداية والنهاية ، مكتبة المعارف (بيروت ،1966) ج 9 ، ص80 .
2 - أحمد أمين : فجر الأسلام ، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة ، 1959) ص ص 88 ، 90 .
3-أحمد بن محمد التلمساني : مصدر سابق ج1 ص 148 .
4- أبو الفداء بن الكثير :مصدر سابق، ج 4 ص748 .
5- أحمد بن محمد بن عبدربه : مصدر سابق ، ج 5 ، ص 163
6- أحمد اليعقوبي: مصدر سابق ج3 ، ص 59 .
7- جلال الدين السيوطي : ،مصدر سابق، ص 131.
8- جرجي زيدان : مرجع سابق ، ج5 ، ص26 ، وكذلك امصطفى الرافعي اص167
9 - زيدان: مرجع سابق ، ج5 ص26 .
10- ابراهيم حركات : السياسة والمجتمع في العصر الأموي ، دار الأفاق (المغرب ، 1990) ص ص 219 ، 220
11- عصام الدين : مرجع سابق ص89

أصـــبحت تتدخل في تولية وعزل الولاة وحين ماتت حزن عليها يزيد حزناً شديداً، وأقام أياماً لا يدفـــنها حتـــى جيفت، جزعاً عليها [1] كما شاع في المجتمع الدمشقي في العهد الأموي أستخدم السراري ؛ واتخاذهن أمهات أولاد ، بل أن بعض الأمويين كانوا يفضلون الإماء من غير العرب علـــي العربيات الحرائر [2] وهناك من يعتبر أن طبقة الرقيق من أسوأ فئات المجتمع في العصر الأمـــوي ، فـــبعد مـــا كانـــت تحظـــى به من تكريم في صدر الأسلام أصبحت في أدنى السلم الاجتماعـــي عـــند الأمويين ، وذلك لما تعانيه من أعمال شاقة داخل البيوت والمزارع ، معتمداً علـــي مـــا ورد فـــي المصادر التاريخية والجغرافية من انتقاضات هذه الطبقة ، وكذلك ترحيلهم لمسافات بعيدة عبر آلاف الكيلومترات [3] ولكن ما نعرفه عن الأرقاء في دمشق أنهم شكلوا طبقة اجتماعـــية متميـــزة ، ومتماسكة ومما زاد في تماسكها هو أن أفراد هذه الطبقة تزوجوا من نفس طبقـــتهم الأمر الذي أدى إلى تقليل الفوارق – الجنسية والثقافية بينهم – إضافة إلى تعليم بعض أفراد هذه الطبقة للعربية واعتناقهم الأسلام [4]

4- أهل الذمه :-

وهـــم غيـــر المـــسلمين مـــن أهل الكتاب – اليهود والنصارى ، وكانوا يعيشون في الدولة الإسلامية متمتعين بحرية عقائدهم ،وهم معفيون من الجهاد ويدافع عنهم المسلمون وعن أموالهم مقابـــل الجـــزية يؤدونها علي أنفسهم وخراجاً عن أرضهم [5] التي تركها لهم المسلمون عند فتح دمشق بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب حيث كتب لعبيده بن الجراح قائلاً أقر بما أفاء الله عليك في أيدي أهله ، واجعل الجزية عليهم بقدر طاقتهم ، تقسمها بين المسلمين ويكونون عماد الأرض ، فهـــم أصحابها وأقوي عليها ، ولا سبيل لك عليهم ولا للمسلمين معك أن تجعلهم فيئاً ... وأمنع المسلمين من ظلمهم والأضرار بهم وأكل أموالهم إلا بحلها [6] كما نهى الخليفة عمر بن الخطاب جـــباة الخراج في بلاد الشام عن تعذيب أهل الذمة وحملهم علي أداء الجزية ، وقال " من لم يطق الجـــزية خففوا عنه ، ومن عجز فأعينوه .." ومن أمثلة تسامحه وعطفة علي أهل الذمة أنه عندما قـــدم إلـــى الجابية سنة 18 هـــ / 639 م رأى قوماً مجذومين من النصارى فأمر بإعطائهم من الـــصدقات وإجـــراء القـــوت عليهم [7] وشكا إليه أهل الذمه في بلاد الشام ممن ينزل عليهم من المسلمين بقولهم يأمير المؤمنين أن ضيوفنا من المسلمين يكلفونا مالا نطيق ، فقال " لا تطعموهم ألا ممـــا تأكلـــون "[8] كذلك أحسن الخلفاء الأمويون معاملة أهل الذمة في دمشق ، حيث نجد أن الخلـــيفة عمـــر بن عبد العزيز يأمير بان يجرى القوت من بيت المال علي من كبرت سنه وقلت

1- أبو الحسن المسعودي: مروج الذهب ج 3 ، ص 209 .
2- أبو عثمان الجاحظ: مصدر سابق، ج 2 ص 48 .
3 - إبراهيم حركات: مرجع سابق، ص 218 .
4- أبو عثمان الجاحظ: مصدر سابق ج 2 ، ص 106.
5- عمر فروخ : العرب في حضارتهم وثقافتهم دار العلم للملايين (بيروت ، 1981) ص 185
6-أبو يوسف : مصدر سابق ، ص 81 .
7 - أبو عثمان الجاحظ : مصدر سابق ج1 ، ص 179 مصدر سابق ، كذلك أ .س .ترتون : مرجع سابق ، ص 158
8 - ثقة الدين بن عساكر تاريخ دمشق ، ج1 ، ص197 .

مكاســـبه من أهل الذمه [1] وأيضاً يزيد بن الوليد عندما استخلف ألقى في الناس خطاباً يتعهد فيه بحسن معاملة أهل الذمه [2] ولما رأى أهل الذمه في دمشق وغيرها من بلاد الشام حسن المعاملة من قبل المسلمين لهم ، صاروا عوناً لهم علي أعدائهم من الروم [3] وكما ذكرنا فإن المسلمين لم يتدخلوا في شعائر أهل الذمه في دمشق فنجدهم يحتفلون بأعيادهم في جو من التسامح والحرية ، وكـــان المسلمون يشاركونهم أحياناً في أعيادهم ، وخاصة النصارى منهم ، فقد كانت هذه الأعياد فرصة طيبة لنزهة المسلمين ، وخاصة أن الأديرة كانت تحفل بالحدائق الغناء والبساتين اليانعة[4] ومن الجدير بالذكر أن المسلمين لم يتعرضوا لأديرة النصارى في دمشق بسوء ولاهدم ، بل أبقو علـــيها ومـــن أشهر هذه الأديرة ، دير صليبا ، ودير سمعان الذي قضى فيه عمر بن عبد العزيز أيامـــه الأخيـــره ودير مروان وقد بني بعيد عن ظاهر دمشق ، وكان مزيناً بالفسيفساء والمرمر النفـــيس [5] ومـــما يدل علي معاملة الأمويين الحسنة لأهل الذمة ، ما ذكره كبار البطارقة حيث قالوا: أن العرب الذين مكنهم الرب يعاملوننا علي أنهم ليسوا أعداء النصرانية بل يحترمون ملتنا ويوقـــرون قسيـــسنا ، ويمدون يد المعونة إلى كنائسنا وأديرتنا [6] ورغم حرص الخلفاء الأمويين علي معاملة أهل الذمة بالتي هي أحسن إلا أن ذلك لم يمنع من فرض بعض القيود عليهم ، فيذكر أن الخلـــيفة عمر بن عبد العزيز أمر أن لا يركب نصراني ولا يلبس قباءاً ولا طيلسانا ولا يمشي إلا مفـــروق الناصـــية [7] وقـــد يكون السبب راجعاً إلى التمييز بينهم وبين المسلمين ، وكان أهل الذمـــة يفعلون ذلك دون جبر أو إلزام فلا توجد عقب فتح دمشق بضرورة إلزام النصارى بلبس نوع من الثياب يميزهم عن المسلمين إذ كان لكل فريق منهم وقتذاك ثيابه الخاصة به [8] واستعان المسلمون بعد فتح دمشق بكتاب أهل الذمة في العمل بدواوين دمشق فكما أسلفنا كان سرجون بن منصور كاتباً لخراج معاوية ثم ليزيد وظل كاتباً للخراج حتى نقله عبد الملك بن مروان إلى اللغة العربية [9] وعلي الرغم من نقل عبد الملك الدواوين إلى العربية ، إلا أن خلفاء بن أمية لستعانوا بأهـــل الذمـــة فـــي الدواوين ، فكان لعبد الملك بن مروان كاتباً نصرانياً يقال له شمعل [10] وأخذ لأخـــيه عبد العزيز مؤدباً يقال له أثناسيوس [11] وكان كاتب سليمان نصرانياً يقال له أبن بطريق ولهاشم بن عبد الملك كاتباً نصرانياً أيضاً يسمى تاذري بن اسطين قلده ديوان حمص [12] فعندما فتح العرب سوريا، واستقر الخليفة فيها ، وأصبحت دمشق حاضرة للخلافة ووجد العرب أنفسهم حكامـــاً علـــي منطقة كانت ولاية رومانية من قبل ، وخاضعة للقانون الروماني في أرقى صورة

---

1 - عصام عبد الرؤوف : مرجع سابق ، ص 92
2- ابو عثمان الجاحظ: مصدر سابق، ج1 ص 70 .
3 - أبويوسف: مصدر سابق، ص 80 .
4- الخربوطلي : الحضارة العربية الإسلامية ، ص 155 .
5- عصام عبد الرؤوف ،مرجع سابق ، ص 93 .
6- ترتون : أهل الذمة في الإسلام ترجمة حسن حبشي ، دار المعارف (القاهرة ، 1967) ص 148
7- عصام عبد الرؤوف : مرجع سابق ، ص 92
8 - ترتون : مرجع سابق ، ص 125
9- محمد بن عبدوس الجهشياري: مصدر سابق ، ص ص15- 19.
10- نفي المصدر ، ص24
11- توماس أرنولد : الدعوة الي الإسلام ، ترجمة حسن إبراهيم حسن (القاهرة ، 1967) ص 81
12- محمد بن عبدوس الجهشياري : مصدر سابق ، ص ص30 ، 38

ويسودها نظام إداري حسن فقد أخذ العرب هذا النظام بحذافيره ، أما المواطنين الرومان الذين كانوا يريدون الرحيل عن دمشق ، ليضلوا تحت حكم الرومان في الأقاليم التي بقيت بأيديهم ، فكانت تمنح لهم جميع التسهيلات لعملية النزوح ، ورغم ذلك فقد آثر كثير منهم البقاء تحت الحكم العربي الإسلامي ، وقد بلغ نفر من هؤلاء أرفع المناصب في الدولة الإسلامية [1] كما ذكرنا منذ قليل كما برز عدد من أهل الذمه في العلوم المختلفة أبان العهد الأموي ، وسيأتي ذكرهم .

ب :- **الحياة العامة في دمشق**

حفلت كتب السيرة النبوية العطرة ، وكتب سيرة الخلفاء الراشدين ، بكثير من التوضيح للحياة التي عاشوها ، وما بها من تشقف وبعد عن الترف ومظاهر الأبهة ، ويتضح ذلك من خلال حياة الناس وأسلوب معيشتهم في منازلهم ودورهم وعمارتهم ، ويكونوا أكثر وضوحا بعد قيام الدولة الأموية فقد كان من بين أسباب ذلك هي الغنائم التي حصلوا عليها ومظاهر الحضارة والعمران التي أبهرتهم ، كل هذه العوامل دفعت المسلمين إلى أن يعيشوا حياة الترف التي لم يعهدوها من قبل [2]

1- **القصور والدور** :-

تشبة الخلفاء الأمويون بأباطرة الروم في الظهور بمظهر الأبهة والسلطان في حياتهم الخاصة ، فاتخذ معاوية قصراً سمى بالخضراء ، وكان هذا القصر من المباني التي شيدت في العصر الروماني ، فأعاد معاوية بناءه علي أحسن صورة[3] ويقع هذا القصر إلى الجنوب من سور الجامع ، ولا يفصلة عنه إلا جدار ترك فيه باب لمرور الخليفة من منزله إلى مقصور الجامع وإمام القصر إسطبلات أطلق عليها "دار الخيل " وبدأ معاوية عمارته في أثناء ولايته علي الشام (23-35 هـ) في عهد الخليفة عثمان بن عفان ثم أعاد تجديد عمارته أثناء خلافته (41-60 ه) (661-679م). وقد عرف بهذا الاسم – الخضراء – لان القبة والجدران ، طليت باللون الأخضر [4] وكان القصر مزخرفاً بالذهب الوهاج ، والمرمر الناصع ، و ازدانت جدرانه وأرضه بالفسيفساء ، وأعمدته بالرخام ، كما كانت الغرف مطلية بماء الذهب ، ومرصعه بالجواهر الثمينة ، ولطف جوه بالنافورات والمياه الجارية والحدائق الغناء وبأشجارها الضليلة الوارفة [5] وبقى القصر مقرا للخلفاء الأمويين حتى عهد سليمان بن عبد الملك (96 – 99 هـ) (714 – 717م) حيث أتخذ قصراً أخر بدرب محرز في موضع السقاية جيرون ، وجعل له قبة لونيا أصفر [6] كما شيد معاوية لزوجته ميسون قصراً يشرف على الغوطة وزينة بأنواع الزخارف ، ثم أسكنها فيه مع وصائفها [7] ويذكر أن لأم البنين زوجة الوليد بن عبد الملك

1- دي لاسي أو ليري : علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب ، ترجمة : وهيب كامل ، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة ، 1962) ص ص 187 ، 188

2- عفاف سيد صبرة ، مصطفي الحناوي : مرجع سابق، ص ص 325 ، 326

3- ثقة الدين بن عساكر: تاريخ دمشق، ج1 ، ص 243.

4- عبد الله كامل موسى : الأمويون وآثارهم المعمارية ، دار الأفارقة العربية (القاهرة ، 2003) ، ص 34

5- سيد أمير علي : مرجع سابق ، ص 169

6- عبد الله كامل : مرجع سابق ، ص 34

7- كمال الدين الدميري: مصدر سابق ، ص435 .

قـــصراً بالفراديس [1] كما ذكر الحموي قصوراً أخرى تنسب للأمويين ومنها قصر أم حكيم ويقع بمـــرج الـــصفر من أرض دمشق ، وهو منسوب إلى أم حكيم بنت يحيى حيث كانت زوجة عبد العزيـــز بـــن الوليـــد بن عبد الملك فطلقها وتزوجها بعده هشام بن عبد الملك ، وقصر الحجاج ومـــوقعه فـــي ظاهر باب الجابية من مدينة دمشق ، وهو منسوب إلى الحجاج بن عبد الملك بن مـــروان[2] وتعتبر القصور التي أتخذها الأمويون في الصحراء ، نموذجاً لقصورهم في دمشق ، ومن بين القصور التي شيدها الأمويون خارج دمشق قصر المشتي حوالي سنة 125 هـــ / 742 م ، وقصر القسطل الذي شيده هشام بن عبد الملك وغيرها من القصور المنسوبة إلى الأمويين[3] وأمـــا عن منازل الأغنياء في دمشق ، فكانت تتألف أحياناً من طابقين ، وتشمل علي عدة أبواب ذات ســـتائر كثيفة تفتح عند الضرورة ، وكان الديوان وسائر الغرف تفرش في الشتاء بالطنافس الفاخـــرة ، وفـــي الصيف الحصر الغالية ، ويستخدمون المواقد في فصل الشتاء ، أما النافورات التـــي خـــرص أهالـــي دمـــشق علي إنشائها في بيوتهم تساعد علي تلطيف الجو من الحرارة [4] وكانت مياه بيوت دمشق تصل أليها من نهر بردي ، حيث أظهر الأمويون مهارة منقطعة النظير فـــي تجهيـــز بيوت المدينة بما تحتاجه من الماء وذلك بإقامة أحواض تنبثق منها المياه الصافية ، كمـــا أقامـــوا سبعة جداول تجري في أنحاء المدينة المختلفة بالإضافة الي المجاري العديدة التي كانت تربط كل منزل بالمجرى الرئيسي [5]

2- الجامع الأموي بدمشق:-

أعطـــى الجامع الأموي لدمشق طابعها الإسلامي ، فهو أهم ما يميز المدينة الإسلامية ، فبعد فـــتح المسلمين لمدينة دمشق، ومجيء الخليفة عمر بن الخطاب سنة 18 هـــ/ 639 م للجابية ، أمـــر أن لا يـــتخذ في المدينة سوى جامع واحد ، وقد يقصد من وراء ذلك المسجد الذي تقام فيه صلاة الجمعة ، ولم ينه عن المساجد التي تقام فيها الصلاة من غير الجمعة [6] واكتفى المسلمون بعـــد الفـــتح بمسجد متواضع يقع إلى جوار كنيسة القديس يوحنا، وتركوا الكنيسة كلها للنصارى يـــؤدون فـــيها شعائرهم الدينية [7] أما القول بأن العرب عقب الفتح استولوا علي نصف الكنيسة لإقامة شعائرهم الدينية، وتركوا النصف الأخر للنصارى وأن المسلمين والنصارى كانوا يدخلون مـــن بـــاب واحـــد، وهو باب الكنيسة القبلي، فيأخذ المسلمون يمينهم إلى القسم المخصص لهم، والنصارى ينصرفون إلى جهة الغرب لاداء شعائرهم فهذا القول متأخراً وغير صحيح [8].

ومـــا يؤيد أن قصر الخضراء كان مجاوراً للمسجد ، وكنيسة القديس يوحنا ، ما كتبه الأسقف الغالـــي اركولـــف الذي زار الشام زمن خلافة معاوية إذ قال "كان في دمشق كنيسة عظيمة بنيت

1- تقة الدين بن عساكر : تاريخ دمشق ، ج 2 ص 252
2- عبد الله كامل : مرجع سابق ، ص 139
3 - بروكلمان : مرجع سابق ، ص 185 ، 186 ، وكذلك عبد الله كامل : مرجع سابق ، ص ص 122 ،129 ، 133
4- عصام عبد الرؤوف : مرجع سابق ، ص 96 .
5- سيد امير علي ، مرجع سابق، ص 187 .
6- عصام عبد الرؤوف ، مرجع سابق ، ص 37
7- ابو الفداء بن كثير: مصدر سابق، ج 9 ، ص 144 .
8- بروكلمان : مرجع سابق، ج 1 ، ص 120 .

لتمجيد القديس يوحنا المعمدان ، وهناك أيضا بيت يؤدي المسلمون فيه شعائرهم الدينية "[1] ، ويذكر أن معاوية بن أبي سفيان أراد أن يزيد كنيسة يوحنا في المسجد الأموي بدمشق فأبى النصارى ذلك فأمسك ثم طلبها عبد الملك ابن مروان زمن خلافته ، وبذل لهم مالاً كثيرا فأبوا أن يسلموها له ،وفي عهد الوليد بن عبد الملك جمعهم وبذل لهم مالاً عظيما على أن يعطوه إياها [2] وان يمارسوا شعائرهم في أربع كنائس من الكنائس الأربع عشره التي كانت قائمة في دمشق [3] فرفض النصارى أن يعطوها ، فقال لهم لئن لم تفعلوا لأهدمنها فقال بعضهم : يا أمير المومنين أن من هدم كنيسة جن وأصابته عاهة فدعا بمعول واخذ يهدم بعض حيطانها بيده ، ثم تجمع حوله النقاضين فهدموها وادخلها في المسجد [4] وانصرف الوليد خلال عشر سنوات تقريبا إلى بناء جامع دمشق المشهور الذي مازال إلى اليوم يعد من أروع المباني الدينية في العالم ، بماله من مآذن ترتفع إلى عنان السماء ومداخل فخمه ، وحصن مستطيل فسيح تنتظم الجنبات على أطرافه الثلاثة التي تزينها ألواح ثمينة جدا من الفسيفساء و الرخام وحرم تقطعه طولانيا بلاطه متوسطة مستطيله ، وعرضانيا ثلاث بلاطات متوازنة ومتساوية ،تقوم على سلسلة من ألا عمده والدعائم المتعاقبة [5] وقد جمع له الوليد امهر الصناع والمهندسين في العالم من فارس والهند وبلاد الروم والعرب ، وانفق على عمارته خراج الشام سبع مرات [6]، إلا إن الوليد بن عبد الملك توفي قبل أن يستكمل بناء الجامع ، فأتمه سليمان بن عبد الملك سنه 96 هـ/714م [7].

وكان للمسجد الأموي بدمشق ثلاث مقصورات الأولى مقصورة معاوية بناها وقاية وحماية لنفسه من المتآمرين ، والى جانب خزانه محلاه بالرسوم فيها المصحف الذي وجهه عثمان بن عفان للشام ، والمقصورة الثانية فيها منبر الخطبة ومحراب الصلاة ، والى الجانب الغربي من المسجد توجد مقصورة صغيرة ، وزينت جدران الجامع بالفسيفساء المذهب والملون وغطيت أرضة بالمرمر ، وأعمدته من الرخام المختلف الألوان ورصع محرابه بالجواهر الثمينة ، ونقش على جدرانه آيات قرآنية [8] وكانت أضاءته من من القناديل الكثيرة المصنوعة من الذهب والفضة [9] وكتبت عبارة بماء الذهب على حائط المسجد : ربنا لا نعبد آلا الله ، أمر ببناء هذا المسجد وهدم الكنيسة التي كانت فيه ، عبد الله الوليد أمير المؤمنين في ذي الحجة سنة 87 هـ/ 705م [10] وكان للمسجد ستة أبواب أربعة منها رئيسية، وهي باب الزيادة في الناحية القبلية من المسجد ، [11] وباب الساعات من الناحية الشرقية وهو من أعظم الأبواب ويعرف بباب جيرون

1:- عصام الدين عبد الرؤوف : مرجع سابق ، من ص37،38 .
2:- عبد الله موسى ، مرجع سابق ،ص63 .
3:- سليم عبد الحق : نظرات في المدينة العربية الإسلامية خلال العهد الأموي و العباسي مجلة كلية الآداب منشورات قاريونس ، عدد 8 لسنه 1976 ،ص41 .
4:- عبد الله موسى: مرجع سابق ، ص63.
5:- سليم عبد الحق : مرجع سابق ص41 .
6- عبد الله موسى : مرجع سابق ، ص64 .
7-ثقة الدين بن عساكر: التاريخ الكبير ج1 ، ص 200 ، وكذلك محمد كرد علي خطط الشام م5-6 ، ص 275.
8- محمد بن احمد بن جبير: مصدر سابق ، ص ص 249 ، 253 .
9- ياقوت الحموي : مصدر سابق ج 2 ، ص 466 .
10- أبو الحسن المسعودي: مروج الذهب ، ج 3 ، ص 167 .
11- محمد بن احمد بن جبير: مصدر سابق، ص 257 .

مـــن المـــسجد ، وباب البريد من الناحية الغربية ، وباب النطاقين من الناحية الشمالية [1] ويذكر البنهسي مدى اعتزاز أهل دمشق بجامعهم وقول الدمشقيين ما تأملنا قط تأليف مسجدنا، وتركيب محـــرابنا، وقـــبة مصلانا، إلا آثار لنا التأمل ، واستخرج لنا التفرس بين غرائب حسن لم نعرفها وعجائـــب صنعة لم نقف عليها ، وما ندري جواهر مقطعاته أكرم في الجواهر ، أم تنفيذ أجزائه فـــي تنفيذ الأجزاء ، ويؤكد غيره هذا الوصف فيقول تم بلط جميعة بالرخام الأبيض وحيطانه إلى قامتـــين بالـــرخام المجزع ، ثم إلى السقف بالفسيفساء الملونة والمذهبة ، صور أشجار وأمطار ، وكتابات علي غاية الحسن والدقة ولطافت الصنع ... وطليت رؤوس الأعمدة بالذهب [2] ويصفه آخـــر فـــيقول أثناء وصفه لمدينة دمشق : " ...وبها المسجد الجامع الذي ليس علي الأرض مثلة بـــناء ولا أحـــسن مـــنه صـــنعه ولا أتقن منه أحكاما ..... ولا أبدع منه تلميعا بأنواع الفصفص المـــذهب والآجـــر الممكوك والمرمر المصقول" [3] ولاشك أن المسجد الأموي يعد من آيات الفن العربي و البيزنطي وأن وصف المؤرخون له لمثلا حيا وبرهانا ناطقا علي ما بلغه هذا المسجد من أتقان وبهاء وهو جامع المحاسن ، كامل الغرائب ويعد من إحدى العجائب .

ولقـــد ترك الجامع الأموي بدمشق أثره الواضح في العمارة الإسلامية ، ولاسيما في الأبراج باركانـــه ، والتي اتخذت بمثابة مآذن ، كما له أثر كبير في تصميم المساجد الأخرى لا سيما في شـــمال أفـــريقيا، والأنـــدلس وخاصـــة مسجد قرطبة الكبير، وفي غيره من مساجد بلاد المغرب العربي الإسلامي [4]

3- الأخلاق والعادات في دمشق :-

انـــتقل العـــرب بعـــد فتح دمشق بطباعهم وعاداتهم من غضاضة البداوة إلى رونق الحضارة [5] وخصـــصوا يوما في الأسبوع لقضاء أوقات فراغهم في النزهة وذلك في أواخر فصل الشتاء واوائل الربيع[6] ومن الأيام المفضلة للخروج عندهم ، يوم السبت ، وفي نفس هذا اليوم يترك الناس أولادهم يـــنطلقون إلـــى المتنزهات يمرحون ويطربون ، ولايعودون إلى منازلهم إلا ليلا [7] وكان للرجال في دمـــشق مجالس خاصة ، وذلك رغم اختلاف مذاهبهم ومعتقداتهم [8] ، وكان الناس في دمشق يعلمون أبـــنائهم الـــصفات الحميدة ، ويتضح ذلك من توجيهات الخلفاء في دمشق للناس بأن يعلموا أبنائهم ، حيث قال عبد الملك بن مروان لمؤدب أولاده " علمهم الصدق ، كما تعلمهم القرآن ، وجنبهم السفلة ، فإنهم أقل الناس أدبا .... " [9] وقال سليمان بن عبد الملك لمؤدب ابنه" قد وليتك تأديبه فعلمه القرآن ، وروه الأشـــعار ، فلأن الشعر ديوان العرب وفهمه أيام الناس .... ولا تفتقر عنه ليلا ولا نهارا ....

1- عصام عبد الرزوف : مرجع سابق ، ص 41 .
2- ابو اسحق ابراهيم بن محمد الاصطخري : المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر ، مراجعة محمد شفيق ، دار القلم (1961) ، ص 45 ، عمران الفيحاء ، ص ص 151 ، 152 ، .
3عبد الله موسى: مرجع سابق ، ص 65 .
4- مصطفى عبد الله شيحة : مدخل إلى العمارة الإسلامية ، مطابع الطوبجي التجارية ، ص 58
5- عبد الرحمن بن خلدون : العبر : دار الكتاب اللبناني (بيروت ، 1956) ج 1 ، ص 308 .
6- محمد كرد علي : خطط الشام ، م5 ، 6 ، ص286.
7- نعمان قساطلي : مرجع سابق ، ص 116 .
8-محمد كرد علي .مرجع سابق ، م 5 ، 6 ، ص286.
9 - عصام عبد الرزوف : مرجع سابق ، ص 98 .

وأحملـــة علي طلاقة الوجه ، وحسن المعشر ، وكضم الغيظ ، والوفاء بالعهد ..."[1] وكانت حفلات الـــزواج ، يكثـــر فيها المرح والطرب ، وتقام فيها الولائم وقد وصفت إحدى هذه الحفلات بأن دعي أليها أناس كثيرون ارتدوا ثيابا فاخره ، واستقبل أهل العروسين الزوار ، وجلس الناس علي صفين ، يأكلـــون ألـــوان مختلفة من الطعام ، وخرج من يعزف منهم علي العود وآخر علي المزمار ، وكانوا يلقوا عليهم الدراهم [2] .

وقد أورد احدهم وصفا لزواج أم الحكيم من عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك، في حياة جده عبدالملك،ذكر أن القران جاء في مجلس عبد الملك ، الذي آمر بحضور الشعراء ليهنؤ بالعقد فدخل جرير وعدى بن الرقاع وهنا العروسين ،واجزل عبد الملك لهم العطاء وأمر لكل من حضر من الحراس والكتاب بعشرة دنانير[3] ، أما عن الطعام فقد استعمل الناس في دمشق في العهد الأموي القوط والملاعق المصنوعة من الخشب والفخار ،وبدأ الناس يجلسون على موائد حولها كراسي ، ويذكر أن الخليفة معاوية وسليمان بن عبد الملك كانا يحبان الطعام ويتفننان في اختيار ألوانه[4]، وكان الطعام يقدم على موائد يكسوها مفرش من القماش [5] وكان طعامهم في العهد الأموي من الإوز والدجاج ،والفالوذج و الشاف ،كما حليت موائد الخلفاء بأطيب الطعام والشراب [6].

أمـــا عـــن الملابـــس فقـــد اختلفت في العهد الأموي عن العهد الراشدي، حيث عرفوا في العهد الراشـــدي بالبـــساطة، فلبس أبي بكر الشملة والعباءة، ولبس عمر خشن الملبس، وعرف بكثرة رقع ثـــوبه[7] أمـــا عهد الأمويين فقد تنوع تبعا للثروة والناس والمركز الاجتماعي ونوع عملهم ويذكر أن لكل قوم زيا ، فتختلف ملابس الفقيه والكاتب عن ملابس الجندي إذ كانوا يلبسون القمصان التي تمتد إلى ما تحت الركبه ،فوق سراويل بينما يلبس الفرسان ستر وسراويل ،ويضعون على رؤوسهم الخوذ ويلبس القضاة القلانس العظام ، كما كانت هناك ملابس خاصة باللهو والطرب والرياضة[8] .

وكانـــت ابـــرز ملابـــس كبار العرب في دمشق في العهد الأموي ، تتكون من الحلل والقمصان والطيالـــسه و العمـــائم ، بيـــنما الـــسكان من غير العرب كانوا يلبسون العباءات الفضفاضة ، وعلى رؤسهم العقال أو الكوفية ذات اللون الأحمر أو الأصفر[9] ، وتميزت ملابس الدمشقيين زمن الأمويين بالطـــرز التـــي أخذوها عن الروم ، فكانوا ينقشون أسمائهم أو علامات تميزهم على ملابسهم بخيوط من الذهب ، وللخلفاء دور خاصة تسمى دور الطرز ولبس الولاة و العمال والجند زيا كتب عليه اسم الخلـــيفة [10] ويـــضعون العمائم فوق رؤوسهم وتختلف تبعا للمركز الاجتماعي والعلمي ، وقد حافظ العرب على لبس العمائم حيث قالوا : مازالت العرب عربا ما لبست العمائم وتقلدت السيوف ،ويروى

1- ابن قتيبه الدينوري ، مصدر سابق ، ص 317
2 - عصام عبد الرؤوف : مرجع سابق ، ص 98 .
3:- نفس المرجع ، ص100 .
4:- شوقي ابو خليل: مرجع سابق،ص416..
5:- سيد أمير علي :مرجع سابق ، ص 191 .
6:- علي إبراهيم حسن: التاريخ العام ، ص 556..
7:- شوقي أبو خليل : مرجع سابق، ص 413.
8:- عصام الدين : مرجع سابق ،ص 100 .
9:- سيد أمير علي : مرجع سابق ، ص ص176،177.
10:- عبد الرحمن بن خلدون :العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج 1 ، ص 201.

آن للخلفـــاء عمة وللفقهاء عمة وللروم النصارى عمة [1] وتأنق الأمويون في ملبسهم ، فكان معاوية يلـــبس الملابـــس الدبيقية [2] وشاع الوشي الذي كان يجلب من اليمن والكوفة و الإسكندرية في عهد ســـليمان بـــن عبد الملك ،واتخذ الناس منه جلابيب وأرديه وسراويل وعمائم [3] أما الخليفة عمر بن عـــبد العزيز فكان يتبسط في لباسه وكانت ثيابه التي يخطب بها في مسجد دمشق تساوى أثنى عشر درهمـــا وتـــتكون من قباء وعمامة ورداء وقميص وقلنسوة وسروال وخفين [4] وقبل خلافته كان له ثوب يساوى 500 دينار وكان يستخشنه، فلما ولى الخلافة كان يؤتى له بالثوب الخشن وثمنه اقل من (درهـــم) ،فيقول أتوني بأخشن منه واقل ثمنا [5] ويذكر انه لم يكن من بين خلفاء بنى أميه البس ولا أعطر من هشام بن عبد الملك[6].

أمـــا ثياب المرأة فكانت تتكون من سراويل فضفاضة، وقميص مفتوح عند الرقبة، وعليه رداء قصير ضـــيق يلبس عادة في الشتاء، وإذا ما خرجت من بيتها ارتدت ملاءت طويلة تغطى جسمها، وتحمى ملابسها من الطين، وتلف رأسها بمنديل[7].

4:- الموسيقى والغناء ووسائل التسلية:-

" الغـــناء طبـــيعة في النفوس لانه لغة العواطف والقلوب، ولكل أمه نوع من الغناء وكان الغناء عند العـــرب علـــى ثلاثة أوجه، النصب والسناد والهزج، أما النصب فغناء الركبان والحيات، واما السناد فـــاللحن الثقـــيل ذو التـــرجيع الكثيـــر النغمات والنبرات، وأما الهزج فهو الخفيف الذي يرقص عليه ويصحبه الدفة والمزمار فيثر الطرب والسرور.....* [8].

وعـــرف العـــرب فـــي الجاهلـــية الغناء، ولكن اختلف الغناء بعد الفتوحات الإسلامية الكبرى ، واختلاط العرب بسكان الأمصار المفتوحة ، وقيام الخلافة الأموية اختلف الغناء عماء آلفه العرب من قـــبل، إذا اصـــبح فنا منظما له رجاله واصحابه ومعلوه، وازدهر في العهد الأموي ازدهارا عظيما، حتـــى حفلـــت كتب الأدب والتاريخ بذكر أخبار المغنين كابن سريج ،وحنين الحيرى ،وطويس وهو أول من غنى في الإسلام ،ومن المغنيات جميلة وعزه الملاء وحبابه وغيرهن [9].

وبعـــد أن خلـــدا العـــرب إلـــى التحضر والراحة، وما ظهر منهم في حب الطرب والغناء، فكثر المغنون والمغنيات من الموالي واصبحوا يفدون إلى دمشق من مكة والمدينة ليغنوا بها ألحانهم [10]

وقـــد أنـــف بعض الخلفاء الأمويين الغناء، وعيبوا الناس الذين يميلون أليه والى استماعه فقد كان الخلـــيفة عبد الملك يكره الغناء حيث قال " قبح الله الغناء، ما أوضعه للمرء وأحرجه للعرض وأهدمه

1:-أبو عثمان الجاحظ: مصدر سابق ، ج2 ، ص ص 43 ، 60 .
2:- أبو منصور الثعالبي: مصدر سابق ، ص15 .
3:-شوقي أبو خليل مرجع سابق، ص414 كذلك المسعودي ، ج 1 ،ص 418.
4:- أبو الحسن المسعودى : التنبيه والأشراف ، ج7 ، ص 381..
5:- أحمد بن محمد بن عبد ربه : مصدر سابق ج5 ، ص 170 .
6:-نفس المصدر ، ج5 ، ص 180 .
7:- احمد شلبى : موسوعة الحضارة الإسلامية ، الحياة الاجتماعية في الفكر الإسلامي ،مكتبة النهضة المصرية (القاهرة ، 1986) ج 7 ، ص 181 .
8:- احمد شلبى ، مرجع سابق ، ج7 ، ص 181 .
9:- على إبراهيم حسن ، التاريخ العام ، ص ص555،556..
10:- سيد امير علي : مرجع سابق ، ص ص 187 ، 188 .

للشرف... [1] " أما الوليد فقد كان يحب الغناء والطرب ويذكر انه بعث في طلب المغنين من مكة[2] أما عمر بن عبد العزيز فيقال انه لم يستمع إلى حرف من الغناء منذ أن توالى زمام الخلافة واما يزيد بن عبد الملك فكان ميالاً لسماع الأغاني، ويقضي معظم أوقاته في الطرب واللهو ، ولديه جاريتان تتقنان الغناء هم سلامه وحبابه[3].

ولكن كان تشجيع الوليد بن يزيد للمغنين وتقريبهم له قد فاق تشجيع كل الخلفاء ، حتى انه لم تجتمع على باب خليفة منهم مثلما اجتمع على بابه وكان جزيل العطاء لهم [4] ، فبعد توليه الخلافة بعث بطلب المغنين من الأمصار الإسلامية ولم ينشغل من ظهور الدعوة العباسية في خراسان ، واستاء الناس من انصراف الوليد إلى الغناء و الطرب ، وتركه لشؤون الحكم فكتب يزيد بن أبي مساحق مؤدب الوليد شعراً وأعطاه إلى إحدى جواري الوليد ،فغنته له فرد أليه الوليد " أن في ذلك صلاحي وفلاحي ورشادي "[5] ،وكان حين يستمع الخلفاء الأمويين للغناء يكون بينهم وبين المغنين ستاراً ،ولا يخرجون أمامه وذلك حتى لايرى الندماء ما يفعله الخليفة إذ ما أعجبه الغناء وإذا ما اندفع صوت المغنية من خلف الستارة حذرها صاحب الستارة بقول :حسبك ياجاريه كفى اقصري. [6] ، بلغ الاهتمام بالغناء في دمشق حداً كبيراً، لدرجة أن الفتية كانوا يذهبون إلى بيوت المغنيات لسماع الأغاني [7] ومن اشهر المغنين طويس، وأبو مروان الغريض ، وبرج الأفق وسلامه وحبابه وغيرهم ، ومن الآلات المستخدمة الصنج ، والطنور والدريج وله أوتار كالطنبور والمزمار [8] ، كما ولع الأمويين بالشعر والنوادر، والقصص التاريخية والأخبار القديمة ،وروى أن معاوية استدعى عبيد بن شريه من اليمن ليسامره ويقص عليه أخبار

الأولين [9] وأن معاوية كان "يسمر إلى ثلث الليل في أخبار العرب وأيامهم والعجم وملوكهم وسياستهم لرعيتهم .... ثم يدخل فينام ثلث الليل ، ثم يقوم فيحضر الدفاتر فيها سير الملوك وأخبارها والحروب والمكايد ، فيقرأ ذلك عليه غلمان له مرتبون ، فتمر بسمعه كل ليله جمل من الأخبار والسير والآثار وأنواع السياسات "[10].

وقد قضى خلفاء وامراء بنى أميه أوقات فراغهم في لعبة الشطرنج [11] كما يعتبر الصيد الذي عرف به يزيد ابن معاوية من وسائل التسلية التي عرفت في ذلك الوقت [12] ويعد سباق الخيل من أهم أنواع التسلية للناس في دمشق على اختلاف طبقاتهم ، وقد حضي باهتمام بعض الخلفاء الأمويين

1:- أحمد بن محمد بن عبد ربه : مصدر سابق ، ج 7 ، ص 50.
2:- أبو فرج الأصفهاني ، الأغاني ،دار الكتب المصرية (القاهرة ،1935) ج 15 ، ص ص 138،140 .
3:- عصام الدين : مرجع سابق، ص102 .
4:- نفس المرجع : ص ص 102،103 .
5:- أبو فرج الأصفهاني : مصدر سابق، ج 7 ، ص ص 69 ، 70 .
6:- شوقي أبو خليل: مرجع سابق ، ص 404.
7:- الأصفهاني:مصدر سابق، ج3 ، ص 283 .
8:- شوقي أبو خليل: مرجع سابق ، ص404.
9:- عصام الدين : مرجع سابق ، ص104 .
10:- أبو الحسن المسعودي: مروج الذهب ، ج 3 ، ص ص41 ، 40.
11:-بشير رمضان التليسي : مرجع سابق ، ص212.
12:- أبو الحسن المسعودي: مروج الذهب ، ج 2 ، ص 38 .

، فالخليفة سليمان أمر الناس بأن يتسابقوا بالخيل ، ولكنه توفي قبل أن تجرى الحلبة ، وتولى الخلافة عمـــر بن عبد العزيز فأبى أن يجرى السباق فقيل له يا أمير المؤمنين تكلف الناس مؤونات عظام فقد جـــاؤا مـــن بـــلاد بعيده ، وفى السباق غيظ لعدونا ولكنه رفض وظلوا يكلمونه حتى وافق على ذلك واجزل العطاء للفرسان الذين فازوا في السباق [1].

وكـــان هـــشام بـــن عـــبد الملك الذي أقام مرة حلبة لأربعة آلاف من الخيول ، من عشاق الخيول وتنظـــيم مـــباريات لهـــا بالرغم من اعتراض الحاشية على ذلك لضخامة العدد فقالوا له : أن بعضها يحطـــم بعضا فلا يتسع له طريق غير انه اشرف بنفسه على توسيع طريق صالح، ثم جرت المباراة بحـــضور جمهور سكان دمشق واثر ذلك نظم مهرجان شعري ارتجز فيه الرجاز ما يلائم المقام من مدح الفرس أو لمجموعة خيل"[2] .

5 :- المرأة العربية في دمشق وأثرها في المجتمع الدمشقي:-

أخذت المرأة العربية مع بزوغ شمس الإسلام ، تنعم بقسط وافر من الحرية ، وبمطلع عهد جديد ، ذلـــك أن الإسلام حيا المرأة بالكثير من التقدير ،ورفعها إلى المكانة السامية الجديرة بها في المجتمع ،واحاطها بالحماية ،وكفل لها حياة راضيه مرضيه[3] .

فكانـــت المـــرأة الدمشقية في العهد الأموي تتمتع بالحرية ،ولم تظهر مشكلة الحجاب إلا في عهد الوليـــد بن يزيد ،فهو أول من اتخذ نظام الحريم في قصره [4] وكن نساء دمشق يسمعن خطب الفقهاء والخلفـــاء ويتعلمن الفقه والتفسير والشعر وفنون الأدب ،ويعلمن أولادهن[5] ومن نساء دمشق اللآتي كـــان لهـــن مركـــز مرفوق في المجتمع وتأثير في سير الحوادث ، أم الدرداء الصغيرة ،فكانت تلقى دروســـاً فـــي مسجد دمشق ،وبلغ من علو منزلتها أن عبد الملك بن مروان كان يحضر مجلسها وهو خليـــفة[6] بـــل كانت توجه له النصائح الدينية [7]كما اشتهر من بين نساء دمشق في العهد الأموي أم البنـــين ابنة عبد العزيز ابن مروان ، زوجة الوليد بن عبد الملك وهى معروفه بفصاحة اللسان وقوة البلاغة والحجة وبعد النظر ،وهى التي دفعت الوليد للقيام بعدة أعمال جليلة وكان يستشيرها في مهام الأمور[8] .

وتعـــد فاطمة بنت مروان ، من اشهر الشخصيات النسائية في دمشق زمن الأمويين ،وكان الأمراء الأمويـــون يختـــصمون أليها في خلافاتهم [9] وكانت عائشة بنت طلحه بن عبد الله من النساء اللاتي نـــبغن فـــي الأدب وأيام العرب والنجوم ، وكانت زوجه للوليد بن عبد الملك ، ويذكر أنها وفدت إلى هـــشام بـــن عبد الملك ،فبعث إلى شيوخ بنى أمية وقال أن عائشة عندي فاسمروا عندي الليلة فما

1:- عصام عبد الرؤوف : مرجع سابق ، ص 105 .
2:- إبراهيم حركات ، مرجع سابق ، ص242 ، كذلك سيد أمير علي : مرجع سابق ، ص 188 .
3:-على إبراهيم : مرجع سابق ، ص 553 .
4:- أبو الحسن المسعودى: مروج الذهب ، ج 2 ، ص ص 188،189 .
5:- عصام الدين : مرجع سابق ،ص105 .
6:- أبو الفداء بن كثير: مصدر سابق ، ج 9 ، ص 66 .
7:- نفس المصدر ، ج 9 ، ص 47 .
8:- أبو الفرج الأصفهاني:مصدر سابق ، ج 5 ، ص 79 .
9:- نفس المصدر ، ج 9 ، ص ص 255،256 .

ذكـروا شـيئا عـن أخبار العرب واشعارهم وأيامهم ألا افاضت معهم فيه ،وما طلع نجم ولاغار ألا سمته ،فأمر لها هشام بمائة آلف درهم [1].

وكانـت المصاهرة عند العرب بمثابة التحالف – أن صح التعبير – حيث تزوج معاوية بن أبي سفيان مـن ميـسون الكلبية، فعلا شان بنى كلب في بلاد الشام، وظلوا على هذا الحال إلى عهد يزيد لأنهم أخـواله[2] وعلـت مكانة بنى مخزوم فى خلافة هشام لأن أمه منهم وزاد في عطائهم، بل كان ينسب إليهم أحياناً، إذ سمى بأسم جده هشام بن إسماعيل المخزومى [3] .

أمـا عن تقاليد الزواج في دمشق، فكان العرب يفضلون الزواج من القرشيات[4] ،وان لم يتحقق فيتـزوجون بعـربيات وجرت العادة أن يبدأ الزواج بالخطبة ثم مرحلة الصداق والذي يختلف بحسب ثروة الزوجين ،ومكانتها الاجتماعية فقد تزوج يزيد بن عبد الملك من سعده بنت عبد الله بن عمر بن عـثمان على صداق قدره عشرين آلف دينار[5] كما كانت بأستطاعت الشخص في دمشق أن يتزوج بصداق يقل عن دينار ،وكان العرب يؤدون الصداق نقدا وعينا إضافة إلى بعض الهدايا العينية[6].

1:- نفس المصدر ، ج 11 ، ص 189.
2:- فلهوزن : مرجع سابق ، ص ص 126،127.
3:- أبو الحسن المسعودي: التنبيه الأشراف ، ج11 ، ص 196.
4:- عصام عبد الرؤوف : مرجع سابق ، ص 108 .
5:- أبو الفرج الأصفهاني: مصدر سابق ، ج15 ، ص 124 .
6:- عصام عبد الرؤوف ، مرجع سابق ، ص99 .

ثانياً:- الحياة العلمية في دمشق زمن الأمويين :-

أهتم الإسلام بالعلم وحض على التعلم والتفقه والاستزادة العلمية وكان مطلع أول سورة من القران الكريم تدعو له ، وقد دعا الله عز وجل إلى العلم في اكثر من مائة وخمس وثمانون آية تحض على التعليم ، ومنذ بداية الدعوة طلب الرسول"ﷺ" من المسلمين تعلم القراءة والكتابة ، كما طلب منهم تعلم اللغات الأجنبية كالفارسية والبيزنطية والعبرية حيث قال للمسلمين" من تعلم لغة وقوم أمن شرهم ".

ومما يشير إلى اهتمام المسلمين بالعلم أن الرسول "ﷺ" بعد معركة بدر اشترط على كل أسير من قريش أراد أطلاق سراحه أن يعلم عشرة مسلمين أصول الكتابة والقراءة [1] وبعد مضى عهد الفتوحات واستقرار الدولة العربية الإسلامية، أخذ المسلمون بحضارة الدول التي فتحوها كالفرس والهند وبيزنطة حيث كان لهذه الدول مدارس راقية تدرس فيها العلوم المختلفة، فأستعان العرب بأساتذة هذه المدارس لتعلم حضارات الأمم المجاورة ، فقاموا بترجمة تلك العلوم التي اكتسبوها إلى اللغة العربية ،وما لبثوا أن طوروا هذه العلوم وأتوا بنظريات جديده وصححوا بعض النظريات في الفلك والعلوم النظرية[2] وسوف نتحدث عن العلوم التي ظهرت في هذه الفترة المنوطة بالبحث وبتحديد العلوم التي ازدهرت في هذه الفترة ،مثل الكيمياء والطب.

أ :- العلوم العقلية :-

1: الطب :

يتصل الطب الإسلامي بالإسلام كدين اتصالاً مباشراً ،من خلال الأوامر التي جاء بها القرآن الكريم والحديث الشريف وحول حفظ الصحة وغيرها من الموضوعات المختلفة المتعلقة بالطب بطريقة أو بأخرى فهناك آيات كريمة تتعلق بصحة الأشخاص وعادات الغذاء والوضوء وكلها تتصل بالطب ، وقد اعترف كثير من المستشرقين – الذين تناولوا موضوع الطب عند المسلمين وخاصة البعيدين عن التعصب الديني والتحيز – بالصلة الوثيقة بين الطب والدين في الإسلام ، وخاصة جورجيودا – ميلانوا حيث يقول آن الفرض والواجبات وغيرها من سنن ومستحبات ، تتصل بالصحة في الإسلام ، وترمى إلى إصابة هدفين وتحقيق غايتين في آن واحد غاية دينية وغاية صحية " ، "كما ذكر رينيه ساند ، في كتابه – نحو الطب الاجتماعي – أن تعاليم الإسلام الدينية تحسن الصحة ،فهي تدعوا إلى القناعة وعدم الإسراف في الأكل والشرب والنظافة والاغتسال بالماء الطاهر ،خمس مرات في اليوم قبل الصلاة فان الصلاة مجموعة حركات رياضية وان الإسلام يأمر بتجريد المرضى المصابين بأمراض معدية ،وان العلوم الإسلامية خصصت شطرا كبيرا من أبحاثها لحفظ

1:- حسان حلاق :مرجع سابق ،145 .
2:- فاطمة قدورة الشامي :مرجع سابق ،ص245 .

الـــصحة " [1]، واهـــتم الإسلام بالتبحر في علوم الطب واشتهر من الأطباء الملمين فى ذلك العصر الطبيب الشاعر الحارث بن كلده* الذي ولد بالطائف ودرس الطب فى بلاد فارس ،وغيره[2] .

اهـــتم الأمويـــون اهـــتماما كبيرا بالأطباء وخاصة بعد أن امتد ملك دولتهم مابين سمرقند وأقاصي الأندلس أصبحت مدينة دمشق عاصمة الأمويين ومركزا للثقافة والعلم، خاصة بعد أن اهتم الأمويون بنقل العلوم اليونانية القديمة الفارسية والهندية إلى اللغة العربية حيث أن دمشق كانت تزخر بالمدارس الـــسريانية، فأســـتعمل الأمويـــون المدرسين السريان لتحقيق هذه الغاية [3] ، بدأ الطب يتأثر بالاتجاه اليونانـــي منذ مطلع الدولة الأموية [4] قد اجتهد السريانيون السوريون فى نقل العلوم اليونانية وخاصة المـــنطق والطـــب ، وظهر امتزاج بين الثقافة السريانية والثقافة العربية بشكل واضح ، وأول من بدأ بتـــرجمة المؤلفات اليونانية فى العلوم المختلفة هو خالد بن يزيد حيث أمر بجلب جماعة من الفلاسفة اليونانيـــين ، وأمـــرهم بالترجمة من اليونانية والقبطية إلى العربية [5] كما اهتم الخليفة الزاهد الورع عمـــر بـــن عبد العزيز بالترجمة ، حيث أمر ماسرجويه اليهودي ، بتفسير كتاب اهر بن أعين القس إلـــى العربية ، الذي وجده الخليفة عمر بن عبد العزيز فى خزائن الكتب فأمر بإخراجه ووضعة فى مـــصلاه واســـتخار الله فـــى إخراجه إلي المسلمين للانتفاع به ، فلما تم له فى ذلك أربعين صباحا أخـــرجه ألـــى الناس وبثه فى أيديهم [6]، بلغ اهتمام الدولة الأموية بالطب والتطبيب أنهم أول من بنى البيمارســـتانات فى الإسلام ودار للمرضى ، حيث يذكر أن الوليد بن عبد الملك هو من آمر ببناء أول بيمارســـتان ســـنة88هـ /706م فـــى دمـــشق وجعـــل فيه الأطباء وأجرى لهم الأرزاق وامر بحبس المجذومين واجرى عليهم وعلى العميان الأرزاق[7]

كـــان لتـــشجيع خلفاء بنى أمية اثر في تقدم حركة الترجمة ، هذه الحركة التي ازدهرت فيما بعد علـــى يـــد الخلفاء العباسيين ، والتي أدت إلى نهضة علمية شاملة ،إذ حذا العباســيون حذو خلفاء بنى أمية في تشجيعهم لحركة الترجمة و النقل [8] .

ولابـــد أن نشير إلى اشهر الأطباء الذين عاصروا الدولة الأموية كما لابد لنا الإشارة إلى اهتمام بنـــى أمية بالأطباء السريان ،وغير العرب ،وتشجيعهم على ممارسة الطب بعيدا عن التعصب الديني والأطباء هم :-

---

1:- فرج محمد الهوني : تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية ، رسالة دكتوراه ،جامعة قار يونس ،1984 م ، ص ص18 -19 .
2:- فاطمة الشامي : مرجع سابق ص248 .
* "اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الانسن من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الانسن مالم يعلم " سورة العلق ، اية 1 – 5 ، ص 597 .
*:هو من الطائف من بنى ثقيف درس الطب فى فارس ثم رجع ألى الجزيرة العربية واشتغل بالطب ثم استدعاه معاوية ليستشيره وقد سأله معاوية ((ما الطب
يا حارث فقال الازم يا أمير المومنين بعن الجوع)) وقد كانت له بعض الوصفات الطبية ، واطبها تصلح من الأمراض والمحافظة على الصحة ، راجع
كتاب خليل داود الزرو: الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة دار الآفاق (بيروت -1971) ص184 .
3:-فرج محمد الهوني : تاريخ الطب فى الحضارة العربية الإسلامية ،دار الجماهيرية (مصراتة -1986) ،ص49 .
4:-عمر فروخ : مرجع سابق ، ص196 .
5:- فرج محمد الهون: مرجع سابق ،ص50 .
6:-أبو داود سليمان بن حسان بن جلجل :طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق فواد سيد مطبعة المعهد الفرنسي لاثار الشرقية (القاهرة -1955) ص61
7:- عبد المنعم صلو : تعليم الطب عند العرب ،أبحاث المؤتمر السنوي الثالث للجمعية السورية لتاريخ العلوم تحرير حمد يوسف الحسن ، (المنعقد بحلب -1978) ص268 .
8:-فرج محمد الهوني : رسالة دكتورة ، ص30 .

1:- **ابن أثال** : وهـو طبيب نصراني من أشهر أطباء دمشق ،اصطفاه معاوية بن أبي سفيان لنفسه وقـربه ، حـيث كان العرب يحترمون العلماء والأطباء ، مهما كانت ديانتهم وجنسياتهم ، وقد كسب هـذا الطبيب ثقة الخليفة معاوية بن أبي سفيان لما له من معرفة بالأدوية المركبة والمفردة كما افرز ما يحتوى منها على سموم قاتلة [1] ، وتذكر بعض المصادر اتهامات حول هذا الطبيب حيث يقال إن معاويـة استعان به للقضاء على خصومة السياسيين ، حيث يذكر أن معاوية عندما أراد تنصيب ابنه يـزيد لولاية العهد لم يشاء أن يجبه الناس بتنصيب ولده بنفسه ، ويجعل الخلافة ملك وراثي ، فسأل معاويـة الناس في مجلسه وقال :- من ترون أن يخلفني وهو يضن أنهم سيفهمون ما يقصد ويقولون يزيد ولكن الناس جروا على السجية وقالوا عبد الرحمن
ابـن خالـد بن الوليد ، فخاف معاوية أن يخلق عبد الرحمن هذا المتاعب ليزيد فدس أليه ابن الأثال الطبيب فسقاه سما فمات[2].

" إلا أن هـذه الـرواية مشكوك في صحتها، حيث لايمكن لخليفة عظيم من خلفاء المسلمين مثل معاويـة أن يـستخدم مثل هذه الوسيلة، وقد أكدت الأحداث التاريخية أن اليهود والنصارى هم الذين لجـأوا إلـى مـثل هذه الوسائل للقضاء على زعماء المسلمين الأفذاذ وبقصد إثارة الفتنة وقد حاولوا إلـصاق هـذه الـتهمة بهذا الطبيب فقط لانه كسب ثقة الخليفة الأموي الذي شجعة حتى اصبح طبيبا عظيما تحت رعاية المسلمين "[3] .

وعمـوما مات ابن أثال في دمشق مقتولا من قبل خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد، الذي قدم إليه من مكة ومعه مولى له اسمه نافع وقتلا بن أثال [4].

2: **أبـو الحكم** :- كان طبيبا نصرانيا ، وعالما بأنواع العلاج والأدوية وكان يستطبه معاوية بن ابي سفيان ويعتمد عليه في تركيبات الأدوية ، وتذكر المصادر أنه عمر طويلا حتى تجاوز المائة سنه [5] ويـبدو أن بعـثات الحـج التي كانت زمن معاوية ترافقها بعثه طبيه حيث يذكر ان معاوية سير أبو الحكم مع ابنه يزيد طبيبا إلى مكة وذلك عندما سير يزيد أميرا على الحج في أيامه ، كما تذكر بعض المـصادر انه خرج مع عبد الصمد بن على بن عبد الله بن العباس إلى مكة مطببا له،وتوفى بدمشق سنة مائتين وعشره[6].

3 :- **الحكم الدمـشقي**:- وهو أبن الحكم السابق ذكره ، وهو عالما أيضا بالأعمال الطبية والمداواة ،وكان مقيما في دمشق يمارس الطب بتشجيع الأمويين حتى أصبح بارعا في قطع الدم من الجروح، وايقاف النزف [7] .

1:- موفق الدين ابي العباس احمد بن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ،دار الفكر (بيروت ،1956) ج 2 ، ص 24 .
2:- عمر فروخ : مرجع سابق ، ص 196 .
3:-فرج محمد الهوني : مرجع سابق ،ص54 .
4:- عمر فروخ :مرجع سابق ،ص196 .
5:- فرج الهوني :رسالة دكتوراه ،ص32 .
6:-جمال الدين أبي الحسن القفطي : تاريخ الحكماء ، مؤسسة الخانجي ، ص ص178 ،179 .
7:- جمال الدين أبي الحسن القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، دار الاثار (بيروت) ص 123 .

4 :-**عيسى بن الحكم الدمشقي**:-وهو ذو خبره واسعة وتجربة في ممارسة صناعة الطب وقد استطاع علاج الأمراض التي تصيب القولنج ،وهو لايومن بالتنجيم في الطب والتطبيب ،بل يقوم بفحص المريض فحصاً جيدا ،ثم يختار له العلاج المناسب ،وبذلك اشتهر بين الناس بقدرته الفائقة في اختيار العلاج المناسب والفعال[1] .

5:-**نياذوق** :- عاش في صدر الدولة الأموية ، واختصه الحجاج بن يوسف الثقفي في علاجه ، وقد اعتمد عليه ووثق بعلاجه وكان كريم الخلق سريع الخاطر والجواب ،واسع الخبرة في الطب ،له عدة مؤلفات طبية .

ويتضح مما سبق أن الطب العربي خلال العهد الأموي ،اعتمد بالدرجة الأولى على أطباء غير مسلمين ، ولم يظهر أطباء مسلمون مبدعون خلال تلك الفترة ، ورغم ذلك فقد شهد هذا العصر حدثاً عظيما كان له الأثر في تقدم الطب العربي والحضارة العربية الإسلامية وهو ظهور بدايات لحركة الترجمة والنقل ، التي ازدهرت فيما بعد على أيدي العباسيين [2] وعموما لم يكن للعلوم العقلية حظ وافر زمن الأمويين ،بينما نجدهم يميلون لدراسة العلوم الدينية أو المتعلقة بالدين [3] .

2:- **الكيمياء** :- سبقت دمشق غيرها من الأقطار الإسلامية في اهتمامها بالكيمياء أو علم الصنعة ، وذلك لارتباط علم الكيمياء منذ القرن الأول الهجري بعالم قرشي أموي ، وهو خالد بن يزيد بن معاوية [4] ، الذي يعتبر أول شخصية عربية اشتغلت بالكيمياء ، وهو أول شخصية ترجمت له أعمال الكيمياء من اليونانية والقبطية إلى العربية [5] ، ويذكر انه كان جواداً فاضلاً محباً للعلوم ويصفه البعض : انه كان " خطيباً شاعراً وفصيحاً جامعاً جيد الرأي وكثير الأدب ، وكان أول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء "[6] ، وكان يقول عنه الخليفة عمر بن عبد العزيز" ما ولدت أمية مثل خالد بن يزيد ما استثنى عثمان ولا غيره "[7] ولشدة ميول خالد بن يزيد إلى العلم والانشغال به اكثر من أفراد بني أميه الأخرين ، انه كان يلقب " بحكيم بني مروان " ، وذكر بعض المؤرخين أن بني أميه لم تنجب مثله اهتماماً بالعلم ، وإكراما لأهله والمنشغلين به [8] .

" ويذكر محمد سعيد عن بن النديم أن خالد اتجه إلى طلب العلم بعد أن سلبت منه الخلافة لذا تحول إلى دراسة الكيمياء رغبه منه في الكسب منها حتى لا يحتاج إلى غيره ولعل بن النديم قد اخذ هذه العبارة عن إشارات وردت عن مؤرخين سابقين له مثل ابن عبد ربه (340هـ/ 951م) الذي

1:- ابن أبي اصيبعه :مصدر سابق ج 2 ، ص ص 31، 32 .
2:-علي حسن الشطشاط : تاريخ الجراحة في الطب العربي (من القرن 3 – 7 هـ) منشورات جامعة قار يونس (بنغازي ،1999) م 1، ص ص106،108
3:- عبد المقصود نصار ، إبراهيم يونس ،محمد الطيب النجار ، محمد كامل مراد : الموجز الواضح في التاريخ العرب والإسلام ،مطابع دار الكتاب العربي ،ط1 ، ص 68
4:-خليل داود الزرو :مرجع سابق ،ص177 .
5:- جورج قنواتي :الكيمياء العربية ،موسوعة تاريخ العلوم العربية ، اشراف رشدي راشد ، المؤسسة الثقافية العربية (بيروت، 1997) ، ج3 ص ص 1104،1103
6:-مفتاح محمد دياب : مقدمة في تاريخ العلوم في الحضارة الإسلامية ،دار قتيبه (دمشق ،2004) ص227 .
7:-خليل الزرو: مرجع سابق ،ص229 .
8:- مفتاح محمد دياب : مرجع سابق ،ص229 .

تحدث عن جفوة حدثت بين عبد الملك وخالد ، فمنع الخليفة عبد الملك العطاء عن آل يزيد فلما توسط بينهما أحد الأمويين قال له الخليفة أن عطاءه يعطيه لمن يستحقه، أما من رغب عن عطاياه فسيتركه لنفسه ، ويقصد بذلك التعريض بخالد في دراسته الكيمياء ،ومحاولته الحصول على الذهب منها ، إضافة إلى الخبر الذي أورده البعض ، وذلك بعد المشادة التي حدثت بين خالد وأحد أقربائه ، فأراد أن يعرض به فقال انه لما سلبت منك الخلافة ،لم تجد ألا أن تفرغ نفسك اطلب الحديث وقراءة الكتب وعمل الكيمياء الذي لا تقدر عليه ، فمن هذه الإرشادات ورد القول بأن خالد اتجه إلى طلب العلم بعد تنحيه عن الخلافة "[1] .

ومن هنا ابتعد خالد عن الحكم والسياسة ، واتجه إلى دراسة العلوم وخاصة الكيمياء والطب والفلك ، وهي العلوم التي كانت قد بدأت تنتشر عند العرب في ذلك الوقت[2] ، وقد تعلم خالد الكيمياء على يد راهب يدعى مريانوس وهو أحد رهبان مدرسة الإسكندرية الشهيرة [3].

" أما عن المؤلفات التي نسبت له فلم يصلنا منها ألا مؤلفات في علم الكيمياء، إذ لم يعثر على مؤلفات له في العلوم الأخرى التي قيل أن له بها اهتمام ، بل أن ما وصلنا منها بعض الإشارات التي ذكرها بعض المؤرخين مثل الكتاب الذي ذكر أنه ترجم بأمره في علم الفلك ،وكذلك الكره النحاسية التي قال القفطي أن رجلا وجد في مكتبة القاهرة كره نحاسية لبطليموس مكتوب عليها " حملت هذه الكرة من أمر خالد بن يزيد بن معاوية ، وتأملنا ما مضي فكان ألفا ومائتين وخمسين سنه، أما بقية مؤلفاته التي ذكرت في كتب التراث فكلها في الكيمياء ،ومنها السر البديع في فك الرمز المنيع ،فردوس الحكمة وهي منظومة شعريه تحتوى على حوالي ثلاثمائة وخمسة عشر بيتا (315)" وكتاب الحرارات ، وكتاب الصحيفة الكبرى وكتاب الصحيفة الصغرى ووصية ابنه في الصنعة ، كتاب الرحمة وثلاث رسائل في الصنعة احتوت إحداهن على ما جرى بينه وبين مريانس".[4]

و يذكر أحد المؤرخين أن له ثلاث رسائل تضمنت إحداهن ما حدث بينه وبين مريانوس ، وصور تعلمه منه والرموز التي أشار إليها وله فيها أشعار جيده [5] وهذه الرسائل تعتبر أهم مؤلفاته ويبدو أن هذا الكتاب قد قام غالب بتجميعه بعد وفاة خالد بن يزيد (85هـ /704م)[6] .

وقد ذكر المؤرخون الكثير عن خالد بن يزيد وعن اهتماماته بالعلوم وخاصة الكيمياء والطب والفلك ،فعلى سبيل المثال ابن صاعد الأندلسي (ت462هـ / 169م) يعتبر خالد بن يزيد ضمن الذين

1:- تاريخ الكيمياء عند المسلمين ، رسالة ماجستير ، جامعة قار يونس بنغازي ، 15 ,7 ,2003ف ، ص ص80،81 .

2:مصطفى محمد شهاب :مرجع سابق ،ص228 .

3:جورج قنواتي : مرجع سابق ، ص1104، كذلك مصطفى شهاب ، مرجع سابق ص228 .

" وهناك من يذكر أنها تحوي على الفين وثلاثمائة وخمسة عشر بيتا ، راجع عمر الرمي ، وآخرون : تاريخ العلوم الاساسية في الحضارة العربية الإسلامية الهيئة القومية للبحث العلمي (طرابلس ، 1996) ص 693.

4:محمد سعيد :مرجع سابق ، ص ص83،84 .

5:- أبو العباس أحمد محمد ابن خلكان :وفيات الأعيان وأنباء الزمان ،تحقيق محمد محيى الدين مكتبة النهضة المصرية (القاهرة ،1948) ج2 ص 4 .

6:محمد سعيد :مرجع سابق ،ص84 .

برعوا في الفلك والطب ويقول انه كان بصيرا بالطب والكيمياء ،وله في الكيمياء رسائل وأشعار داله على معرفته وبراعته فيها [1].

ومن المشككين بعلم خالد واهتماماته العلمية، المستشرق الألماني يوليوس روسكا ، الذي يقول آن كثيرا مما يروى حول خالد بشان الكيمياء ،وفيما يتعلق باتصاله براهب اسمه اصطفن آو ماريانوس أو مورينوس ليس بثبت ،واما الكتب المنسوبة له فهي منحولة كلها وليست له [2] .

ورغم ذلك فقد لقي علم خالد تأييدا بين الكثير من المؤرخين القدامى والمحدثين فقد ذكر بعضهم أن خالد قام بتحليه ماء البحر وحوله آلي ماء صالح للشرب ، وفقد وصفه آخر بقوله : كان أول فلاسفة الإسلام [3] .

3:- **الفلك و الرياضيات** :- أما عن علم الفلك والعلوم الرياضية الأخرى ، فيذكر أنها لم تنتشر في عهد بنى أمية ، ولم يعرف العرب شيئاً عن علم الفلك قبل العصر العباسي ، اللهم فيما يتعلق برصد بعض الكواكب ،ومعرفة بعض النجوم الزاهرة وحركاتها ،واحكامها بالنظر إلى الكسوف والخسوف [4] .

ويؤكد آخر هذا الرأي فيقول " فبجملة مدة القرن الأول للهجرة وأوائل القرن الثاني لم يزل المسلمون بعيدا عن الفلك وسائر العلوم الرياضية والطبيعية ، ومن الدلائل على ذلك أيضا ما كتبه قدماء المفسرين والمحدثين كلما أرادوا أن يشرحوا شيئاً من علم الهيئه ،فانهم آتوا بما لا يعول عليه من الأخبار في أمر السموات والأرض والكواكب ناقلين ما كان رائجا عند عوام أهل الكتاب آو المجوس وربما الذين اسلموا من أبناء الملل الأخرى مثل وهب بن منبه"[5] .

ب :- العلوم النقلية :-

1:- **علم القراءات**:- يرتبط علم القراءات باللغة من حيث التركيب الصوتي، وبالنحو من حيث علامات الأعراب [6] وكان يطلق زمن النبي (ﷺ) والخلفاء الراشدين لقب على الذين يحفظون القرآن، كما عرفوا بلقب حملة القران، وفى عهد الخليفة عثمان بن عفان سنة 30هـ،آثار الصحابة انتباه الخليفة إلى ما طرأ على قراءة القران بسبب إقبال الأعاجم على القران الكريم من غير أن يكون مدونا ،فكانت عملية التدوين المعروفة بإشراف زيد بن ثابت وتوزيع نسخ محدودة من المصحف العثماني[7] ،وبذلك أصبحت كلمة أو لفظ قراء تدل على عدد محدود من الصحابة الذين

1:-صاعد بن احمد الأندلسي :طبقات الأمم ،مطبعة السعادة (القاهرة) ص ص92,74 .
2:-عمر فروخ : العرب في حضارتهم وثقافتهم ، ص ص193،194.
3:-محمد سعيد :مرجع سابق ،ص90 .
4:-فكري حافظ طوقان :تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك ،دار القلم (القاهرة ،1963) ص109 .
5:-السينور كرلونلينو: علم الفلك تاريخية عت العرب في القرون الوسطى ، مكتبة الثقافة الدينية ، ص ص137،138 .
* ولمعرفة الردود على المشككين في خالد بن يزيد يجب الاطلاع على رسالة محمد سعيد والتي عنوانها علم الكيمياء عند المسلمين ،جامعة قاريونس ،بنغازي 2003 ، ص ص88 ، 90 . .
6:-ابراهيم حركات: مرجع سابق ،ص317 .
7:-ابراهيم حركات :مرجع نفسه ، ص317 .

اشـتهروا بقـراءاتهم وكان لكل منهم مصحف ،وقد بدأت الأمصار تأخذ عن بعض هؤلاء الصحابة ،فالـشام تأخـذ عن أبي كعب ، والمقداد بن الأسود ،وممن اثروا في القراءة في الشام من الصحابة معاذ بن جبل وفضل بن عبيد ، وأبو الدرداء * والذي نزل دمشق وقيل عنه انه مقرىء أهل دمشق وفقيهم" وكان له تأثير كبير على أهل الشام في القراءة والتفسير ،حتى قال عنه أحد أهل الشام "رأيت أبا الدرداء دخل المسجد ومعه من الاتباع مثل ما يكون مع السلطان وهم يسألونه عن العلم .

وقـد ظهـرت عـدة اخـتلافات فـي قراءة القرآن حيث يعتبر كل مصر نفسه هو الصواب ،ومن الاخـتلافات التـي حـدثت في القراءة قبل نسخ المصحف العثماني ما رواة الاعمش عن علقمه قال قدمنا الشام فأتانا أبو الدرداء فقال: أفيكم أحد يقرأ على قراءة عبد الله بن مسعود ، قال فأشاروا إلي ، فقلـت نعـم أنـا :قـال كيف سمعت أبن مسعود يقرأ هذه الآية والليل إذا يغشى " قال :قلت سمعته يقـرأها"والـليل إذا يغـشى والذكر والأنثى "فقال أبو الدرداء وان والله هكذا سمعت رسول الله (ﷺ) يقرؤها [1] وتوفي أبو الدرداء سنة32هـ ،واشتهر بن عامر من بعده الذي ولد سنه80هـ /699م،وتوفى سنه118هـ / 736 م ،بقراءة القران وظل أهل الشام يقرأون بقراءته حتى سنه خمسمائة هجري .

أمـا شـيوخه الـذين قرأ عنهم فمنهم المغيرة بن أبي شهاب المخزومي وقيل انه سمع قراءة عـثمان فـي الصلاة ، ويقال انه قرأ عليه نصف القرآن ، وقيل انه قرأ على أبا الدرداء ، وواثله بن الاسـقع وفـضاله بن عبيد ،وقد خلف أبا الدرداء بحلقته في المسجد ولأبن عامر كتابان في القراءات ،كـتاب اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق ،والثاني هو مقطوع القرآن وموصوله"، ولكن هذه الكتب لم تصل أليناً . [2]

ومـن بعد بن عامر عد عطية بن قيس قارئ دمشق ،ولكنه لم يعمر طويلا بعد أبن عامر لذلك كانت شـهرته قليلة ،حتى أن بعض علماء القراءات يعدون يحي بن الحارث الذماري، وهو تلميذ بن عامر شيخ القراءة بدمشق بن ابن عامر وقد عاش إلى سنة 145هـ/762م [3].

يعـد الخليفة عمر بن عبد العزيز من القراء في دمشق، فقد كان له رأيه في الوقف و الوصل في آية * وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ *[4]

ويذكـر انـه آمـر محمـد بـن مـسلم أن يأمـر القراء أن يسجدوا في الآية التي تقول[5] " إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ "[6]

وكـان بـلال بن سعد السكوني ، شيخ أهل دمشق وقارئهم لأهل الشام ، كالحسن البصري لأهل العـراق ، ويقول عنه الاوزاعي لم اسمع واعظا قط ابلغ من بلال بن سعد وتوفى سنه نيف وعشره ومائه[7].

1:خليل ذاود:مرجع سابق، ص ص33،34،35 .
2:نفس المرجع ، ص ص36،37 .
3:محمد بن محمد الجزري :غاية النهاية في طبقات القراء، مطبعة السعادة (مصر،1923) ج 2 ، ص ص367،368 .
*:- هو أبو الدرداء عويمر بن عامر بن زيد الأنصاري ،توفى سنة32هـ في دمشق . راجع كتاب محمد بن حبان البستي .مشاهير علماء الأمصار بتصحيح ، فلايشهمر مطبعة لجنة التأليف (القاهرة،1959) ص50 .
4:سورة آل عمران آية (7) - ..
5:خليل ذاود :مرجع سابق،ص44 .
6:سورة الانشقاق ، آية (1).
7:شمس الدين محمد بن عثمان الذهبي : سير أعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة (بيروت،) ج 5 ص ص 91،92 .

ومـــن الخطاطـــين زمـــن الأمويـــين الذين اسهموا في تجويد المصاحف وتحسين كتابتها ، خالد أبي السهياج ،حيث كان مشهورا بجمال خطه وقد اختاره الخليفة الوليد بن عبد الملك لكتابة المصاحف [1]

2:- **التفسير**:- بعد أن أصبحت بلاد الشام ولاية عربية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب أرسل إلى بلاد الشام من يعلمهم قراءة القرآن واصول الدين [2] ، فوصل إلى دمشق أبو الدرداء وعبد الرحمن بـــن غـــنم وأقامـــا فـــيها وتخـــرج على أيديهم عدد كبير من التابعين أشهرهم أبو إدريس الخولاني، ومكحول الدمشقي* ،وعمر بن عبد العزيز ،ورجاء ابن حيوه ،وعبد الرحمن الاوزاعي [3] .

ويـــرى أن أبـــا الدرداء كان يدخل المسجد الذي اختطه أبو عبيده عقب الفتح ليقرأ القرآن ويتولى تفـــسيره ،واعتبر فقيه دمشق ومقرئ أهلها وروى عنه اكثر التابعين في الشام ،ومنهم زوجته وجبير بـــن نفيـــر وخالد بن معدان والخولاني ،وعبد الله بن عامر الذي سبق ذكره[4] ، فكان هؤلاء التابعين يفـــسرون ،مـــا غمض من أصول الدين وقواعده لان الناس متفاوتون في فهم اللغة التي يتكلمون بها واســـتيعاب مفـــرداتها وتراكيبها ،خاصة وان القرآن نزل بلغة العرب الفصحى ،كما انه أمن به أقوام غيـــر عـــربيه ،تحتاج إلى فهمه ودراسة معانيه ،وحتى العرب الاقحاح لم يكونوا على مـــستوى ثقافي واحد ليفهموا آياته على قدر سواء .

وقـــد اعـــتمد المفـــسرون إما على تفسيرات الرسول" ﷺ"حيث كان يفسر فرض القرآن للصلاة، وكيفيتها وعددها، وأوقاتها وغيرها من أسس الإسلام،واما عن النقل عن الصحابة الأوائل الذين كانوا يـــرافقون النبي "ﷺ" وإما عن طريق الاجتهاد ،أو عن طريق الكتب السماوية الأخرى [5]، مثل كعب الأحـــبار الـــيهودي الأصـــل الذي تأثر به عبد الحمن بن غنم في تفسيره لقول الله عز وجل "والتين والزيتون"قائلا "التين مسجد دمشق والزيتون بيت المقدس"[6] .

ومـــن اشـــهر المفسرين زمن التابعين محمد بن شهاب الزهري حيث أمره الخليفة عمر بن عبد العزيز أن يفصل له مواضع الصدقات في الأصناف التي ذكرها الله ففعل مدوين أحوال كل منها وما يميـــز التفـــسير في دمشق أو الشام كلها زمن الصحابة هو عدم التشدد في تفسير القرآن الكريم على عكـــس أهل المدينة والميزة الثانية عند الصحابة بالشام هي عدم الخوض في مسائل الكلام أو التفسير القـــائم علـــى الجـــدل ، كذلك تميزوا في زمن الصحابة و التابعين بتأثرهم بلاسرائيليات،وبعد انتقال الخلافة إلى بغداد لم يظهر عالم بالتفسير ذو شأن غير الأوزعي [7] .

3:- **الفقه** :- " فـــي اللغـــة هـــو الفهم والمعرفة ،واصطلاحا معرفة الحلال والحرام وسائر الأحكام الـــشرعية المـــستنبطة مـــن مصادر الشريعة الإسلامية "[8] ،إذن الفقه هو التبحر في الدين الإسلامي ،واســـتنتاج أحكام الشريعة من مصادرها الرئيسية والتي هي القران الكريم والحديث والسنة والمقياس

1:-خليل ذاود :مرجع سابق ،ص45 .
2:- محمد الحسيني عبد العزيز : الحياة العلمية في الدولة الإسلامية، وكالة المطبوعات (الكويت ،1973)ص128 .
3:- أرشيد يوسف بن ارشيد :مرجع سابق ،ص202 .
4:- محمد الحسيني : مرجع سابق ،ص129 .
5:- عمر فروخ :مرجع سابق ،ص ص 56،57،58 .
6:- شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويرى :نهاية الأدب في فنون الأدب،المؤسسة المصرية للتأليف (القاهرة ،1963) ج 1 ص 326 .
*:- اسمه عبد الله بن عامر بن يزيد بن تيم ،ولد سنه 8هـ في بلدة رحاب – البلقان- وانتقل الى دمشق بعد الفتح وتوفى سنة 118هـ ،انظر كتاب ابي العباس احمد بن الخطيب :الوفيات ،معجم زمني للصحابة وأعلام المحدثين والفقهاء والمؤلفين منه سنه 11-807هـ ،تحقيق عادل نويهض ،منشورات المكتب التجاري (بيروت،1971) ص116 .
7:-محمد الحسيني :مرجع سابق ،ص130،كذلك خليل ذاود:مرجع سابق ، ص ص 55،58 .
8:- ارشيد يوسف بن ارشيد :مرجع سابق ،ص215

والإجمـــاع [1] ، ولكونه علم خاص بالدين الإسلامي ، أرسل الخليفة عمر بن الخطاب كبار الصحابة لتعلـيم الـناس أمور الدين ، وذلك بعد الفتوحات الإسلامية التي حدثت آنذاك [2] ، فمن فقهاء دمشق زمـــن الصحابة آو الراشدين ،أبو الدرداء وهو أول من ولى القضاء لها وكان يكره في القضاء الذي يستوجب الحد آن يقر المذنب بذنبه[3] وكان أخر الصحابة الفقهاء في الشام هو عمرو البكالي ، ويقال عـنه "هـذا افقـه مـن بقى على وجه الأرض من أصحاب رسول الله ﷺ" أما عن فقيه الشام زمن التابعـين فقـد طـرأت حـوادث أدت الي الأتساع في مجال الفتوى والاجتهاد ،ومن بين الفقهاء أو أشهرهم أبو إدريس الخولانى ،وعبد الله بن زكريا ،ورجاء بن حيوه ،ومكحول الشامي[4].

وابن موسى الأشدق وهو فقيه دمشق ومرجعها بالفتايا ، وروى عن أبى أمامه وسلمه ، وطائفة ، وقـال عـنه سـعيد بـن عـبد العزيـز كـان أعلـم أهل الشام بعد مكحول ، وتوفى الأشدق سنه 119 هـ / 737م [5].

ومـــن فقهـــاء دمـشق أيضا قبيصة بن ذؤيب ، عاش في العهد الأموي ،وكان من سكان القصر الأموي بدمشق وتولى الكتابة لعبد الملك ،وختم باسمه وروى عنه كتابه في الفرائض[6] ، روى عن عمـــر بـــن الخطاب ، وأبى الدرداء ، وعبد الرحمن بن عوف ،وغيرهم واعد من علماء هذه الامه ، وتوفى سنه88هـ / 699م [7] .

كمـــا يعد الخليفة عمر بن عبد العزيز ،من أعظم فقهاء الشام لما لارائه من نتائج هامه في مجرى السياسة والحياة العامة ،حتى قيل عنه كان العلماء عنده تلامذة ويتضح رأيه من خلال خطبته آلتي قالهـا عند توليه الخلافة أيها الناس :انه لاكتاب بعد القرآن ،ولانبي بعد محمد عليه الصلاة والسلام آلا وأنـــي لـــست بقاض ولكنى منفذ ،ألا وأني ليست بمبتدع ولكنى متبع [8] ومن اجتهاداته فقد أصدر أحكامـــا تـــتعلق بالمـــساجين من حيث حالة السجون ، وتوفير العناية بهم ، وحسن معاملتهم ، ومن الأمـــور آلتـــي اجتهد فيها أيضا زكاة السمك حيث بعث إلى عامله على عمان ،آن لاياخذ من السمك شئ حتى يبلغ مائتي درهم [9] .

ومـــن فقهاء دمشق مكحول بن آبى مسلم المشهور بالدمشقي [10] وهو من الفقهاء التابعين، ويقول عـــنه أبـــو حاتم "ما اعلم افقه من مكحول ولم يكن في زمنه أبصر منه بالفتايا، ولا يفتى حتى يقول: لاحول ولا قوة ألا بالله العلي العظيم.

ويقـــول هذا رأيي والرأي يخطئ ويصيب "[11] ، وذكر أن له كتابين من أعماله هما " السنن في الفقه ،والمسائل في الفقه " ولكن لم يصل أليا منها آي كتاب[12] .

1:- أنور الرفاعي :تاريخ العلوم في الإسلام ، دار الفكر (دمشق،1973) ص ص68،69

2:- فرشيد بن فرشيد :مرجع سابق ، ص ص 219،220 .

3:- خليل داود: مرجع سابق ص86، كنالك محمد الحسيني :مرجع سابق ،ص131

4:- خليل داود :المرجع نفسة ،ص88 .

5:- محمد آل تقى الدين الحسيني : مصدر سابق ، ج 2 ، ص 447 .

6:- مجدي فتحي السيد :تاريخ الإسلام والمسلمين في العصر الأموي ،دار الصحابة (طنطا،1998)ص316 .

7:-شمس الدين محمد بن عثمان الذهبي :سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة (بيروت) ج 4 ص 283 .

8:- خليل داود :مرجع سابق ،ص ص 89,88 ، كنالك محمد الحسيني :مرجع سابق ،ص ص 132,131 .

9:- خليل داود:المرجع نفسه ص92 .

10:- مجدي فتحي السيد:مرجع سابق ،ص316 .

11:- خليل داود : مرجع سابق ،ص ص 99,98 .

12:- مجدي فتحي السيد : مرجع سابق ، ص316 .

4:- **الحديث** :- لأحاديث النبي "ﷺ" مكانه في التشريع الإسلامي ، ولذا فقد لقيت عناية من قبل علماء الفقه والتفسير وغيرهم ،من الصحابة والتابعين ،ومن اشهر رواة الحديث في الشام الصحابي أبو الدرداء [1] كذلك كان قبيصة بن ذؤيب من رواة الحديث في دمشق [2] كما تعد أم الدرداء الصغرى من اشهر رواة الحديث في دمشق روت عن زوجها أبا الدرداء ،وروى عنها سالم بن أبي الجعد وإسماعيل بن عبيد الله في الصلاة والصوم [3].

وكان بعض الصحابة يحرصون على أيراد الحديث بحروفه ،وبعظهم كان يرويه بالمعنى ،وتعزى قلة الأحاديث المروية عن الصحابة الشاميين آلي انهم كانوا يهتمون بالقرآن وتعليمه بالدرجة الأولى ،أو انهم كانوا يقللون الرواية عن النبي "ﷺ" تعمداً ، إضافة إلى انشغالهم بالجهاد ضد البيزنطيين المتاخمين لحدودهم [4] .

وما يميز الحديث في الشام كلها هو قلة الإسناد، وقلة الأحاديث المتعلقة بالسياسة وبالبلاد، وكانوا يقللون الأحاديث التي تبين أن الله يغفر الذنوب الكبيرة، كالزنى مثلاً، حيث أن الإكثار من هذه الأحاديث توحي بأن المحدث يحث على هذه المعاصي وارتكابها ، وما يميزهم عن غيرهم الطريقة التي كان يسلكها المحدثين الشاميين عند رواية الحديث القدسي حيث يذكر أن بعضهم كان يجثوا على ركبتيه [5] ،ومن الجدير بالملاحظة أن الخلفاء الأمويين لم يحاولوا تقريب الفقهاء والاعتماد عليهم كما فعل بعدهم العباسيون [6] .

5:- **التاريخ**:- أنشأ علم التاريخ عند العرب على أساس الرواية الشفهية ،ولاعجب في ذلك حيث كانت الأمية منتشرة بين العرب في الجاهلية ،وحتى بدايات العصر الإسلامي هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، طبيعة المجتمع القبلي عند العرب ، وما كان يسوده من مفاخرة الأفراد بقبائلهم ونسبها ،هذا كله جعل العرب يحرصون على حفظ ورواية مفاخرهم وحروبهم ، ومثالب خصومهم فانتشرت الرواية الشفهية من جيل إلى جيل [7] .

ولذا كان عالم الأخبار في الجاهلية بمثابة المؤرخ ، وذلك الوقت حيث كان يروى الحوادث سواء أكانت تاريخية أو مواقف طريفة ،لذا كان أغلب المعمرين من رواة الأخبار[8] ،ولما كانت هذه الأخبار تحدث بين القبائل كان على الراوية أن يكون عالماً بالأنساب وبالقبائل ومفاخرها ومثالبها [9]

1:-محمد الحسيني :مرجع سابق ، ص130 .
2:- خليل داود :مرجع سابق ، ص ص60 ،64 .
3:- ابو الحسن علي بن محمد المعامري (605هـ) : الحدائق الغناء في أخبار النساء ،تحقيق عائده الطيبي،الدار العربية للكتاب (ليبيا ،تونس ،1978)ص46.
4:- محمد الحسيني :مرجع سابق ،ص131 .
5:- خليل داود :مرجع سبق ذكره ، ص ص 72،73 .
6:- سيده إسماعيل كاشف :مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فية ،دار الراتد العربي (بيروت ،1983) ص30 .
7:- سيده إسماعيل كاشف :مرجع سابق ، ص17 .
8:- خليل داود :مرجع سابق ، ص196 .
9:- سيده كاشف :مرجع سابق ، ص19 .

كـذلك كان الأمر في المجتمعات التي حكمها الأمويون ،حيث عنيت بأساطيرها ووقائعها وكان تـداولها عـن طـريق الرواية الشفهية ، كما تعرف على الكثير من أخبار الفرس وعايشوا اليهود ، فكانت أيام العرب وأنسابهم أول مرحلة في احتكاك المسلمين بالتاريخ [1] .

ومـن بين الأخباريين الذين عايشهم العرب واحتكوا بهم كعب الأحبار ، ووهب بن منبه ، وعبيد بـن شربه الجرهمي ، ويقال أنه وفد على معاوية بن أبي سفيان [2] ، وسأله معاوية عن أخبار الأمم كما سأله أسئلة تتعلق بالتاريخ ثم أمر الكتبه أن يدونوا أقواله ،وبذلك يكون هذا أول تدوين للتاريخ في الشام ،وكافة الأمصار الإسلامية

وعـاش عبـيد إلـى أيـام عبد الملك بن مروان ، وله من الكتب الأمثال وكتاب الملوك وأخبار الماضيين ،ومع إن عبيد بن شريه عاش إلى زمن عبد الملك ألا انه يعتبر جاهليا ،لانه لم يرو السيرة ،وربما لم يشهد الغزوات مع الرسول ولا صاحبه في حياته .

ومـن الأخبار نبين أيضا علاقة بن كريم ، فقد روى عن عبيد بن شريه وكان عالم بأيام العرب وهو مـن سمار يزيد بن معاوية ،وله كتاب الأمثال وهو نحو خمسين ورقة[3] ،وتتلوا هذه المرحلة مرحلة الـسيرة والمغـازي ، حيث بدأ العرب بعد الفتوحات يستقصون أخبار هذه الفتوح، ويثبتون حوادثها وعـن أخـبار النبي وحياته وغزواته (ﷺ) فنجد الصحابة يقصون هذه الأخبار ،دون أن يقصدوا أن يكونـوا مؤرخـين ،لذا نجد أن التاريخ الإسلامي نشأ نشأه طبيعية ،وكان هؤلاء الرواة يسردون هذه الأخبار كالحديث بذكر السند .

ويجدر بنا أن نبين هنا أهم صفات تاريخنا و مؤرخينا ،ومميزات حركة تدوين التاريخ الإسلامي :-

1:- الأصـالة والاستقلال لذن اقتبس علماؤنا الأوائل في الطب والكيمياء وغيرها من العلوم في بداية نهضتها العلمية ، فأننا لا يساورنا شك في أن مؤرخينا لم يكونوا عاله على مؤرخين أخرين .

2:- تـوجه معظم المؤرخين منذ القرن الثاني للهجرة ألي دراسة التاريخ العربي منذ ظهور الإسلام، وعـدم العـناية بدراسة التاريخ العربي قبل الإسلام لذا نجد صعوبة في معالجة مواضيع العرب قبل الإسلام، لعدم توفر المادة الكافية لها.

3:- أدرك المؤرخـين العـرب أن تاريخهم، دخل منذ ولادة الرسول (ﷺ) في مرحلة حاسمة تستحق البحث والكتابة.

4 :- أن النشأة الدينية لطائفة كبيرة من مؤرخينا المسلمين جعلت هؤلاء يشعرون أن اهتمامهم بتاريخ العـرب منذ الإسلام هو تلبية لشعورهم الديني العميق ومتمم للعلوم الدينية التي وأميزوا فيها ، وذلك لان معظـم مؤرخيـنا علماء في شؤون الدين ،فمنهم الفقهاء والمحدثون ، والمفـسرون[4] ، فيبدوا لنا الـتاريخ في ذلك الوقت في جزئه الأكبر علما مساعدا على شرح القرآن ، والحديث ،حيث جمع بين سـير الأنبـياء ، وقصاص الفتوح وتراجم الصحابة وعمل على رواية تاريخ العالم خادما بذلك ألسنه

1:- إبراهيم حركات :مرجع سابق ،ص332 .

2:- محمد عبد الكريم الوافي : منهج البحث في التاريخ والتدوين التاريخي عند العرب ، منشورات جامعة قاريونس (بنغازي ،1998) ص196 .

3:- خليل داود الزور :مرجع سبق ذكره ،ص ص 196،197 .

4:- نور الدين حاطوم ،نبيه عاقل ،احمد طربين ،صلاح منني :المدخل ألي التاريخ ،كلية الآداب (جامعة دمشق ، 1964) ،ص ص 164،165 .

النبوية، ومحتفظا بالمظهر الخارجي للحديث[1] لأنه لم يكن يعرف التخصص بين علم التفسير والحديث والفقه والتاريخ، منذ عهد الراشدين آلي نهاية العصر الأموي، ولم يعرف الأبعد أن اجتازت الحركة العلمية البحث والتنظيم[2]

5:- وما يميز تاريخنا ومؤرخينا هو قل إن سخر مؤرخينا أقلامهم الخدمة ما يحملهم عليه الأمراء.

6:- استعمال التقويم الهجري منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب سنه 17هـ أدخلت الدقة في تسجيل الحوادث التاريخية.

7:- حرص بعض المؤرخين على ذكر المصادر آلتي اخذوا منها معلوماتهم وذلك عن طريق الأسانيد[3]

ومن اشهر الدمشقيين الذين كتبوا في السيرة والمغازى.

محمد بن مسلم الزهري، المتوفى سنه 124 هـ /741م وهو قرشي من قبيلة زهره، درس في المدينة، ونقل بين الحجاز ودمشق واتصل بالخلفاء الأمويين [4] واستقر في دمشق سنه80هـ/ 699م [5] واشتهر بسبعة معارفه، وبانه جمع علم شيوخه في المدينة وكان قوى الذاكرة شغوفا بجمع الأخبار، وكان يقول: ما نشر أحد من الناس هذا العلم نشري ولا بذله بذلي، وامتاز بإقباله على تدوين الحديث والأخبار، ودون كثير من الأخبار والحديث بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك ويروى أحد تلاميذه انه وجد في مكتبة الأمويين بدمشق أكوام من الجلدات التي احتوت على المادة العلمية التي جمعها الزهري [6] ومن اشهر مؤلفاته:-

1:- مغازى رسول الله ﷺ .

2:- نسب قريش: والذي استخدمته مصعب بن الزبير في كتابة نسب قريش.

3:- أسنان الخلفاء الأمويين ومدة حكمهم وألف هذا الكتاب للوليد بن عبد الملك. [7]

ومن اشهر تلاميذه محمد بن إسحاق المتوفى سنه151هـ ،وقد رحل آلي العراق واتصل بالمنصور والف كتابا في المغازى لم يصل آلينا كاملا ،وانما نقله بن هشام بشيء من التعديل [8] .

ج :- العلوم الأدبية :-

1 :- الشعر :- لا يكاد يقاس الشعر في هذا العصر بالشعر في خراسان والعراق والحجاز وقد يكون السبب في ذلك راجعا ، إلى أن القبائل التي كانت تقطن الشام قبائل يمنيه ، لا تبلغ ما تبلغه القبائل المضرية في الشعر ،ولم يكن هناك شاعرا يذكر منها آلا شاعراً واحدا ،وهو عدى بن الرقاع العاملى .

1:- م.غود فروا : النظم الإسلامية ،نقله للعربية فيصل السامر ،صالح الشماع (دار النشر للجامعين) ص226 .
2:- سيده كاشف :مرجع سابق ،ص32 ،كذلك كتاب الموجز الواضح في تاريخ العرب والإسلام، عبد المقصود نصار وآخرون ،ص96 ، كذلك كتاب الموالي في العصر الأموي للمؤلف محمد الطيب النجار ،مرجع سابق ،ص89 .
3:- نور الدين حاطوم ،واخرين :مرجع سابق ، ص ص 166، 175 .
4:- سيده كاشف :مرجع سابق ، ص36 .
5:- صلاح الدين المنجد :معجم المؤرخين الدمشقيين ،وآثارهم المخطوطة والمطبوعة ،دار الكتاب الجديد (بيروت ،1978) ص7.
6:-سيده كاشف :مرجع سابق ،ص37 .
7:- صلاح الدين المنجد :معجم المؤرخين ،ص7 .
8:- سيده كاشف :مرجع سابق ، ص38 .

ورغم ذلك فان شعره لا يقاس بشعر شعراء العراق والحجاز أمثال جرير والفرزدق وعمر بن ربيعه والاخطـل وغيـرهم [1] ، ويؤكد آخر هذا الرأي فيقول " لم يكن في الشام من الأدب إلا ما ينقل مع الوافدين على الخلفاء من أهل العراق والحجاز ،لان لذين كانوا في الشام يمانيون ،فليس لهم ما لعرب عـدنان من الإنتاج الأدبي الذي ورثوه عن الجاهلية "[2] ،وفئة الشام لم تكن شاعره ،مقارنة بالعراق والحجـاز واكثـر ما كان يقال فيها من شعر كان يفد من الخارج ،ونجد ذلك في صورتين الأولى آن يفـد الـشعراء بشعرهم على دمشق ينشرونه بحضرة الخلفاء والثانية عند حدوث حادثه تقتضي نظم الـشعر[3] ، كمـثل الحـروب التـي نشبت بين اليمنيه والقيسية التان نزلت بالشام بعد الفتح العربي ،واصـطدمت مـصالحها مع القبائل اليمنيه فأوقدت هذه الحرب نيران الشعر من الهجاء ،والفخر بين الـشعراء ولكـن هذا الشعر يعتبر طارئا على الشام ،فلولا وفود هذه القبائل – قبائل قيس – ما ظهر ولا اسـتطار ، ومـن شـعراء الحجاز الذين كانوا يفدون إلى دمشق لمدح الخلفاء الأمويين بن قيس الرقيات ،ونصيب ،والاحوص ،وإسماعيل بن يسار وآبو العباس الأعمى ومن نجد الراعي ** وأرطاه بـن سـهيه ،وابـن ميادة ،ومن العراق جرير *** و الفرز دق ****والأخطل ***** وغيرهم ، وكان هـؤلاء الشعراء جميعا وافدين على دمشق ،ولم يستقروا فيها وانما كانوا يلمون بها ،ثم يعودون إلى ديـارهم ، ومـن اشـهر الأسر آلتي عنيت بأشعر في دمشق ،وهي العشيرة الأموية نفسها حيث نظم الـشعر مـنهم ،يـزيد بن معاوية وابن اجيه يزيد بن عبد الملك وابنه الوليد[4] . ويجدر بنا آن نورد بعض الأبيات لبعض شعراء دمشق زمن الأمويين فمنهم عدى بن الرقاع – سابق الذكر – والذي كان مقـدما عن الأمويين وناصراً ومادحا لهم، وخاصة الوليد بن عبد الملك، وعبد الملك بن مروان حيث ناصره في حروبه مع مصعب بن الزبير، فيقول مفتخراً بالنصر.

لعمري لقد أصحرت خيلنا ... بأكناف دجلة للمصعـب
يهزن كل طويل القنـاة ... ملتم النصل والشعـلب
تقدمنا واضح وجهـه ... كريم الضرائب والنصب
أعين بنا ونصيرنا بـه ... ومن ينصر الله لم يغـلب . [5]

1:- شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي ،دار المعارف ،(القاهرة،1963) ج 2 ، ص 165 .
2:- مارون عبود: أدب العرب مختصر تاريخ نشأته وتطوره ،وسير مشاهير رجاله وخطوط أولى من صوره ،دار الثقافة (بيروت ،1968)ص113 .
3:- شوقي ضيف :التطور والتجديد في الشعر الأموي ،دار المعارف (القاهرة ،1959) ص47 .
4:- شوقي ضيف :تاريخ الأدب العربي ، ج 2 ، ص ص 165،166 .
5:- نفس المرجع السابق ، ج 2 ص ص 343،344 .
*الراعي :هو أبو جندل عبيد بن حصين النميري ،وهو من كبار الشعراء والملقب بالراعي لكثرة ما يصف الإبل في شعره ، انظر كتاب الذهبي : سير أعلام النبلاء ج4 ، ص 598 .
* جرير وهو جرير بن عطيه بن الخطفى التميمى البصري ،نفس المصدر السابق ، ج4 ، ص 591 .
** الفرز دق :وهو همام بن غالب بن صعصعه بن ناجيه بن عقال بن مجاشع انظر كتاب :ابن قتيه :الشعر والشعراء ،تحقيق احمد شاكر ، دار الحديث (القاهرة ،1998) ج 1 ، ص 171 .
*** الأخطل هو غياث بن غوث ،التغلبى النصراني .انظر :سير أعلام النبلاء،مصدر سابق ج 4 ، ص 589 .
***** هو ابو داود عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع العاملي ، من بني عاملة ، ويرجع نسبهم الى كهلان ثم الى قحطان من اليمن ، حيث نزحوا الى الشام قبل الاسلام ، أما منزله فقد كان بدمشق وكان من حاضرة الشعراء لا من باديتهم ، وعده بن سلام الجمحي من الطبقة السابعة من شعراء الاسلام ، وكان مناصراً لبني امية ، يرى برأيهم ، ويقول بقولهم ، ويؤيد سياستهم . راجع خليل مردم بك : الشعراء الشاميون ، حقق المخطوطة عدنان مردم ، دار صادر (بيروت) ص ص 15 ، 16 .

وكذلك نورد للوليد بن يزيد بعض أشعاره حيث قال :-

أشهد الله والملائكة والأبـــــرار والعابدين أهل الصـــلاح
أنني اشتهي السماع وشرب الكأس وبغض للخدود الصـــلاح
والنديم الكريم والخادم الفـــــاره يسعى على بالأقـــداح [1] .

فالـشعر الأموي تطور من حيث الغاية ، لا من حيث الأسلوب[2] ، فلولا اثر العامل الديني لقلنا أن الشعر الجاهلي والأموي متعاصران [3] ، فمن حيث الغاية أو الغرض نجد أنه تطور بنوع خاص فـــي الهجاء ولا سيما الشعر السياسي ، فكما ذكرنا ما لبني أميه من شعراء أنصار لهم يفدون عليهم يمدحـــونهم ويمجدونهم ، ويشدون بحقهم في الخلافة فهناك من يرى عكس ذلك ويهجوا بعض خلفاء الأمويين .

ومن صفات الشعر في العصر الأموي الإيجار وقوة التعبير [4] ، كما أن جل شعراء هذا العصر حاولـــوا أن يخلـــصوا أشـــعارهم مـــن الصعوبة إلى السلاسة [5] ،ومن أغراضه ،نشر عقائد الدين ،والهجاء ووصف القتال ، وفتح المدن وحصارها ،والمديح والغزل[6] .

2 :- **النثر الفني** :-

أ:- الخطابة:-

مـــن عـــوامل ازدهار الخطابة في العصر الأموي ، بقاء العرب على سلائقهم اللغوية ،حيث لم تفـــسد ألـــسنتهم بمجاورة الأمم الأجنبية الأخرى، ومخالطة غير العرب ،وكانوا من البلاغة ،والنطق ،وحـــسن البيان ،وجودة الإفصاح ما يجعل المتكلم يستطيع أن يبلغ ما يريد من استمالة الأسماع ،مع الديـــباجة الرائعة ،والرونق البديع ، وقد أشيد بقدرة العرب الخطابية وبلغ به أن رفعهم في الخطابة علـــى كافـــة الأمـــم الأخرى رغم معرفة اليونان للخطابة بأنواعها سواء السياسة أو الحفلية ونشطت عندهم نشاطا واسعا [7] ، إضافة إلى العامل الأول لازدهار الخطابة في العصر الأموي ،فهناك عامل أخـــر وهـــو كثـــرة المصالح واختلاف الآراء والتنافس بين الأحزاب حيث امتاز هذا العصر بظهور معارضة حادة للدولة الأموية أدت بدورها إلى رقي الخطابة [8] ، وهي الخطابة السياسية ،فكما ذكرنا أن الخطابـــة قـــد نمت نموا عظيما ، إذ دارت على لسان كل مؤيد و معارض للدولة ، فكان الخطباء يخطبون الناس محاولين استمالتهم إلى آرائهم داحضين بكل ما بوسعهم آراء خصومهم ، وليس هناك أي ثـــورة أو حزب إلا وله خطباء كثيرون ، فللخوارج خطبائهم وللشيعة خطباء وللزبيريين أيضا ،

1:- شوقي ضيف :التطور والتجديد في الشعر الأموي ، مرجع سابق ، ص297 ، كذلك خليل مردم بك ، مرجع سابق ، ص ص 90 ، 91 .
2:- مارون عبود :مرجع سابق ، ص118 .
3:- و.غود فروا :مرجع سابق ، ص223 .
4:- مارون عبود :مرجع سابق ، ص119 .
5:- مجدي فتحي السيد :مرجع سابق ، ص325 .
6:- مارون عبود :مرجع سابق ، ص119 .
7:- شوقي ضيف :تاريخ الأدب العربي ، ج 2 ، ص 405 .
8:- مارون عبود :مرجع سابق ، ص173 ،كذلك علي محمد حسن : التاريخ الأدبي للعصرين الأموي والعباسي الأول ، دار القومية العربية للطباعة (1965) ، ج 2 ، ص 46 .

وغيـــرهم ، وبالمقابـــل كـــان للدولة خطباء كثيرون يؤيدون بني أميه ،كما كان هناك خطباء يحثون الجيوش على الجهاد في سبيل الله ،وبذلك انتشرت الخطابة السياسية في كل مكان وعلى كل لسان .

ولـــم تكـــن الخطابـــة سياسية فقط ، بل هناك خطباء المحافل ،وقد عرف العرب هذا النوع من الخطابة ،حيث كانوا يقدمون على أمرائهم وملوكهم فيخطبون مثنين عليهم ،ومفاخرين بقبائلهم ونشط هـــذا الـــنوع من الخطابة زمن الأمويين ، حيث فتح الأمويون أبوابهم للعرب ،كي يطمئنوا آلي حسن ولائهـــم لدولتهم ،وكان الخلفاء الأمويون يغدقون عليهم الأموال وأول من فتح لهم الباب من الأمويين معاوية بن أبي سفيان ،وتبعه في ذلك الخلفاء الأمويين .

والنوع الثالث من الخطابة هو خطباء الوعظ والقصص ، وقد نشط هذا النوع من الوعظ والقصص الديـــني ، نـــشاطا كبيـــرا ، فقد كان القصاص والوعاظ في كل بلدة إسلامية ،يغضون المسلمين ومن بينهم سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز . [1]

عـــادات الخطباء :- الوقوف على صخره أو على منبر أو ناقه والاعتماد على السيف أو القوس ولا يكثـــرون فـــي تحـــريك أجنـــسامهم ولا يشيرون كثيراً ولا يترددون في القول ويكرهون التنحنح والسعال ولكن أول من خطب جالسا هو الوليد بن عبد الملك [2] ،وعموما من أشهر خطباء دمشق هم معاويـــة بن أبي سفيان ،وعبد الملك ابن مروان ،وعمر بن عبد العزيز ، وقد وصلت الخطابة في هذا العـــصر إلـــي القمـــة ولاتـــزال الخطب التي وصلتنا عن هذا العصر تعد نموذجا رفيعا لفن الخطابة العربية [3].

ب :- الكتابة الفنية :-

أوجـــد معاويـــة بـــن أبي سفيان بعض الدواوين مثل ديوان الخاتم ،وديوان الرسائل ،وافرد لهذه الدواوين الموظفين الأخصائين ،ومضى الحال على ما هو عليه ،إلى أن عرب عبد الملك الدواوين ،وشـــجع الكتابة بالعربية فأقبل الأعاجم على دراسة اللغة العربية وتعليمها ،حتى حظوا بمقام مرموق فـــي الدولـــة ، ومـــا لبثت الكتابة أن أصبحت صناعة خاصة لها نظمها وأساليبها ، حيث تحولت من البساطة والإيجاز ، إلى التوسيع في الأسلوب وتنوع في الأغراض والمبالغة [4] .

وفـــي الواقع ما يهمنا في هذه الدواوين ،هو ديوان الرسائل ،لان اصحابة هم الذين كانوا يختارون مـــن أربـــاب الكـــلام واصـــحاب البيان [5] فإتقان هؤلاء الموالى صناعتهم الفنية ،ومعرفتهم العربية ،وحرصـــهم على جودة القول والبراعة فيه ،أظهرت في الأدب العربي هذه الظاهرة التي لانجدها إلا قلـــيلا فـــي تاريخ الأمم القديمة الأخرى وهى أن الرسائل الرسمية الفنية أصبحت مظهراً من مظاهر للجمال الفني الأدبي ،يجد قارئها لذه فيها وكأنة يستمع لشاعر مجيد أو خطيب حاذق"[6] .

1:- شوقي ضيف :الأدب العربي ، ج2 ، ص ص 409،436 .
2:- مارون عبود :مرجع سابق ، ص163 .
3:- انور الرفاعي :مرجع سابق ، ص86 .
4:- أنوار الرفاعي :مرجع سابق ، ص85 .
5:- شوقي ضيف :الأدب العربي ، ج 2 ص 466 .
6:- مارون عبود :مرجع سابق ، ص 174 .

لـــذلك تكـــونت طبقة كبيرة من الكتاب المحترفين ،تتابعت أجيالهم على مر الزمن في هذا العصر ،فكـــان مـــن ســـبق يـــسلم صناعته لمن خلفه ، وكل جيل لاحق يحاول أن يضيف شئ من البراعة والجمـــال إلى هذه الكتابة الفنية ولم يكن هذا النوع يختص بدمشق فقط ، بل كان للولاة في الأمصار الإسلامية من يجيدون هذه الصناعة .

وفي عهد هشام بن عبد الملك 105-124 نجد مدرسة كبيرة، أرتقي فيها النثر الفنى إلى ابعد غاية ، إذ كان يتولى ديوان الرسائل شخص أسمه سالم مولى هشام [1] .

ويعـــد أول مـــن تفـــوق في هذا النوع من النثر الفنى [2] كما انه يجيد اللغة اليونانية ،حيث نقل منها بعـــض الرسائل لارسطاطاليس ، ويعد من البلغاء العشرة الأول ، ويذكر أن له رسائل تبلغ نحو المائة ورقـــة ، وهـــناك مـــن يذكر أن هشام كان يأمره بالكتابة عنه إلى ولاة الأمصار فيما يعرضون من شـــؤون ، حيث لم يعد الخليفة يملى عليه كتابه الرسائل كما كان الشأن في القديم ، بل أصبح الكاتب يكتب الرسالة ثم يعرضها على الخليفة .

ومـــن اشهر الكتاب في دمشق عبد الحميد الكاتب، واسم أبيه يحيى بن سعيد من موالى بن عامر، وهـــو فارســـى الأصـــل، والتحق بديوان هشام بن عبد الملك واعجب به سالم – الذي سبق ذكره – فاظهـــره أليه ومازال به حتى اصبح كاتبا لا يظاهي، ثم أصبح كاتبا لآخر خلفاء بنى أميه مروان بن محمد.

ويعـــد عـــبد الحميد بدون ريب ابلغ كتاب هذا العصر وابرعهم، وضلت شهرته مدوية عبر القرن حتى قيل "فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد "[3]، ومن اشهر رسائل عبد الحميد، رســالته آلتـــي كتـــبها آلـــي الكـــتاب حيث يقول "أما بعد..حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابه،وحاطكم ووقاكم وأرشـــدكم فان الله عز وجل جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين ومن بعد الملـــوك المكـــرمين أصنافا ،وأن كانوا في الحقيقة سواء ،وصرفهم في صنوف الصناعات وضروب المحـــاولات آلـــي أســـباب معايشهم ،وابواب أرزاقهم فجعلكم معشر الكتاب في أشرف الجهات ،أهل الأدب والمـــروءه والعلم والرواية، بكم تنتظم للخلافة محاسنها وتستقيم أمورها ،وبنعمائكم يصلح الله للخلـــق سلطانهم ،وتعمر بلادهم ،لايستغنى الملك عنكم ،ولا يوجد كاف آلا منكم ،فموقعكم من الملوك موقـــع أسماعهم آلتي بها يسمعون ،وأبصارهم التي بها يبصرون ،وألسنتهم التي بها ينطقون وأيديهم التـــي بهـــا يبطـــشون،فأقنعكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ،ولاتزع عنكم ما أضفاه من النعمة عليكم "

ومـــن ثـــم يحدد عبد الحميد المصادر الفكرية للكاتب، ويفسح أمامه المجال للإلمام بالعلوم الدينية والدنـــيوية، التي يراه في حاجة أليها، بحيث يجعل الكاتب رجل دين فاهم لكتاب الله عز وجل، ويريد منه أن يكون عالم لغة مستوفيا لقضايا النحو، وملما بغريب اللغة ومعانيها، ويريد منه أن يكون أديب وراويـــه لأشـــعار القـــدماء وان يكـــون مـــؤرخا يقـــف على أيام العرب والعجم، وعن سير الوقائع

1:- شوقي ضيف :الأدب العربي ، ج 2 ص 470 .
2:- مارون عبود:مرجع سابق : ص 470 .
3:-شوقي ضيف: الأدب العربي، ج 2 ص 474.

والأحـــداث، كمـــا يـــريد الكاتب أن يكون متخصص يجيد الخط وفصيح اللسان، وان تكون مخارج الحروف لديه صحيحه، إلى جانب معرفته بعلوم الحساب . [1]

ولـــه رسائل أخرى، كرسالته في وصف المطر[2] ، ورسالته التي كتب بها إلى أهله يعزيهم عن نفسه وهو منهزم مع مروان بن محمد [3] .

ويقول شوقي ضيف عن عبد الحميد والنثر الفنى في عصره:-

"والحـــق أن النثـــر الفنى تطور تطوراً واسعاً عند عبد الحميد، فقد تحولت الرسائل عنده إلى رسائل أدبـــيه حقيقـــية تكتب في موضوعات مختلفة من الإخاء، وقيادة الحروب والصيد، وهى لا تكتب في ذلـــك كـــتابة موجـــزة فلـــم تعد الكتابة وحدها كافه، بل أصبح أساساً فيها أن تسند بالتفنن في القول وتـــشعيب المعاني معتمدة على ثقافات مختلفة :اجنبيه وعربيه وأخذت تزاحم الشعر وتحاول أن تقتحم علـــيه ميادينـــه أوعلـــى الأقل بعض هذه الميادين ،إذ نرى عبد الحميد يجرى قلمه في وصف الخيل والسلاح ووصف الصيد ،ودائما تروعنا براعته ألبيانيه....." [4]

1:- مي يوسف خليف :النثر الفنى بين صدر الإسلام والعصر الأموي ، دار قباء (القاهرة) ص ص138،141،142 .
2:- مارون عبود :مرجع سابق ،ص177 .
3:- شوقي ضيف :الأدب العربي ، ج 2 ص 478 .
4:- نفس المرجع ، ج 2 ، ص 478 .

الخاتمة

دمشق هذه المدينة العربية الإسلامية، ذات الموقع الجغرافي الفريد المتمثل في موقعها المتوسط بين الشرق و الغرب و إضافة لكونها المنطقة التي يلتقي فيها الطريق الذي يخترق سوريا من الشمال إلى الجنوني.

وبذلك حق قول الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه " حصن الشام وبيت مملكتهم" كما إنها" عين الإمبراطورية في سائر إقليم الشرق " حسب ما قال : عنها الإمبراطور البيزنطي يوليان[1] .

وهذا قليل من كثير مما أفاضة الرحالة العرب في وصف هذه المدينة وما لها من حسن عمارة ، ونضارة بقعه ، وكثيرة الفاكهة ، و نزاهة رقعه .

كما تعددت أراء الرحالة في وصف دمشق وقد تعددت أسماؤها أيضا فعرفت بجلق الخضراء ، وذات العماد ، وجيرون والعذراء وغيرها، أما عن نشأتها، فاختلفت الأراء وتناقضت ، فمنهم من يردها إلي هبوط سيدنا أدم عليه السلام وغيره يعزوا بناها إلى دمشق بن قانبي ،وهناك من يقول أن اليونان هم الذين بنوا دمشق ، معتمدا على كن باب من أبواب دمشق ،تمثل نحو كوكب من الكواكب وانه لا أحد يعرف الكواكب ذلك الوقت إلا الرومان وأخر يقول أنها وجدت قبل عهد سيدنا إبراهيم عليه السلام ،معتمدا على ما ذكر في التوراة .

افتتحها المسلمون في عهد الخليفة الراشد عمر بن خطاب ، وضحت حاضرة أجناد الشام ، والي عهد بن أميه ، فأصبحت حاضرة الدول العربية الإسلامية ، فنالت ما نالته من منزلة رفيعة عند الأمويين ، حيث أهتم بالجوانب الاقتصادية فيها مثل الزراعة التي أولوا لهم اهتمامات كبيرة من تشجيع للزراعة ، وشق القنوات وغيرها.

كذلك الصناعة التي عرفت في دمشق قبل الإسلام ، وزادت الأمويون اهتمامهم بها بتوفير المواد الخام ، مثل صناعة الزجاج ، المعروف بالزجاج السوري لما له من بريق وصفاء ، وغير ذلك من الصناعات الدمشقية الأخرى .

وعموما فقد أتضح مما سبق أن الأمويين سلكوا سياسة تشجيع أدت بدورها إلي ازدهار الاقتصاد في دمشق أو الشام ككل ، فقد سلت سبل نقل التجارة ، مما أبقي علي الطريق الذي يمر بالمدينة دمشق قائما دون تغير طوال العهد الأموي.

كما تبين لنا أن القبائل العربية التي سكنت دمشق بعد الفتح الإسلامي قد تمسكت بعاداتها وتقاليدها، لفترة طويلة، إلا أنها قد اختلطت بالسكان الأصليين، وبعد ذلك في دمشق، وتأثرت بهم.

وقد أتضح لنا خلال الدراسة، أن العصبية القبلية سادت دمشق ، حتى بعد الفتح الإسلامي ، وكان لها تأثيرا جليا ، علي الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، حيث أنحاز بعض الخلفاء الأمويين إلي أحدي القبائل الكبري التي تقطن دمشق – اليمانية – والقيسية .

وتبين أن الأمويين لم يعاملوا الموالي معاملة سيئة ، رغم ما أورده البعض ، مثل صاحب كتاب العقد الفريد ، والكامل المبرد ، وبعض من الباحثين المحدثين و المستشارين ، إذ لم تكن هذه الوقائع سوي وقائع فردية ، لا مجال لها من التعميم ، وفي غير مواتية يمكن القول أن الأمويين ترفعوا بادئ الأمر علي الموالي ، ولكن سرعان ما أفسحوا لهم المجال للدخول في دواوين الدولة ، والقيام بأعمال مهمة ، وقد أوردنا في متن البحث من الاولة ما يثبت ذلك.

كما تبين الدراسة ما كان للجواري من شأن كبير في البلاط الأموي ، مثل صبابة زمن يزيد بن وليد وغيرها .

---

[1] - محمود شلبي :حياة عمر ،مكتبة القاهرة (القاهرة ،1968) ص108 .

أمـــا أهـــل الذمـــة ، وهناك من يقول أن المسلمين أساؤا معاملتهم أو أجبروهم علي الدخول الإســـلام بالقـــوة ، ولا أثبت مما قاله كبير البطارقة إذ قال أن العرب ليسوا أعداء النصرانية بل يحتـــرمون ملتـــنا ، ويوقرون قسيسنا ويمدون العون إلي كنائسنا وأديرتنا ، وعموما فقد برز عدد منهم في العلوم المختلفة زمن الأمويين أمثال بن الاثال ، الطبيب المعروف وغيره كثيرون .

كمـــا نبغ عدد من الموالي في ميادين العلوم ، سواء كانت العقلية أم النقلية ، مثل عبد الحميد الكاتـــب الـــذي عـــاش إلي أخر الدولة الأموية وكان من أشهر الكتاب آنذاك ، وله عدة رسائل معـــروفة أوردنا بعضها في متن البحث ، كما اشتهر البعض الأخر في العلوم الدين الحنيف بعد أن اعتنقوا الإسلام .

كـــذلك أبـــدت الدراسة ما للعرب في دمشق من حياة الترف ومظاهر الحضارة والعمران زمن بني أمية، رغم أن العرب بعد فتح دمشق انتقلوا إليها محتفظين بعاداتهم وتقاليدهم، فتحولوا من غضاضة البداوة إلي رونق الحضارة، حيث أخذوا عن الدول التي فتحوها حضارتها كالفرس والرومان فأضافوا إليها وصقلوها بما يخدم الإنسانية جمعاء.

وبعـــد يجـــب أن أكـــون قـــد وضعت يدي علي الثغرات المراد دراستها أملا أن تسد هذه الدراسة فراغا في الدراسات التاريخية التي تتناول الجانب الحضاري.

" قائمة المصادر و المراجع "

القران الكريم:

أولا: المصادر

- الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد:- (850هـ / 1446 م)

المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق مصطفى الذهبي، دار الحديث (القاهرة، 2000)

- ابن الأثير، أبي الحسن علي بن أبي مكرم:- (ت 630هـ / 1232م)

الكامل في التاريخ، دار الطباعة المنيرة و (مصر، 1349هـ)

- كذلك طبعة بيروت 1999ف .

- البخاري ، أبو عبد الله محمد : صحيح بخاري ، مطابع الشعب ، (1378م)

- بن أبي اصيبعه، مؤفق الدين أبي العباس أحمد: (ت 668هـ/ 1269م)

عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار الفكر (بيروت، 1956) ج2

- البستي، محمد بن حبان:- (354هـ/ 965م)

مشاهير علماء الأمصار، تصحيح فلايشهمر، مطبعة لجنة التأليف (القاهرة، 1959م)

- البدري، محمد:نزهة الأنام في محاسن الشام، المطبعة السلفية (القاهرة، 1922م)

- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم:- (797هـ/ 1377م)

رحلة بن بطوطة، المطبعة الأميرية (بولاق، 1934) ج1

- البلاذري، احمد بن يحي: (ت 279 هـ/892 م)

فتوح البلدان، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة ، 1956)

- طبعة بيروت 1978 م

- طبعة المرسوعات القاهرة 1901 م

- التلمساني، احمد بن محمد المقري:

نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق أحسان عباس (بيروت، 1968) م2.

- الثعالبي، أبي المنصور عبد الملك: (429هـ / 1038م)

لطائف المعارف، تحقيق إبراهيم الابياري، حسن كامل دار إحياء الكتب العربية

- ابن جبير، محمد بن احمد: (ت 614 هـ / 1217 م)

رحلة بن جبير، دار صادر (بيروت، 1964)

- ابن جلجل، أبي ذرا ود سليمان بن حسان: (ت. 372 هـ)

طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فواد سيد، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية (القاهرة، 1955)

- الجزري، محمد بن محمد: (ت 833 هـ - 1429 م)

غاية النهاية في طبقات القراء، مطبعة السعادة (مصر، 1923)، ج 2

- الجاحظ، أبي عثمان عمر: (ت. 255 هـ /868 م)

البيان والتبين، تحقيق حسن السندوبي، دار إحياء العلوم (بيروت، 1993) ج 2

- الجهشياري، محمد بن عبدوس: (ت 331 هـ / 942 م)

الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وأخرين، مطبعة الحلبي، (القاهرة 1938)

- الحصيني، محمد آل تقي الدين: منتخبات التواريخ لدمشق، دار الآفاق الجديدة (بيروت، 1979) ج1

- الحموي، شهاب الدين ياقوت: (ت 626 هـ / 1228 م)

معجم البلدان، دار صادق، (بيروت، 1956)، م 2.

- ابن حوقل: (376 هـ/ 786م)

- صورة الأرض، منشورات مكتبة الحياة (بيروت)

- ابن خلكان، أبو العباس احمد محمد: (ت 681 هـ / 1282 م)

وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق محمد محي الدين، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، 1948) ج 2.

- ابن الخطيب، أبي العباس احمد: الوفيات، معجم زمني للصحابة وأعلام المحدثين والفقهاء والمؤلفين من سنة 11 – 807 هـ، تحقيق عادل نويهض منشورات المكتب التجاري (بيروت، 1971)

- ابن خياط، خليفة: - تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق إكرام ضياء، دار القلم (بيروت، 1977)

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: (ت 808 هـ / 1406 م)

-العبر وديوان المبتداء والخبر، دار الكتاب اللبناني (بيروت، 1956) ج 1

-كتاب المقدمة، مكتبة النشر بيروت

- الادريسي، أبي عبدالله محمد بن محمد: (ت 560 هـ /1174م)

نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، عالم الكتب (بيروت) م 1.

- الدمشقي، محمد بن طالب: (ت 727 هـ/1326م)

نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي (دمشق، 1983) ج 22

- ابن أبي الدم الحموي، شهاب الدين إبراهيم: التاريخ المظفري، تحقيق حامد زيان، تمام زيان، دار الثقافة (القاهرة، 1989)

- الدميري، كمال الدين (ت 808 هـ/ 1405 م)

حياة الحيوان الكبرى، دار القاموس الحديث (بيروت) ج 1

- الدينوري، أبي حليفة احمد بن داود:- (ت 276 هـ/ 889 م)

الأخبار الطوال، تحقيق عبدا لمنعم عامر، مراجعة جمال الدين الشيال، دار إحياء الكتب العربية (القاهرة، 1960)

- الذهبي، الحافظ: (ت 784 هـ/1382م)

العبر في خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، سلسلة تصدرها دائرة المطبوعات والنشر (الكويت، 1960) ج 1

- الذهبي، شمس الدين محمد بن عثمان :(748هـ / 1347م)
- سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة (بيروت) ج 5.
- تاريخ الإسلام، دار الكتاب اللبناني (بيروت، 1987) ج 4
- ابن رستة، أبي علي احمد بن عمر (310 هـ / 922 م)
- الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل (ليدن، 1891).
- ابن سعد، محمد: (ت 230 هـ / 845 م)
الطبقات الكبرى، دار صادر (بيروت، 1968) ج 7.
- ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل: (ت 485 هـ /1092م)
المخصص، (بولاق، 1321 هـ) ج1.
- السيوطي، جلال الدين:- (ت، 911 هـ 1505 م)
تاريخ الخلفاء، تقديم عبدالله مسعود، دار العلم العربي (حلب، 1991)
- الشهرستاني، محمد بن عبدا لكريم: (ت 548 هـ / 1153)
الملل والنحل، تحقيق محمد بن فتح الله بدران، مطبعة الأزهر (1951) ج1
- الصابي، أبي الحسن هلال بن المحسن: (ت380 ه / 893م)
الوزراء تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق عبد الستار احمد فراج، دار إحياء الكتب العربية (1958)
- الاصفهاني، أبي فرج:- (ت 597هـ/ 1200 م)
الأغاني، دار الكتب المصرية (القاهرة، 1935)
((ج3، ج5، ج 7، ج 11، ج 15))
- الصولي، ابوبكر محمد بن يحي:- (330هـ/941م)
أدب الكتاب، تعليق محمد بهجه الأثري، المطبعة السلفية (مصر، 1341هـ)
- الطبري، محمد بن جرير: ت (310هـ / 922هـ)
تاريخ الأمم و الملوك، مطبعة الاستقامة (القاهرة، 1939) ج 2.
- الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية والدولة الإسلامية، دار صادر (بيروت، 1960)
- ابن طولون، شمس الدين محمد: (ت935هـ/1028م)
قرة العيون في أخبار باب حيرون، مطبوعات المجمع العلمي (دمشق، 1964)
- ابن عبدالحكم، أبي محمد عبدالله: (ت. 257 هـ / 871 م)
سيرة عمر بن عبدالعزيز، على ما رواة الإمام مالك بن انس واصحابة،
نسخها وصححها وعلق عليها، احمد عبيد، دار العلم للملايين (بيروت، 1967)
- ابن عبدربه، احمد بن محمد: - (ت 327 هـ/928م)
العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد، مطبعة الاستقامة (القاهرة، 1953)
((ج 1، ج3، ج5، ج7))

- ابن عساكر، ثقة الدين أبو القاسم: (ت و 571 هـ/)
  - التاريخ الكبير، المكتبة العربية، (دمشق، 1349)، ج1
  - كذلك ضمة روضة الشام (1329) تحقيق عبد القادر اندي
  - تاريخ مدينة دمشق، تحقيق محب الدين أبي سعيد، دار الفكر (بيروت، 1995) ج1،ج2
- القرشي، يحي بن ادم:(203 هـ / 818م)
  - كتاب الخراج، مطبعة ابريل: (ليدن، 1895)
- القزويني ، زكريا محمد بن محمود : (682هـ/ 1418م)
  - آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر (بيروت 1969) .
- القفطي، جمال الدين أبي الحسن: تاريخ الحكماء مؤسسة الخانجي
  -أخبار العلماء بأخبار الحكماء، دار الآثار (بيروت)
- القلقشاطلي، نعمان: الروضة الغناء في دمشق الفيحاء، دار الرائد (بيروت، 1879)
- القلقشندي، احمد بن علي: (ت 821 هـ / 1418 م)
  صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الفكر (بيروت، 1987)
  ((ج4، ج6، ج13))
- ابن كثير، أبو الفداء الحافظ: (ت. 774 هـ)
  البداية والنهاية، مكتبة المعارف (بيروت، 1966)
  ج1، ج 9.
- المالقي، أبي القاسم بن رضوان: (ت، 605 هـ/ 1208م)
  الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تحقيق علي سامي، دار الثقافة (الدار البيضاء، 1984)
- الماوردي، أبي الحسن علي بن محمد: (ت 450 هـ / 1038م)
  الأحكام السلطانية والولايات الدينية، جمع بين المسائل الشرعية والسياسة، المطبعة المحمودية التجارية (مصر)
- المسعودي، أبي الحسن علي:- (ت. 346 هـ / 957 م)
  - مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين، المكتبة التجارية الكبرى (1958)
  -التنبية بالإشراف، دار ومكتبة الهلال (بيروت، 1981)
- المعافري، أبي الحسن علي بن محمد: (ت 605 هـ/ 1208م)
  الحدائق الغناء في أخبار النساء، تحقيق عائدة الطيبي، الدار العربية للكتاب (ليبيا تونس، 1978)
- المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله : (390هـ/ 999م)
  - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي (القاهرة، 1991).
- المقريزي، تقي الدين احمد : (ت، 845 هـ / 1441 م)
  إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق مصطفى زيادة، جمال الدين الشيال (القاهرة، 1940)
  الخطط المقريزيه، موسسة الخليج القاهرة ،ج 1 .

- الاندلسي، صاعد بن احمد: (ت 462 هـ / 1069 م)
طبقات الأمم، مطبعة السعادة (القاهرة)
- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق: (ت 385 هـ / 995 م)
الفهرست، تحقيق رضاء تجدد (طهران، 1971)
- النويري، شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب: (ت 732 هـ / 1331 م)
نهاية الأرب في فنون الأدب، مؤسسة المصرية للتأليف (القاهرة، 1963) ج 1
- الوردي، زين الدين عمر: تاريخ بن الوردي، دار الكتب العلمية (بيروت، 1996)
- اليافعي، أبو محمد عبد الله بن اسعد: (ت 768 هـ / 1366 م)
مرآة الجنان وعبر اليقضان، دار الكتاب الاسلامي (القاهرة، 1993) ج1
- اليعقوبي، احمد بن يعقوب: (ت284 هـ / 897 م)
تاريخ اليعقوبي، مطبعة ابريل (ليدن، 1891)
- أبو يوسف، (ت 182 هـ/ 798 م)
الخراج، المطبعة السلفية (القاهرة، 1382 هـ).
- كذلك طبعة دار المعارف (بيروت ، 1979م).

ثانيا :- المراجع :

- أحمد ،أحمد رمضان : الخلافة في الحضارة الإسلامية ،دار البيان العربي (جدة ،1983) .
- أحمد ،محمد حلمي محمد : الخلافة والدولة في العصر الأموي ،دار العلوم ،1974 .
- أرشيد ،أرشيد يوسف : الحضارة الإسلامية ،نظم وعلوم ، فنون ،مكتبة العبيكان ، (الرياض ،2004).
- أرنولد ،توماس : الدعوة آلي الإسلام ،ترجمة حسن إبراهيم حسن (القاهرة ،1967) .
- إسماعل ،محمود : تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ،الأهرام للكمبيوتر والطباعة .
- الصالح ،صبحي :النظم الإسلامية ،نشأتها وتطورها ، دار العلم للملايين (بيروت ،1980) .
- الأصيبعي ،محمد إبراهيم عمر :الشرطة في النظم الإسلامية والقوانين الوضعية ، دار أقرأ (طرابلس ،1990).
- أمين ،أحمد :فجر الإسلام ، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة ،1959) .
- العلي النعيم ،عبد العزيز : نظام الظرائب في الإسلام ،ومدى تطبيقه في المملكة العربية السعودية مع المقارنة ،(القاهرة ،1975) .
- الألباني ، محمد نصر الدين : سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيئ من فقها وفوائدها، منشورات المكتب الأسلامي (دمشق ، 1378م) .
- اوليري ،دي لاسي : علوم اليونان وسبل انتقالها آلي العرب ،ترجمة وهيب كاملة مكتبة النهضة المصرية (القاهرة ،1962) .
- بلياييف،ى. أ.: العرب والاسلام والخلافة العربية ،نقلة للعربية أنيس فريحة ،الدار المتحدة للنشر ،(بيروت ،1973) .
- البرقاوى ،على حسن ،وآخرين : دراسات في التاريخ الإسلامي ، دار الأمل (أربد ،1990) .
- بروكلمان ،كارل : تاريخ الشعوب الإسلامية ،نقلة للعربية عفيف البعلبكي ، دار العلم للملايين (بيروت ،1968) .
- البنهسى ،عفيف : عمران الفيحاء ، دار الفكر (دمشق ،2002) .
- بيضون ،جميل ، وآخرون: تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، دار الأمل للنشر (أربد ،1989).
- ترتون أس : أهل الذمة في الإسلام ،ترجمة حسن حبشي ،دار المعارف (القاهرة ،1967) .

- التليسى ، بشير رمضان ،وغيره : تاريخ الحضارة الإسلامية ،دار المدار الإسلامي (بيروت ،2001) .
- التومى ،عمر ،وغيره : تاريخ العلوم الأساسية في الحضارة العربية الإسلامية ، الهيئه القومية للبحث العلمي (طرابلس ،1996) .
- حاطوم ، نور الدين وآخرون : المدخل إلى التاريخ ،كلية الآداب دمشق ،1964 .
- حتى ، فيليب : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ،دار الثقافة (بيروت ،1958) ج 1.
- حركات ، إبراهيم : السياسة والمجتمع فى العصر الأموي ،دار الأفاق (المغرب ، 1990) .
- الحرابي ،منصور أحمد : الدولة العربية الإسلامية ، نشأتها ونظامها السياسي ، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية ،(طرابلس) .
- حسن ، حسن إبراهيم : النظم الإسلامية ،مكتبة النهضة المصرية ،(القاهرة ،2001) .
- زعماء الإسلام ، المطبعة النموذجية ،1953 .
- حسن ، على إبراهيم : التاريخ الإسلامي العام ، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة ، 1971) .
- حسن ، على محمد : التاريخ الأدبي للعصرين الأموي والعباسي الأول ، دار القومية العربية للطباعة ،(1965) ج2 .
- حسن، زكى :فنون الإسلام ،(القاهرة ،1948) .
- حلاق،إحسان : دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، دار النهضة العربية (بيروت ،1989) .
- : تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي ، دار النهضة العربية (بيروت ،1988) .
- حماد ، أسامه ،وغيره : تاريخ الدولة العربية الإسلامية ، مركز الإسكندرية للكتاب (الإسكندرية ، 2005) .
- الخربوطلي ، على حسني : الإسلام والخلافة ، دار بيروت للطباعة والنشر (بيروت ،1969)
- : الحضارة العربية الإسلامية ،سياسة، اداره، قضاء حرب، اجتماع اقتصاد،تربية وتعليم ،وثقافة وفنون ،مكتبة الخانجى (القاهرة).
- خضري بك ،محمد : إتمام الوفاء في سير الخلفاء ،1964 .
- خطاب ، محمود شيت : قادة فتح الشام ومصر ،دار الفتح (بيروت ،1965) .
- خليف ، مي يوسف : النثر الفنى بين صدر الإسلام والعصر الأموي ،دار قباء (القاهرة).
- أبو خليل ، شوقي : الحضارة العربية الإسلامية ،دار الفكر (دمشق ،1996) .

- خماش ، نجدة : الإدارة في العصر الأموي ،دار الفكر ،دون مكان ، دون تاريخ .

- داود ،محمد سليمان : الوزارة أدب الوزير للأمام أبي الحسن الماوردى ،دار الجامعات المصرية (الإسكندرية ،1976) .
- دحلان ، السيد أحمد زيني : الفتوحات الإسلامية ،بعد مضى الفتوحات النبوية المكتبة التجارية ، (1354هـ) ج 1.

- دياب ، مفتاح محمد : مقدمة في تاريخ العلوم فى الحضارة العربية الإسلامية ، دار قتيبه (دمشق ، 2004) .
- دينيت ،دانيل : الجزية والاسلام ، ترجمة فوزي فهيم ، منشورات دار ومكتبة الحياة (بيروت ،1968) .
- الرافعي ، مصطفى : حضارة العرب في العصور الإسلامية الزاهرة ، دار الكتاب (لبنان ،1968)
- الرفاعى ،انور : الإسلام في حضارته ونظمة الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية و الاجتماعية والاقتصادية ،دار الفكر (دمشق ،1986).
- : تاريخ العلوم في الإسلام ،دار الفكر (دمشق ،1973) .

- رحيم ،مهدى عبد الحسين : الحضارة العربية الإسلامية ، الجامعة المفتوحة(طرابلس،199).

- الزحيلي ،محمد :تاريخ القضاء في الإسلام ،دار الفكر المعاصر (دمشق ،1995) .

- زيادة ،نقولا :مدن عربية ،دار الطليعة (بيروت ،1965) .

- زيدان ،جرجى : تاريخ التمدن الإسلامي ، مؤسسة دار الهلال (968)ج1 .

- سويد،المقدم ياسين :معارك خالد بن الوليد ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر(بيروت،1973).

- السيد ،مجدي فتحي: تاريخ الإسلام والمسلمين في العصر الأموي ،دار الصحابة (طنطا ،1998).

- الشامي ،فاطمة قدورة : تطور تاريخ العرب والسياسي و الحضاري من الجاهلي الى الأموي ،دار النهضة العربية (بيروت ،1997) .
- شاهين ،حمدي : الدولة الأموية المفترى عليها ،دار القاهرة للكتاب (القاهرة ،2001) .

- الشطشاط ،على حسين : تاريخ الحضارة الإسلامية ،دار قباء (القاهرة ،2001) .

- شلبي ،محمود : حياة عمر ،مكتبة القاهرة ،(القاهرة ،1968) .

- شرف ،محمد جلال : نشأة الفكر السياسي وتطوره في الإسلام ،دار النهضة العربية (بيروت ،1982).

- شلبي، أبو زيد : تاريخ الحضارة الفكر الإسلامي ،دار الطباعة المحمدية (القاهرة ،1962) .
- شيحة ،مصطفى عبد الله :مدخل إلى العمارة الإسلامية ،مطابع الطوبجي التجارية .
- الصبيحي ،محمد إبراهيم :الحكم والإدارة عند العرب ،مكتبة الوعي العربي .
- صبره ،عفاف سيد وآخرين : النظم الإسلامية ،مكتبة الرشيد (الرياض ،1425هـ)ج1.
- ضيف ،شوقي : التطور والتجديد في الشعر الأموي، دار المعارف (القاهرة ،1959) .
- : تاريخ الأدب العرب للعصر الإسلامي ،دار المعارف (القاهرة ،1963) .
- طوقان ،قدري حافظ : تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك ،دار العلم (القاهرة ،1963) .
- العبادي ،عبد الحميد مختار وآخرون :الدولة الإسلامية ، تاريخها ،حضارتها ،مصر للطباعة (القاهرة) .
- عبود ،مارون : أدب العرب ،مختصر تاريخ نشأته وتطوره ،وسير مشاهير رجاله وخطوط أولى من صورة ،دار الثقافة (بيروت ،1968) .
- عبد الرازق ،على :الإسلام وأصول الحكم ،بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام ،مطبعة مصر (1995) .
- عبد الرسول ،على :المبادئ الاقتصادية في الإسلام ،والبناء الاقتصادي للدولة الإسلامية ،تقديم صلاح الدين نامق ،دار الفكر العربي .
- عبد الرؤف ،عصام الدين :الحواضر الإسلامية الكبرى ،دار الفكر العربي (1976) .
- عبد اللطيف ،عبد الشافي محمد : العالم الإسلامي فى العصر الأموي ،دار الوفاء(1984) .
- عبد العزيز ،محمد الحسيني :الحياة العلمية في الدولة الإسلامية ،وكالة المطبوعات (الكويت ،1973).
- العدوى ،إبراهيم احمد :الدولة الأموية مقوماتها ورسالتها ،مكتبة الشباب (1998) .
- على ،سيد أمير : مختصر تاريخ العرب ،نقله للعربية عفيف البعلبكي ،دار القلم للملايين (بيروت،1961).
- على ،محمد كرد : الإدارة الإسلامية في عزك العرب ،طبع صاحبة العصمة موت القلوب هانم الدمرداشية (القاهرة ،1431) .
- : خطط الشام ،المطبعة الحديثة (دمشق ،1925)ج1 .

- عطوان ،حسين : نظام ولاية العهد ،ووراثة الخلافة في العصر الأموي ،دار الجيل (بيروت ،1991) .
- العجلاني ،منير :عبقرية الإسلام في أصول الحكم ،دار الكتاب الجديد (1965)م .
- فروخ ،عمر : العرب في حضارتهم وثقافتهم ،دار العلم للملايين (بيروت،1981).
- فلهوزن ،يوليوس :تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلي نهاية الدولة الأموية ،نقلة للعربية محمد عبد الهادى ،وحسين مؤنس ،منشورات لجنة التأليف والترجمة (القاهرة ،1958) .
- فيصل شكري : المجتمعات الإسلامية في القرن الأول ،نشأتها مقوماتها ،تطورها اللغوي والأدبي ،دار العلم للملايين (بيروت ،1966).
- القاسمي ،ظافر : نظام الحكم في الشريعة والتاريخ ،دار النفائس (بيروت ،1974) .
- كاشف ،سيده إسماعيل : مصادر التاريخ الإسلامي ،ومناهج البحث فيه ،دار الرائد العربي (بيروت ،1983) .
- كاظم ،رحيم : الحضارة العربية الإسلامية ،دراسة في تاريخ النظم ،الكتبة الجامعية (غريان ،2005) .
- كرلوبلينو ، السنيور: علم الفلك تاريخية عند العرب فى القرن الوسطى ،مكتبة الثقافة الدينية .
- الكرملي ،الستاس: النقود العربية وعلم المنميات (القاهرة ،1939) .
- كمال ،احمد عادل :الطريق الى دمشق ،دار النفائس (بيروت،1982) .
- متز،أدم : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع ،دار الكتاب اللبناني (بيروت،1967)ج2 .
- محاسنه ،محمد حسين : بناء الدولة العربية الإسلامية ،النظم والحضارة ،دائرة المكتبة الوطنية (1999) .
- مردم بك ،خليل : الشعراء الشاميون ،دار صادر(بيروت) .
- مصباح ،أحمد مجاهد:دراسات تاريخية " الخلفاء الراشدين" مكتبة النهضة(القاهرة،1969).
- م.عود فروا :النظم الاسلامية ، نقلة للعربية ،فيصل السامر ،صالح الشماع دار النشر للجامعيين .
- المقداد ،محمود : لموالي ونظام الولاء من الجاهلية إلى أواخر العصر الأموي ،دار الفكر (دمشق ،1988) .

- المنجد ،صلاح الدين :مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالة العرب ،دار الكتاب الجديد (بيروت،1967).
- :معجم المؤرخين الدمشقيين ،وآثارهم المخطوطة ،والمطبوعة ،دار الكتاب الجديد (بيروت ،1978) .
- موسى ،عبد الله كامل :الأمويون وآثارهم المعمارية ،دار الآفاق العربية (القاهرة ،2003) .
- النبراوي ،فتحية :تاريخ النظم والحضارة الإسلامية ،دار الفكر (القاهرة،2004) .
- النجار ،محمد الطيب : الموالى في العصر الأموي ،دار النيل للطباعة (1949) .
- نصار ،عبد المقصود وآخرون :الموجز الواضح في تاريخ العرب والاسلام ،مطابع دار الكتاب العربي ،الطبعة الأولى .
- النواوي ،عبد الخالق :النظام المالي في الإسلام ،دار النهضة العربية (القاهرة ،1973) .
- الهوني ،فرج محمد :النظم الإدارية والمالية في الدولة العربية الإسلامية من الرسول إلي نهاية الدولة الأموية ،منشورات الشركة العامة (طرابلس ،1978) .
- : تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية ،دار الجماهيرية (مصراته ،1986) .
- هيكل ،محمد حسنين :الفاروق عمر ،دار المعارف (القاهرة ،1972) .
- الوافي ،محمد عبد الكريم :مناهج البحث في التاريخ والتدوين التاريخي عند العرب ،منشورات جامعة قاريونس (بنغازي ،1998) .
- ياغي ،إسماعيل أحمد :الحضارة الإسلامية وأثرها في الغرب ،مكتبة العبيكان (الرياض ،2001) .
- ي . هل :الحضارة العربية ،ترجمة إبراهيم العدوي ،مراجعة حسين مؤنس مكتبة الانجلو المصرية .

المعاجم والموسوعات

المعاجم :

- الجوهري ، اسماعيل بن حماد :
الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطا ، دار العلم للملايين (بيروت ، 1987).
- جمال الدين، أبو الفضل :
لسان العرب ، دار صادر (بيروت) م 2.

الموسوعات .

- ابراهيم زكي خورشيد وآخرون : دائرة المعارف الإسلامية ، ج 9.
- أحمد شلبي : موسوعة النظم والحضارة الإسلامية – السياسة في الفكر الإسلامي، مكتب النهضة المصرية (القاهرة ، 1983).
- موسوعة الحضارة الإسلامية – الأقتصاد في الفكر الإسلامي مكتبة النهضة المصرية (القاهرة ، 1993) ج 4.
- موسوعة الحضارة الإسلامية – الحياة الاجتماعية في الفكر الإسلامي ، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة ،1993 ف) ج4.
- جورج قنواتي : الخيمياء العربية ، موسوعة العلوم في الحضارة العربية، إشراف رشدي راشد ، المؤسسة الثقافية العربية(بيروت ، 1997) ج3.
- عبد الحكيم العفيفي :موسوعة الف مدينة إسلامية ، الدار العربية للكتاب (2000).

الرسائل العلمية :

- إيمان بالنور : دور الموالي في سقوط الخلافة الأموية ، رسالة ماجستير ،جامعة قاريونس ، 7. 7. 1997).
- فرج محمد الهوني :تاريخ الطب في الحضارة الإسلامية ، رسالة دكتوراه ،جامعة قاريونس ، 1984).
- محمد سعيد بوحليقة : تاريخ الكيمياء عند المسلمين ، رسالة ماجستير ، جامعة قاريونس ، 15 . 7. 2003 ف.

المؤتمرات :

- محمدعـــدنان ، إحـــسان عباس : بلاد الشام في الإسلام ، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام (عمان ، 1987ف) م 2.
- عـــبد المـــنعم صـــفو : تعليم الطب عند العرب ، أبحاث المؤتمر السنوي الثالث للجمعـــية السورية لتاريخ العلوم ، تحرير حمد يوسف الحسن (حلب ، 1978 ف).

الدوريات :

- ســـليم عبد الحق: نظرات في المدينة العربية الإسلامية خلال العهد الأموي، مجلة كلية الآداب، منشورات قاريونس ، عدد 8 ، لسنة 1976م